

# مَجَلَّةُ الْمَسَدِيِّ

مجلة فصلية علمية ثقافية

السنة الرابعة عشر / العدد الثامن والخمسون / لسنة ١٤٤٥ هـ



## مركز الهدى للدراسات الإسلامية والحضارية

العراق . النجف الأشرف

مركز الهدى للدراسات

مؤسسة فكرية تنشط في ميدان البحث والمساهمة في تطوير الفكر الإسلامي المعاصر؛ إيماناً منها بقدرة الإسلام ومدرسة أهل البيت عليه السلام على تقديم البديل الحضاري للإنسان، وتُعنى بالدراسات الفكرية والسياسية والتاريخية لحوزتي النجف الأشرف وقم المقدسة؛ رغبةً منها في ترسيخ الثوابت، والوقوف بوجه الفكر الدخيل.

# مَجَلَّةُ الْمَسَدِيِّ

مجلة فصلية علمية ثقافية

السنة الرابعة عشر / العدد الثامن والخمسون / لسنة ١٤٤٥ هـ

## الهيئة الاستشارية

◀ السيد يوسف المحلو

• أستاذ حوزة النجف الأشرف

◀ الدكتور علاء محسن الكناني

• جامعة بغداد

◀ الدكتور سلام خسرو

• جامعة المستنصرية

◀ الشيخ حسين السعدي

• أستاذ في الحوزة العلمية

◀ الدكتور علي عبد الأمير

• جامعة بغداد

◀ الدكتور سميح الأسدي

• جامعة بابل

◀ الدكتور علي فياض

• جامعة طهران

◀ الدكتور صفاء السويدي

◀ الدكتور باسم الكناني

الإخراج الفني

المسدي

الإشراف العام

قاسم هاشم مولى

رئيس التحرير

أ. عباس النوري

التنسيق والمتابعة

محمد حميد الهاشمي

عصام الساعدي

مُعَمِّلُ التَّرْجَمَةِ الْفَارْسِيَّةِ

حسن علي مطر

## هيئة التحرير

◀ أ. سمير العطاوي

◀ أ. هادي بدر الكبي

◀ أ. ضياء كاظم الهاشمي

◀ أ. عمّار الولائي

◀ أ. حيدر آل وشاح

◀ أ. إبراهيم الأسدي



مجلة الهدى

العدد الثامن والخمسون/ السنة الرابعة عشر / ١٤٤٥

الناشر: مركز الهدى للدراسات الحوزوية

المطبعة: الصنوبر

قطع الورق: ٢٤×١٧ سم

عدد الصفحات: ٣١٩ صفحة

التصميم والخراج الفني: أحمد الهاشمي

سنة الطبع: ٢٠٢٤ - ١٤٤٥ هـ

❖ البحوث الواردة في مجلة المنهج تعبر عن رأي كاتبها.  
❖ ترتيب البحوث خاضع لاعتبارات فنيّة



## هَوِيَّةُ الْمَجَلَّةِ:

مجلة [الهدى] فصلية علمية ثقافية، تصدر عن مركز الهدى للدراسات الحوزوية، تعنى بالفكر الإسلامي المستنير وما يتصل به من المجالات والتخصصات، في الشريعة والتاريخ والقانون والفلسفة وعلم الكلام الجديد والعلوم الإنسانية المختلفة، مضافاً للفكري الحوزوي وتاريخ المرجعية والفكر المقاوم.

## شُرُوطُ الْكَتَابَةِ:

١. يتراوح حجمُ البحث بين (١٠ - ٢٥) صفحةً بحجم (A4).
٢. ينضد البحث على قرصٍ مدمجٍ (CD)، أما التصحيح اللغوي فتتكفل به المجلة.
٣. يجب أن لا تكون البحوث منشورةً سابقاً، في الصحف أو الدوريات أو مواقع الإنترنت على الإطلاق، وأن يتعهد الكاتب بعدم نشره في مكانٍ آخر إلا بعد أخذ الموافقة من المركز.
٤. تخضع البحوث لتسلسلٍ فنيٍّ في النشر، ولا يحقُّ للكتاب الاعتراض على تأخير نشر المادة، لأنه أمرٌ تابعٌ لهيأة التحرير حصراً.
٥. تُقبل البحوث والدراسات المكتوبة بلغةٍ ثقافيةٍ مميزة، أما البحوث الضعيفة فتهمل ولا تعاد إلى أصحابها.
٦. المجلة ليست ملزمةً بإرجاع المواد إلى أصحابها، سواءً نشرت أم لم تنشر.
٧. يرفق الباحث ملخصاً مع البحث لا يزيد على نصف صفحة.
٨. تكون الهوامش متسلسلة في الصفحة نفسها لا في نهاية البحث.

كلمة الإمام الخامنئي  
على الحكومات الإسلامية  
أن تمنع وصول النفط والطاقة والبضائع  
إلى الكيان الصهيوني

الحضارة الإسلامية الجديدة والقيم الإنسانية

قراءة في خطابات الإمام الخامنئي دام ظله

أ. د. أنور أبو لحية

طوفان الأقصى بين الإمبريالية الأمريكية  
وحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير

أنس القاضي

أثر البناء الفكري للمرأة الفلسطينية

في مواجهة تحديات استراتيجيات الإبادة للعدو الصهيوني

أ. د. وجدان فريق عناد

جغرافيا المراقد، سياسة وعقائد

الشيخ مازن البعيجي

مراجعة نقدية للهوية الجندرية

د. حسن أحمد الهادي

الجندرة ودورها في تدمير المجتمعات

أ. د. كاظم كريم رضا الجابري

الاتجاه الاتباعي في التفسير

قراءة في المفهوم والسياق التاريخي والمرتكزات والمناهج - دراسة تحليلية نقدية

أ. د. حكمت عبيد الخفاجي

## هلاك الأمم في القرآن الكريم

٢٢٤

د. زينته عادل سالم

## مكارم الأخلاق وحقيقة صلاتها بالدين

٢٦٢

د. طه عبد الرحمن

## عقوبة الاعدام

٢٩٥

دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الجنائي العراقي

رشا كاظم معن العيدواوي

## قصيدة طوفان غزّة والأقصى لنا نغم

٣١٦

أ. د. عبد الحسين طاهر محمد الربيعي



الإمام الخامنئي:

## على الحكومات الإسلامية أن تمنع وصول النفط والطاقة والبضائع إلى الكيان الصهيوني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ<sup>(١)</sup>

والحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا ونبيّنا، أبي القاسم المصطفى محمّد، وآله الطيّبين الطّاهرين المعصومين، [ولا] سيّما بقيّة الله في الأرضين.

كانت زيارة اليوم بالنسبة إليّ - أنا العبد - زيارة محبّة وحميدة. بالطبع، نعلم أنّ إخوتنا الأعزاء في مجموعة القوات المسلحة وفي [القوّة] الجو-فضائية لـ «حرس الثورة» وفي وزارة الدفاع يعملون على إنجاز أعمالٍ ممتازة وجيدة، وغاية الأمر أنّ الرؤية والمشاهدة من قرب لها أثر آخر طبعاً. لو أنّ القطاعات المختلفة في البلاد - إحداها القوات المسلحة - تدرس كلّ منها الاحتياجات وتنجز العمل بناء عليها،

ففي رأيي، سيكون نمو البلاد وتقدمها أسرع وأفضل، وهذا درسٌ لنا. إنَّ الأمر الأساسي هو الدقة العلميَّة والعمل العلمي والبحثي وأيضاً الدافع والعزم اللذان ينبعان من الإيمان. لحسن الحظ، وفي أيِّ قسم خاض فيه شبابنا - من أمثالكم - بعزم وإيمان، فقد استطاعوا أن يحققوا أعمالاً عظيمة. هنا أيضاً يشاهد المرء علامات هذا العزم والإيمان نفسه؛ من الواضح أنَّ ما أنجز كان قد أنجز بإرادة فولاذية ومثابرة، ومع الاعتقاد بمهمَّة تقع مسؤوليتها على عاتق الإنسان. إنَّ للاعتقاد بهذه الوظيفة أثر بالغ، وهو يساعد كثيراً كونه الدعامة الأساسية لهذا الإيمان والاعتقاد الذي يملكه الإنسان. ما حقَّقتموه تمَّ بناء على الإبداع الذي هو مهم للغاية، ولا ينبغي التفریط به.

أنتم اليوم - بحمد الله - تقفون في مستوى جيد لكن ليس معنى هذا أن يكون المستوى الذي هو اليوم جيد - في رأينا - هو نفسه الجيد لنا غداً أيضاً؛ كلا، لأنَّ الآخرين أيضاً يعملون، والآخرين كذلك يمضون قُدماً. إنَّ الأخبار التي لا تنفك تصل إلينا من أماكن مختلفة عن مختلف المجموعات العسكرية أو غير العسكرية تكشف عن أنَّ هذه الحركة نحو التقدُّم في العالم أمر مستمر وعام، والجميع يبذلون جهوداً. علينا أن نسعى ألا نكون متخلِّفين، وألا نتخلَّف. حسناً، وبحمد الله، الحركة والتقدُّم في مجموعتنا، أي أنتم ونظرائكم في مختلف مراكز القوات المسلحة، كان كل منهما تقدماً سريعاً ومنشوداً كذلك فهو تقدُّم منشود، وقد تقدَّموا بسرعة جيدة. هذا جيد جداً، ولكن إذا انخفضت هذه السرعة، فستأخَّر لأنَّ الآخرين أيضاً يتحرَّكون ويعملون ويحققون تقدماً. بالطبع وضعنا في بعض القطاعات جيد جداً، ومن جملة ذلك هذه [الإنجازات] نفسها التي عُرضت اليوم. وفي بعض القطاعات، ليس الأمر كذلك، فوضعنا ليس بهذه الجودة [فيها]. لدينا خلل ونقص، وعلينا العثور على هذا أيضاً، وتحديد

احتياجاتنا، والمضيّ خلف رفع موطن الحاجة. هذا عمل ضروري وواجب. وعلى أي حال، فلنسأل الله المتعالي العون.

فلأذكر كلمة قصيرة أيضاً عن أحداث فلسطين الجارية، فهي أيضاً مهمة. أوضحت هذه الأحداث الجارية في غزة كثيراً من الحقائق الخفية والمكتومة لشعوب العالم. من هذه الحقائق أنّ رؤساء الدول الغربية المعروفة والمعتدّ بها، ورغم الادعاءات كافة التي يدّعونها، ليسوا أبداً معارضين للتمييز العنصري، بل هم أنصار هذا التمييز. لماذا؟ لأنّ الكيان الصهيوني هو مظهر التمييز العنصري. فالصهاينة يرون أنفسهم عرقاً متفوقاً ويعدّون آحاد البشرية -الأجناس البشرية شتى التي ليست صهيونية ولا يهودية - من عرق منحط. لهذا، وحينما مثلاً يقتلون آلافاً من الأطفال في غضون بضعة أيام لا يشعرون بتأنيب الضمير، كأنّهم أجهزوا مثلاً على بضعة آلاف من الحيوانات! هذه هي حقيقة الصهاينة. وها هو رئيس الولايات المتحدة، ومستشار ألمانيا، ورئيس فرنسا، ورئيس وزراء بريطانيا، يدافعون عن مثل هذا الوجود ومثل هذه الماهية، بل يدعمونه، فما معنى هذا؟ معناه أن قضية التمييز العنصري هي اليوم إحدى قضايا العالم المهمة، وانفتحت أعين البشرية [عليها]. التمييز العنصري من أكثر العقائد والنزعات كراهية، لكن كلّ هؤلاء القادة المعروفين يؤمنون بالتمييز العنصري، ولا اعتراض لديهم مطلقاً عليه. وإلا فلو كانوا معارضين، لكان يجب أن يُظهرَ هذا الأمر نفسه في ما يتعلق بقضية غزة وفلسطين. على شعوب أوروبا والشعب الأمريكي والشعوب [كافة] أن تُحدّد مسؤوليتها إزاء هذا الوضع، وأن يبيّنوا هل هم أيضاً في الواقع أنصار التمييز العنصري كرؤسائهم أم لا؟ فإذا لم يكونوا، فليُحدّدوا موقفهم. هذه نقطة. ثمة نقطة أخرى هي أنّ الكيان الصهيوني، مع كل البهرجة والزخرفة التي

يُبديها، والقصف وتوجيه ضربات وما شابه، أخفق إلى الآن في تحركه. قالوا منذ البداية إنَّ هدفهم هو مثلاً القضاء على «حماس» أو المقاومة وأن يشلُّوها ويركعوها، ولم يتمكنوا إلى الآن من إنجاز هذا العمل. مضى الآن ما يقارب أربعين يوماً أو أكثر وهم منكبون بقدرتهم العسكرية وبالإمكانات التي يملكونها كافة على ارتكاب مثل هذه الجرائم، ولم يستطيعوا تحقيق ذاك الأمر. السبب أيضاً في أنَّهم يرمون القنابل على رؤوس الناس كونهم استشاطوا غضباً، فهم غاضبون بسبب هذا العجز. إنَّ الكيان الصهيوني غاضب الآن بشدة وساخط، ولهذا يرتكب هذه الجرائم، فيقصف المستشفيات والمرضى والأطفال والنساء لأنه مُني بالهزيمة. قولنا: «لقد هزم الكيان الصهيوني»<sup>(٢)</sup> إنَّما هو واقعٌ. فالتوغَّل إلى داخل المستشفى الفلاني وبيوت الناس العُزَّل، ليس نصراً، إنَّما النصر حينما يتمكنون من إلحاق الهزيمة بالطرف المقابل لهم، وبالقوات التي تُهاجمهم، وبالقوات العسكرية التي تقف في وجههم، [لكنهم] لم يستطيعوا إلى الآن، ولن يستطيعوا، إن شاء الله. إنَّ القضية تحظى بأبعاد أهم حينما يلتفت الإنسان إلى أنَّ هذا «العجز» لا يختص حتى بالكيان الصهيوني، فأمريكا أيضاً عجزت - البديهي أنَّهم داخل الميدان؛ أمريكا داخل الميدان - والدول الغربية أيضاً التي تقدم المساعدة. في دراسة الحركة التاريخية للإنسان، تبدو هذه المسألة في غاية الأهمية. لقد وصلنا إلى مرحلة تعجز فيها منشآت عسكرية ضخمة ومزوَّدة بالعتاد ومُعَدَّة بأشكال السلاح كافة عن أن تلحق الهزيمة في مثل هذه الساحة بالطرف الذي يواجه والذي لا يملك في الظاهر أيّاً من تلك المعدات! هذه ظاهرة مهمَّة، وهي حقيقة. لنقل كلمة قصيرة أيضاً عن واجبات الدول الإسلامية. إنَّ بعض هذه الدول تُندد أحياناً في المحافل والتصريحات وما شابه بالقصف - حتى إنَّ بعضهم لا



يُنددون! - لكن هذا غير كافٍ؛ يجب أن تقطع هذا التدفق والشریان الحيوي للكيان الصهيوني، وعليها ألا تسمح بوصول الطاقة والنفط والبضائع وما شابه إلى الكيان، وأن تقطع علاقاتها السياسية معه حتى لو مدة محدودة على الأقل. افترضوا عاماً أو أقل أو أكثر. فلئن أرادوا ألا تقع هذه الجرائم، وأن تتوقف هذه الكارثة وتنتهي، فإنَّ هذا العمل تكليفهم. ينبغي للشعوب كذلك ألا تسمح بأن يطوي النسيان مظلومية الشعب الفلسطيني، فيجب أن يواصلوا هذه التجمعات والتحركات، إن شاء الله.

يحدونا أمل كامل في المستقبل، وعلى يقين بالوعد الإلهي وبأنَّ هذا الوعد سيتحقق إن شاء الله، وسنعمل - إن شاء الله - بما نراه تكليفنا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

### الهوامش

- [١] قدّم القائد أمير علي حاجي زاده (قائد القوّة الجو-فضائيّة في «حرس الثورة الإسلامية») تقريراً في بداية هذه المراسم التي أجريت في موقع المعرض الدائم للقوّة الجو-فضائيّة في «حرس الثورة الإسلامية» في جامعة الضباط للعلوم والمهارات الجو-فضائيّة، عاشوراء.
- [٢] من جملة ذلك كلمة القائد في مراسم أداء القسم وتخرج طلاب جامعات الضباط التابعة للقوات المسلحة، ١٠/١٠/٢٠٢٣.

أ. د أنور أبو لحية  
أستاذ جامعي / الجزائر

# الحضارة الإسلامية الجديدة والقيم الإنسانية

## قراءة في خطابات الإمام الخامنئي دام ظله

من الأركان الكبرى التي تتشكل منها الحضارة الإسلامية الجديدة - بحسب رؤية قادة الثورة الإسلامية الإيرانية - [القيم الإنسانية]، وهي وإن كانت تابعة في الكثير من مضامينها للقيم الأخلاقية والاجتماعية إلا أنها نقصد منها خصوصا ما يرتبط بما يطلق عليه [حقوق الإنسان]، وخصوصا تلك التي يتوهم الغرب أنه يمثلها من أمثال: الحرية والإخاء والمساواة والعدالة ونحوها.

ولهذا نجد قادة الثورة الإسلامية الإيرانية عند تبنيهم أو دعوتهم أو اهتمامهم بهذا النوع من القيم يشيرون إلى الفهوم الخاطئة المرتبطة بها، والتي يتبناها الاستكبار العالمي، وعلى أساسها يصنف الدول كما

يشتهي.

وقد رأينا من خلال استقراء  
كلمات قادة الثورة الإسلامية المرتبطة  
بهذا الجانب خمسة معانٍ كبرى، هي:  
أولاً - الاهتمام بحقوق الإنسان.  
ثانياً - الاهتمام بالإخوة الإنسانية.  
ثالثاً - توفير الحرية المسؤولة.  
رابعاً - توفير العدالة الشاملة.  
خامساً - نصره المستضعفين.

#### أولاً. الاهتمام بحقوق الإنسان:

من خلال الاطلاع على خطب  
ورسائل قادة الثورة الإسلامية  
الإيرانية حول حقوق الإنسان، نجد  
نوعين من الأحاديث يكمل بعضهما  
البعض:

أولهما - الرد على ما يسمى  
[منظمات حقوق الإنسان]، بسبب  
كيلها بالمكاييل المزدوجة؛ أو كونها  
تفرض رؤيتها الفكرية على غيرها.  
ثانيهما - الدعوة إلى الاهتمام  
الحقيقي بحقوق الإنسان، والذي لا

وبناء على هذا؛ فإن ما سنذكره  
من اقتباسات ونصوص من كلمات  
قادة الثورة الإسلامية الإيرانية  
يتضمن كلا الأمرين:

الأول: الرد على الفهوم الخاطئة  
المرتبطة بالقيم الإنسانية.

الثاني: بيان المفهوم الصحيح  
للقيم الإنسانية، ومن الرؤية  
الإسلامية.

وقد رأينا أن التصنيف المناسب  
لذلك هو ذكر القيم نفسها، ثم بيان  
ما يرتبط بها من حقائق وفهوم، مع  
العلم أننا قد فصلنا الكثير من هذه  
النواحي في كتاب [إيران: نظام  
وقيم]، لكن لا باعتبار الرؤية  
الفكرية المجردة، وإنما باعتبار  
التطبيقات الواقعية التي تبتتها  
الجمهورية الإسلامية الإيرانية في  
قوانينها، والتي تنبني - طبعاً - على  
الرؤية الفكرية لقادتها.

يتوفر إلا في الشريعة الإسلامية.

وسنذكر نماذج عن أحاديثهم عن كلتا الناحيتين في العنوانين التاليين:

## ١. الرد على الاستغلال الخاطئ لحقوق الإنسان:

نلاحظ من خلال كلام قادة الثورة الإسلامية الإيرانية عن منظمات حقوق الإنسان نبرة غضب شديدة، ذلك أن تلك المنظمات كانت قبل الثورة تقف مع الشاه ونظامه الاستبدادي، وبعد الثورة، صارت تقف ضد كل قيمة من القيم النبيلة التي يوفرها النظام الإسلامي.

من الأمثلة على ذلك قول الإمام الخميني في بعض خطبه عنها - متعجبا -: (كيف يفكر هؤلاء تجاه الشرق والعالم الثالث؟ بماذا يفكرون؟ وكيف ينظرون إلينا؟! هؤلاء الذين يؤسسون المنظمات من أجل (حقوق الإنسان) وحتى حقوق الحيوان، إنما يؤسسونها

للحفاظ على مصالحهم وحدهم، وأما حقوقنا فلا معنى لها عندهم.. يدعون الحفاظ حتى على حقوق الحيوانات ويدافعون عنها، ولكنهم في فيتنام ارتكبوا من المجازر ما يندى لها جبين الإنسانية، وقتلوا مئات الملايين من البشر في سائر أنحاء العالم.. هؤلاء الذين ينادون بحقوق الإنسان، يسحقون الإنسان بهذا الشكل.. وما يؤسف له أننا صدقنا ذلك، وراح بعض مفكرينا ومثقفينا يؤيدون ذلك ويدافعون عنه.. إن الإسلام بقادته من أمثال علي بن أبي طالب، من يمكنه التأسيس لحقوق الإنسان، وليس هؤلاء الذين يدوسون على حقوق الإنسان باسم حقوق الإنسان)<sup>(١)</sup>

ويقول في خطاب آخر - إبان تواجده في النجف الأشرف وفي أربعينية شهداء قم -: (جميع أنواع البؤس الذي عانيناه وما نزال نعانيه، هو بسبب زعماء هذه الدول الذين

في وصف حضارتها، ويُغالون في وصف ديمقراطيتها، وهذا إعلام كاذب، وشيطنة منهم ليس إلا، فقد دفعوا الناس بالإعلام الخادع إلى التصديق بأنّ انجلترا تقف على هرم الديمقراطية، وأنّ الملكية الدستورية مطبقة بمعناها الحقيقي في إنجلترا، وأوهموا الناس بقبول هذا المعنى بإعلامهم، ونحن رأينا الجرائم التي ارتكبتها انجلترا في الهند وباكستان ومستعمراتها الأخرى، وما فعلت أميركا بالمسلمين، وما تقدّمه من الدعم حالياً لريبتها إسرائيل التي أقاموا لها كياناً هناك.. ومن ناحية أخرى وضعوا عميلاً لهم في مصر اسمه السادات الحاكم الناشط في تطبيق مخططات الاستعمار، وكلّنا نعلم بزيارته لإسرائيل، وفي الخمسين سنة التي تذكّرها، وهي تمثّل حالة العزاء، تمثل المصيبة لإيران بما ذاق الشعب من هذه الأسرة الظالمة، قامت انجلترا - المحبّة للإنسان! -

وقّعوا على إعلان حقوق الإنسان، فإنّ الموقعين على إعلان حقوق الإنسان هم أولئك الذين سلبوا حرية الإنسان في جميع الأوقات التي أمكنتهم فيها الفرص.. وأهم ما في إعلان حقوق الإنسان هو حرية الأفراد، فكل فرد من أفراد البشر حرّ، ويجب أن يكون حرّاً، ويجب أن يكون الجميع متساوين إزاء القانون، الجميع يجب أن يكونوا أحراراً في بلدانهم، وأحراراً في عملهم، وأحراراً في مشيهم.. هذا هو إعلان حقوق الإنسان المتضمّن لهذه المسألة.. والمسلمون، بل جميع البشر، كانوا يعانون من هؤلاء الذين وقّعوا وصادقوا على إعلان حقوق الإنسان<sup>(٢)</sup>

ثم ضرب لهم الأمثلة على ذلك بما تفعله إنجلترا وأمريكا، فقال: (ونحن نرى هذا المعنى ينطبق على أميركا التي وقّعت إعلان حقوق الإنسان، وعلى إنجلترا التي يبالغون

واستبدادي<sup>(٤)</sup>

فعاد الصحفي يسأله عن الموقف من الاتحاد السوفياتي، وهو يتوهم أن رفضه لأمريكا يعني قبوله بالاتحاد السوفيتي، فأجابه الإمام الخميني: (هو الموقف ذاته إزاء أميركا..

القوتين العظميين استغلنا واستثمرتا شعبنا وأنا لا أجد فرقاً بينهما.. بل، حتى لا أجد فرقاً بينهما وبين انكلترا.. وإذا تحقّق استقلال إيران، يمكن حينئذ إقامة علاقات سليمة مع دول العالم كافة<sup>(٥)</sup>)

وهكذا نجد الإمام الخامني يستعرض في كتبه وخطبه ومحاضراته ما يطرحه الغرب من أفكار وممارسات حول حقوق الإنسان، ويبين نواحي الدجل والخلل الواقع فيها، ومن الأمثلة على ذلك قوله متسائلاً - بعد استعراض جهود الغرب في هذا المجال -: (السؤال الأول هو: هل كانت المحاولات

انجلترا الديمقراطية التي وقّعت على إعلان حقوق الإنسان بإيصال رضا خان إلى السلطة، وذلك بحسب إقرارها هي، وجعلتنا عرضة للعناء حوالي عشرين سنة، وجعلت الشعب المسلم في مشقة<sup>(٣)</sup>)

وعندما سأله بعض الصحفيين إبان تواجده في فرنسا قائلاً: (هل تفكّر كما يفكر البعض بأن أميركا تتطلّع إلى إقامة نظام ليبرالي ذي نزعة تحررية في إيران؟)، قال مجيباً له: (هل تعني الإعلان الخاص باحترام حقوق الإنسان؟.. هذا الموضوع ليس أكثر من كلام مجرّد، وأنا لا أؤمن به.. يكفي أن تنظر إلى كارتر - الرئيس الأمريكي - في زيارته لطهران حيث جدّد دعمه للشاه إضافة إلى ذلك لم يكذب هذا الدعم عملياً.. على أية حال نحن لا نقبل - في أي وقت - نظاماً له ملامح وصورة النظام الليبرالي الحر، إلّا أن جوهره ومحتواه ديكتاتوري



أساليب سلب حقوق الإنسان والشعوب المحرومة قد تطورت وتعمقت وأصبح من الصعب علاجها.. نحن لا يمكننا تقبل ادعاءات منظمات حقوق الإنسان ولا ادعاءات هؤلاء الذين يدعون مناصرة حقوق الإنسان، بينما نحن نشاهد الواقع المر لشعوب إفريقيا وآسيا، وجوع ملايين البشر، وحرمان العديد من الشعوب من أبسط حقوقها الاجتماعية.. إن هؤلاء الذين رفعوا عقيرتهم خلال الأربعين عاماً الماضية دفاعاً عن حقوق الإنسان إنما هم أنفسهم قد سلبوا ولا زالوا يسلبون حقوق الشعوب المحرومة في العالم الثالث، واليوم نشاهد حكومات وأنظمة تسلّمت السلطة في العالم الثالث تستند إلى تلك القوى نفسها وتنتهج طريقها نفسه في انتهاك حقوق الإنسان في بلدانها.. إن الحكم الجبارة الذين كثر عددهم خلال

التي جرت خلال القرنين الماضيين، وخاصة خلال نصف القرن الأخير، منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن وتحت اسم حقوق الإنسان، موفقة أم لا؟ وهل استطاعت كل هذه التصريحات والاجتماعات والمؤتمرات من جانب هيئة الأمم المتحدة والإذاعات حول حقوق الإنسان أن توصل البشر إلى حقوقهم الحقّة؟ أو في الأقل هل استطاعت إعطاء الإنسان الجزء الأكبر من حقوقه؟<sup>(٦)</sup>

ثم قال مجيباً: (إن الإجابة عن هذا السؤال ليست صعبة، فمجرد الإطلاع على حقائق عالمنا اليوم، يكفي لإثبات إخفاق كل ما بذل في هذا المجال لحد الآن، ونظرة عابرة لوضع المجتمعات المتخلفة التي تشكل النسبة الأكبر من سكان العالم ستثبت لنا أن أكثر البشر لم يحصلوا خلال نصف القرن الأخير على حقوقهم، وليس هذا فحسب بل إن

الأموال الطائلة على حساب الفقراء  
والجوع في هذه الدول؟<sup>(٧)</sup>

ثم ذكر الدور القذر الذي  
مارسته المنظمات الدولية في هذا  
الواقع، فقال: (إن الذين أسسوا  
منظمة الأمم المتحدة، وأصدروا  
الإعلان العالمي لحقوق الإنسان،  
والذين يواصلون اليوم وبكل  
صلافة الادعاء بالدفاع عن هذه  
الحقوق، هم أنفسهم سبب معاناة  
الشعوب وتعاستها، وإلا فلماذا تبقى  
إفريقيا الغنية بالثروات والموارد  
الطبيعية، وأميركا اللاتينية المليئة  
بالثروات الطبيعية، والهند الكبيرة  
الواسعة، ودول العالم الثالث التي  
تمتلك كل هذه الطاقات البشرية  
والثروات الطبيعية، لماذا تبقى كل  
هذه المناطق متخلفة عن مواكبة  
ركب التطور والتقدم؟.. إن الذي  
يحكم العالم اليوم، هم أصحاب المال  
والقدرة الذين وضعوا بأنفسهم  
أسس الإعلان العالمي لحقوق

نصف القرن الأخير في آسيا وإفريقيا  
وأميركا اللاتينية، لا يستطيعون  
انتهاج الدكتاتورية دون الاعتماد على  
القوى الكبرى في العالم، والقوى  
الكبرى هي نفسها التي ترفع عقيرتها  
دوماً بشعارات الدفاع عن حقوق  
الإنسان، وهي التي أسست الأمم  
المتحدة التي لا زالت حتى اليوم  
خاضعة لسيطرتها.. إن تفشي الفقر  
والجوع والموت في العديد من دول  
العالم، إنما هو نتيجة التدخل والظلم  
والاغتصاب الذي تقوم به هذه  
القوى.. فمن الذي أوصل إفريقيا  
المليئة بالخيرات إلى ما هي عليه  
اليوم؟ ومن الذي استغل شعبي  
بنغلادش والهند لسنوات طوال  
وأوصلهما إلى هذا الوضع بحيث  
يتفشى فيهما الجوع والموت بينما  
تملكان من الخيرات والبركات ما  
شاء الله؟.. ومن الذي ينهب ثروات  
دول العالم الثالث ويطوّر  
تكنولوجياه وصناعاته ويجمع



التمييز العنصري داخل الدول المتقدمة نفسها.. إذا فمنظمة الأمم المتحدة لم تفعل شيئاً من أجل حقوق الإنسان، إذ قُصر دورها في المشاكل العالمية على التوصيات والإرشادات فقط كما تفعل أية كنيسة<sup>(٩)</sup>

ثم ذكر نواحي الخلل الواضحة في تلك المنظمات، والتي لا توفر إلا المزيد من حق الهيمنة للدول المستكبرة، فقال: (في منظمة الأمم المتحدة، يوجد مجلس الأمن الدولي الذي يعتبر النواة المركزية للمنظمة ومركز القرار، وفيه تمتلك الدول الكبرى حق النقض (الفيتو) فتستطيع الدول الكبرى نقض أي قرار يتخذه المجلس ضد المتسببين في إضعاف الشعوب وإبقائها متخلفة.. إن منظمة الأمم المتحدة وكل المنظمات التابعة لها، سواء أكانت ثقافية أم اقتصادية أم فنية أم غيرها.. خاضعة لتأثير القوى الكبرى، وقد شاهدتم الضغوط التي مارستها

الإنسان، وها نحن نرى الوضع المأسوي الذي تعاني منه الشعوب وهي ترزح تحت نير تسلط هذه القوى ونهبها لها)<sup>(٨)</sup>

ثم تساءل عن الدور القذر الذي مارسته منظمة الأمم المتحدة في هذا الواقع المؤلم، فقال: (منظمة الأمم المتحدة التي تعتبر ثمرة كل الجهود الرامية إلى حفظ حقوق الإنسان، ما الذي عملته للشعوب، وماذا تفعل اليوم؟ وفي أية قضية سياسية أو كارثة كبرى أصابت الشعوب استطاعت هذه المنظمة أن تلعب دوراً فعالاً وإيجابياً؟ ومتى نهضت هذه المنظمة لدعم المظلوم؟ ومتى استطاعت هذه المنظمة منع القوى الكبرى من مواصلة سياساتها الظالمة؟ إن هذه المنظمة أكثر تخلفاً من الكثير من الدول والشعوب.. فعلى الرغم من كل هذه الإدعاءات، فإنكم تشاهدون في إفريقيا اليوم نظاماً عنصرياً، بل إنكم تشاهدون

تلك الآمال التي عُقدت على هذه المنظمة، نشاهد اليوم مدى عجز هذه المنظمة عن تأمين حقوق الإنسان<sup>(١١)</sup>

وقد أرجع الإمام الخامني سبب إخفاق تلك المنظمات إلى كونها لم تكن صادقة ولا مخلصه، يقول: (صحيح أنه كان من بين المتصدين لحقوق الإنسان مفكرون وفلاسفة ومصلحون، إلا أن السياسيين كانوا يتحكمون بكل شيء حتى أن جهود بعض المصلحين أصبحت بالنتيجة تصب في مصلحة تجار السياسة.. ففي الماضي، كان الذين يطلقون نداءات الدفاع عن حقوق الإنسان هم الأنبياء والحكماء وأمثالهم، أما اليوم فنشاهد هذه النداءات تصدر عن السياسيين، ولهذا فمن حقنا أن نشك في صدقها وإخلاصها)<sup>(١٢)</sup>

ثم ضرب المثال على ذلك بالرئيس الأمريكي، فقال: (انظروا من الذي

أميركا ضد منظمة اليونسكو الثقافية بسبب مجيء رجل مسلم إلى رئاسة المنظمة يسعى إلى إبقائها مستقلة؛ فقد شاهدتم خلال الستين الماضيتين حجم الضغوط التي مارستها أميركا ضد هذه المنظمة ورئيسها.. إذا فالأمم المتحدة، باعتبارها ثمرة كل الجهود التي بذلت من أجل حقوق الإنسان، تراها اليوم عقيمة لا فائدة منها، بل إنها تتصرف أحيانا وكأنها ملك للقوى الكبرى)<sup>(١٣)</sup>

ومع هذا الموقف من تلك المنظمات نرى حكمة الإمام الخامني في عدم رفضه المطلق لوجود تلك المنظمات، يقول: (ومع ذلك فإننا لا نرفض وجود الأمم المتحدة أساساً، بل نعتقد أنها يجب أن تبقى، ولكن يجب أن يجري إصلاحها، فنحن أيضاً عضو فيها.. والذي أريد قوله هو أنه بعد كل تلك الجهود والضجيج والادعاءات، وبعد كل

رأسهم أميركا، كانوا يسعون إلى فرض سلطتهم وهيمنتهم على العالم.. إن هؤلاء هم أنفسهم الذين قتلوا عشرات الآلاف من البشر بالقنبلة الذرية، وهم أنفسهم الذين زجّوا بأبناء الهند والجزائر وإفريقيا في جيوش تخوض حروباً لا علاقة لها بهذه الدول من قريب ولا من بعيد.. نعم إننا لا يمكن أن نصدّق أبداً أن روزفلت وتشرشل وستالين وأمثالهم قد فكروا يوماً بحقوق الإنسان الحقيقية، أو أنهم كانوا صادقين ومخلصين في تأسيسهم منظمة الأمم المتحدة وإصدارهم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان<sup>(١٤)</sup>

وانطلاقاً من هذا كله ذكر الإمام الخامني أسباب كل هذا العجز والإخفاق في هذه المساعي، فقال: (نحن نعتقد أن ما يطرح اليوم باسم حقوق الإنسان إنما يطرح في إطار نظام معوّج وخاطيء، ألا وهو نظام الهيمنة، نظام الظلم، وهو ما يؤمن

ينادي بحقوق الإنسان اليوم، فالرئيس الأميركي السابق اتخذ من ضمان حقوق الإنسان شعاراً ليصل بواسطته إلى الرئاسة، وفي أيام رئاسته الأولى كان يظهر من أحاديثه وتصريحاته أنه يريد العمل بجد بهذا الخصوص، إلا أنه وقف في النهاية إلى جانب أظلم الحكام المعارضين لحقوق الإنسان وأقساهم وأشرسهم في المنطقة، فقد وقف إلى جانب الشاه والصهاينة المتسلطين على فلسطين وسائر المستبدين المعروفين في هذا العصر)<sup>(١٣)</sup>

وهكذا الأمر بالنسبة لسائر الحكام والسياسيين، يقول الإمام الخامني: (إن الحكام ورجال السياسة الذين يرفعون عقيرتهم اليوم بالدفاع عن حقوق الإنسان في المؤتمرات والمحافل الدولية، ليسوا بأفضل ممن سبقوهم، إذ أننا لا نشاهد الصدق والإخلاص في تحركاتهم.. فالذين وضعوا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وعلى

ثم ذكر أن هناك قسماً ثالثاً، وهم الثائرون على الهيمنة، فقال: (فالذين يرفضون هذا النظام والذين يتمردون على الوضع الاجتماعي والسياسي السائد في العالم، هم أولئك الثوار التحرريون أو دول قليلة جداً، وهؤلاء يتعرضون لضغوط مستمرة، والجمهورية الإسلامية خير مثال على ذلك، فقد رفضت نظام الهيمنة بكل أشكاله، ورفضت هيمنة أية جهة أو دولة أو مجموعة، سواء أكانت شرقية أم غربية.. وقد شاهد الجميع ما واجهته الثورة الإسلامية خلال سنيّ عمرها الثماني من ضغوط سياسية وعسكرية واقتصادية وإعلامية بسبب اتخاذها الموقف الصادق والجاد والمستقل من نظام الهيمنة.. فإن كانت هناك بعض التقدمية تقف بوجه الهيمنة الغربية والأميركية، فسنلاحظ أنها تميل إلى المعسكر الشرقي بنسب متفاوتة، فبعضها

به أولئك الذين أوجدوا الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والذين يرفعون اليوم عقيرتهم ويملاؤون الدنيا شعارات دفاعاً عن هذه الحقوق، كما يؤمن به أيضاً - مع الأسف - أغلب الحكام والسياسيين في العالم، ويتلخص معنى هذا النظام في أن هناك مجموعة من الناس تهيمن على الباقيين ويجب أن تبقى هيمنة.. هذا النظام تتبعه ثقافة الهيمنة)<sup>(١٥)</sup>

وبناء على هذا طبق الإمام الخامني النظرية القرآنية في تقسيم المجتمعات إلى قسمين: مستكبرين ومستضعفين، فقال: (العالم اليوم مقسّم إلى قطبين أو مجموعتين: مجموعة المهيمنين، ومجموعة الخاضعين لهذه الهيمنة، فالمجموعة الأولى تعتقد بأن نظام الهيمنة يجب أن يسود، والثانية رضيت بهذا النظام وخضعت للهيمنة.. وهذا هو الخلل الكبير في الوضع العالمي اليوم)<sup>(١٦)</sup>

حقوق الإنسان قد انطلقت من هذه النظرة، ووجدت وتنامت في إطار هذا النظام؛ فالذين ينادون بحقوق الإنسان في الغرب ويسعون إلى إعطاء مواطنيهم بعض الحرية الشكلية والإمكانات الرفاهية، يقومون هم أنفسهم بقتل آلاف البشر من الدول الأخرى، فما الذي يعنيه ذلك غير سيطرة ثقافة الهيمنة على عقول هؤلاء؟ إنهم يقسمون الإنسان في العالم إلى نوعين: الأول: إنسان يجب الدفاع عن حقوقه، والثاني: إنسان بلا حقوق، يجوز قتله واستعباده واغتصاب ثرواته.. هذه هي ثقافة الهيمنة المسيطرة على العالم، وحقوق الإنسان المطروحة اليوم، إنما هي وليدة هذه الثقافة<sup>(١٨)</sup>

## ٢. الدعوة إلى الاهتمام الحقيقي بحقوق الإنسان:

لعل أحسن ما نكتفي به في هذا العنوان تلخيص محاضرة علمية

يرتمي بشكل كامل في أحضان المعسكر الشرقي وروسيا، وبعضها الآخر يميل إلى هذا المعسكر مع وضوح الاستقلالية في الكثير من مواقفهم وسياساته<sup>(١٧)</sup>

ثم ذكر السبب في محدودية هذا القسم الثائر على نظم الهيمنة، فقال: (نحن نعتقد أن الدول الفقيرة، والدول التي رضخت للهيمنة والدول التي أُجبرت على الرضوخ للهيمنة رغم امتلاكها القدرات والثروات، بإمكانها الوقوف بوجه القوى الكبرى إن أرادت ذلك، وهذا الأمر يسير لا يحتاج إلى معجزة، إذ يكفي حكومات هذه الدول أن تعتمد على شعوبها.. إن ضعف نفوس وإرادة بعض الحكام، وخيانة بعضهم الآخر أدّى إلى خضوع هؤلاء لنظام الهيمنة، فهذا النظام هو الذي يسيّر الاقتصاد والثقافة والعلاقات والحقوق الدولية، وطبيعي أن تكون مسألة

خلال ذلك وجهات نظر جيدة ومفيدة وعميقة<sup>(١٩)</sup>

ثم ذكر أن الموقف العلمي والموضوعي مما ذكره الغرب عن حقوق الإنسان، لا يستدعي رفض كل ما ذكره، يقول: (إننا - بالطبع - لا نرفض كل ما قاله الغرب بشأن حقوق الإنسان، كما إننا لا نتقبله كله، إذ إن هناك في البحوث الموجودة نقصاً مبدئياً موجوداً في جميع المساعي المبذولة في أرجاء العالم بخصوص حقوق الإنسان)<sup>(٢٠)</sup>

ثم ذكر بعض مظاهر ذلك النقص، فقال: (على الرغم من كل الجهود المبذولة، ما زلنا نرى أن قضية حقوق الإنسان من القضايا التي لا حل لها في عالمنا اليوم.. أقصد أن حقوق الإنسان ما زالت غير متوفرة حتى الآن.. إنك حينما تلتفت بنظرك في العالم تجد المحاباة، والقيود، والفقر المفروض، وانعدام الثقافة الاجباري، بل تجد أن حقوق

مطولة للإمام الخامنئي حول جذور اهتمام المعاصرين بحقوق الإنسان، وأسباب الخلل الواقع فيها، وهو الخلل الذي حصل بعد ذلك للمنظمات التي تبني تلك الحقوق.. وهو من خلال تلك المحاضرة أعطى البدائل الشرعية الصحيحة لكل ما ذكره من أسباب الخلل.

قال في بداية المحاضرة - مبينا جذور الاهتمام بحقوق الإنسان في العصر الحديث -: (لقد طرحت قضية حقوق الإنسان - كما يعلم الإخوة - منذ القرن الثامن عشر في أوروبا والعالم الغربي كمسألة يدور حولها الكثير من اللغط والكلام والجدل.. لقد برزت قضية حقوق الإنسان، قبل الثورة الفرنسية الكبرى، في بعض البحوث الثانوية في كثير من الكتب والمحاضرات والمؤتمرات، وما زالت حتى اليوم من القضايا التي يوليها الغرب الكثير من اهتمامه، وطبيعي أن تبرز من



الإنسان تداس بالأقدام في بعض نقاط من العالم على الرغم من المساعي الكثيرة التي بذلت وتبذل في سبيل هذه القضية<sup>(٢١)</sup>

ثم استطرد مبينا أن الغرب الذي يقصده ليس الغرب الرأسمالي فقط، فقال: (إنني عندما أشير إلى الغرب ونقص الثقافة الغربية، لا أعني أن الثقافات الأخرى الشائعة في العالم هي خير من تلك، بل أريد القول إن الثقافة الغربية هي - في الحقيقة - أم الثقافات الشائعة في العالم اليوم، بما فيها الثقافات الماركسية والاشتراكية في العالم الثالث.. من المؤسف أن نلاحظ أن ما يخطط له في الدول المتخلفة بهذا الخصوص يدور حول محور ما يقوله، ويزوقه مفكرو الغرب.. بل إن الشعراء والمفكرين والفلاسفة والمصلحين في هذه الدول واقعون تحت تأثير أقوال أولئك المفكرين الغربيين وتزويقاتهم، وثقافة الكتلة الشرقية والفكر

الماركسي أيضاً - كما قلنا - من منتجات الثقافة الغربية، ولذلك فهي واقعة أيضاً - وبشكل خاص - تحت تأثير تلك الثقافة نفسها، وحتى إذا ما ارتفعت فيها نغمة مضادة تماماً لما يرتفع في الغرب من نغمات، فإن الغرب هو الذي رفعها.. كان لينين يقول: (الحرية تعني ديكتاتورية البرجوازيين، إذن، في قبال تلك الديكتاتورية يجب أن يرتفع علم ديكتاتورية البروليتاريا) الديكتاتورية مرة أخرى.. وهكذا ترون أن فكرة ديكتاتورية البروليتاريا لم تكن سوى انعكاس وتأثر بما كان يدور في ذهنه من الثقافة الغربية.. وما جذور الثقافة الماركسية إلا نتائج الثقافة الغربية، وهذا أمر واضح لا لبس فيه<sup>(٢٢)</sup>

ثم ذكر جذور الخلل في الفكر الغربي، والتي صرفته عن المعرفة الدقيقة بحاجات الإنسان وحقوقه، فقال: (على كل حال، هناك عيب أساس واحد يوجد

ثم استطرد مبينا أن الغرب الذي يقصده ليس الغرب الرأسمالي فقط، فقال: (إنني عندما أشير إلى الغرب ونقص الثقافة الغربية، لا أعني أن الثقافات الأخرى الشائعة في العالم هي خير من تلك، بل أريد القول إن الثقافة الغربية هي - في الحقيقة - أم الثقافات الشائعة في العالم اليوم، بما فيها الثقافات الماركسية والاشتراكية في العالم الثالث.. من المؤسف أن نلاحظ أن ما يخطط له في الدول المتخلفة بهذا الخصوص يدور حول محور ما يقوله، ويزوقه مفكرو الغرب.. بل إن الشعراء والمفكرين والفلاسفة والمصلحين في هذه الدول واقعون تحت تأثير أقوال أولئك المفكرين الغربيين وتزويقاتهم، وثقافة الكتلة الشرقية والفكر

والعبودية للذهب والفضة، والعبودية لمختلف النظم غير الإلهية، هذا هو أكبر حق من حقوق الإنسان، ولكنهم تجاهلوه<sup>(٢٣)</sup>

وهكذا يرجع الإمام الخامني - كسائر قادة الثورة الإسلامية الإيرانية - كل خلل يحصل في الواقع إلى الخلل المرتبط بالرؤية الكونية التوحيدية، يقول: (التوحيد هو ما لا يعثر عليه في كل هذه الجهود.. تلك هي المنقصة الكبرى.. لا نقصد بالتوحيد مجرد الذهنية المحضة فقط، بل التوحيد بصفته فكراً اجتماعياً، أو مشروعاً لبناء العالم وبناء المجتمعات البشرية.. أما التوحيد بمعنى أن الحكم لله على جميع شؤون حياة الإنسان، فهذا ما نجد مكانه خالياً في العالم.. وحيثما لا يكون الحكم لله، يكون الإنسان عبداً لله، يكون الإنسان عبداً لله، وهذا تضييع لأكبر حق من حقوق الإنسان.. إن المفكرين

في جميع ما يعرض اليوم في العالم باسم حقوق الإنسان، سواء أكان ذلك في المساعي العملية، ك نشاط المؤسسات التي تبذل جهودها في هذا السبيل، أم في المساعي الفكرية، كالآراء التي يعرضها المفكرون على هذا الصعيد.. وعلى الرغم من الجهود الواسعة التي يبذلها عالم اليوم من أجل حقوق الإنسان - وبعض تلك الجهود مدفوع بدافع الإخلاص حقاً - فإنها تنطبق عليها الآية الكريمة التالية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].. هذا - في الحقيقة - يجسد المساعي التي تبذل في العالم من أجل حقوق الإنسان، وقد قلنا إن بعضاً منها مدفوع بدافع الإخلاص.. إن المشكلة الرئيسية في نظرنا هي أن أهم حق من حقوق الإنسان قد أغفلته تلك المساعي.. إنهم تجاهلوا الأصل وتمسكوا بالفروع.. ذلك الأصل هو حق حرية الإنسان في عدم العبودية لغير الله، كالعبودية للقوة،



مخلصة، طامعة في حياة الإنسان وراء تلك الحركات، ولهذا تجاهلت هذا الحق الأساس للإنسان ونبذته جانباً، وإلاّ، لو كانوا مخلصين حقاً في نظرهم، لرأوا هذا الحق الأصلي للإنسان أمام أعينهم<sup>(٢٤)</sup>

وبعد أن ضرب الأمثلة الكثيرة على الانحراف الذي وقع فيه الغرب في مفاهيمه وتطبيقاته حول حقوق الإنسان، ذكر في ختام المحاضرة العلاج الذي يصحح ذلك الانحراف، فقال: (إن العلاج وطريق الحل الرئيسي هو العودة إلى الدين الخالص، أي التوحيد.. إن ما يستطيع ضمان حقوق الإنسان هو العبودية لله؛ ففي ظل العبودية لله وحده يمكن دفع مفاسد العبودية للمال والقوة والأهواء النفسية والتحريف.. إن على العالم أن يفكر مرة أخرى في الدين الخالص والتوحيد.. ولئن أرادت المجتمعات البشرية أن تنجو من ضغوط القوى

والفلاسفة والسياسيين، الصادقين في أقوالهم وفي أفعالهم - لا الكاذبين - الذين يريدون اليوم أن يضمنوا حقوق الإنسان، فيسعون للحصول على حقوق الأسرة، أو حقوق المرأة، أو حق التقاعد، البطالة، أو التأمين، ولكنهم لا يتجهون لضمان حق الإنسان الأصلي، أي حقه في الحرية الحقيقية.. تلك هي عقدة المسألة.. ولهذا فإننا لا نسيء الظن بالجهود التي بذلت منذ السابق وحتى الآن من أجل حقوق الإنسان.. إننا لا ننكر وجود جهود مخلصة، بل ونكرر قولنا هذا، فنحن لا نشك في وجود مثل هذه المساعي، ولا يمكن أن نخطئ الذين كتبوا كتابات جيدة، وأبدوا آراء طيبة، وعرضوا أمثلاً مقبولة.. نعم، لا نشك في أن هناك جهوداً مخلصة، ولكننا نسيء الظن بقيادات الحركات الكبرى التي تجري في العالم باسم حقوق الإنسان.. إننا نلاحظ وجود أيدي غير

يملكون شيئاً سوى الإيمان وسوى الاعتقاد بالتوحيد الذي كان نافذاً إلى أعماق شعبنا.. كان الشعب يؤمن بأن عليه أن يتقبل العبودية لله، وأن يخرج من تحت نير العبودية لذلك النظام الفاسد، وهكذا قرر ونجح<sup>(٢٥)</sup>

ثم ذكر دور الإيمان في توفير كل ما يحتاجه الإنسان من حقوق، فقال: (هذه هي القوة العظيمة التي ينالها الإنسان بخروجه من عبودية غير الله؛ فإذا ما تحقق هذا؛ تحقق أيضاً سائر الحقوق الأخرى، وعندئذ سوف تحس الشعوب بالحرية، ويومها تذوق المجتمعات طعم حقوق الإنسان.. إن المجتمع الإسلامي يتكفل توفير جميع الحريات وجميع الحقوق الحقّة للإنسان.. إن المجتمع الإنساني، المجتمع المسلم؛ يكفل الحرية والرفاه، والعدالة وحقوق الأسرة، والحقوق الفردية والجماعية.. المجتمع الإسلامي لا يضع فيه حتى

العظمى، فعليها أن تلجأ إلى قوة الله.. إن الإيمان بالله وبالتوحيد الخالص يهب الإنسان - فرداً ومجتمعاً - من القوة ما لا تستطيع معها أية قوة مادية إخضاع ذلك الفرد الإنسان أو المجتمع الإنساني ولا تحطيمه.. وهذا هو السر الكبير في انتصار ثورتنا، فقبل تسع سنوات، وفي مثل هذا اليوم الذي عاد فيه الإمام إلى البلاد بعد (١٥) سنة من البعد عن الوطن قام شعبنا - من دون أن يحمل أي سلاح، أو أن يتمتع بأي قوة ظاهرة - بمقارعة واحدة من أقوى السلطات الحكومية والعسكرية في المنطقة، في الوقت الذي كانت فيه أمريكا تحمي تلك السلطة؛ إذ الحماية التي تقدمها الآن أيضاً أمريكا لأنظمة مثل إسرائيل، كانت تقدمها لنظام الشاه وتجهّزه بالإمكانات وتشجعه على استعمال العنف والشدة، والناس - في قبال هذا الجبل من القوة الظاهرية سياسياً وعسكرياً - لم يكونوا

أيضاً أن تسعى من أجل التحكيم الحقيقي - للدين الخالص - على أنظمتها، وهذا هو وحده طريق ضمان حقوق الإنسان، فبغير هذا يكون كل شيء ناقصاً<sup>(٢٧)</sup>

وقال في كلمة أخرى له حول الموضوع - بعد ذكره لجذور الاهتمام الغربي بحقوق الإنسان -: (طبيعي أننا نحن المسلمين نعلم جيداً أنه إذا كان الغرب قد أولى هذه المسألة اهتماماً كبيراً خلال العقود الماضية، فإن الإسلام كان قد اهتم بها وبأبعادها الواسعة والشاملة منذ قرون عديدة؛ فقد عالجها بشكل أساسي وجذري، وهذا ما نلاحظه في الكتب والآثار الإسلامية الموجودة والتي لسنا بحاجة إلى تفصيلها الآن ما دمنا نتحدث إلى جمع من المسلمين.. إن الآيات القرآنية والأحاديث الواردة عن الرسول الأكرم والأئمة أكدت جميع حقوق الإنسان التي تنبّه إليها العالم

أتفه الحقوق، والأمثلة على ذلك يجب أن نبحث عنها في صدر الإسلام<sup>(٢٨)</sup> ثم ختم محاضرته بقوله: (إن في مجتمعنا أمثلة غير متكاملة على ذلك، إذ أننا مازلنا في منتصف الطريق إلى المجتمع الإسلامي المتكامل، ولكننا نسير في ذلك الاتجاه.. علينا أن نشاهد الصورة الكاملة والدفاع الجميل عن حقوق الإنسان، جميع حقوق الإنسان، في صدر الإسلام، في حياة الرسول الكريم، في أدوار الحكم الحقيقي للإسلام والقرآن على المجتمع.. إنه لم يغفل عن أي حق - مهما صغر - فجميع حقوق أفراد المجتمع مضمونة.. إن علينا أن نواصل السعي للوصول إلى ذلك اليوم.. إن على مجتمعنا أن يستمر في النضال حتى يبلغ تلك النقطة، والطريق أمامه صعب.. كذلك على المجتمعات الإسلامية الأخرى أن تسعى من أجل الحكم الحقيقي للإسلام، وعلى المجتمعات البشرية

الله هذه الحقوق للإنسان وعليه أخذها بكل قوة.. على الشعوب أن تعتمد على الفكر الإسلامي في مواجهة الهيمنة والضغط<sup>(٢٩)</sup>

ثم ذكر بالتجربة الإيرانية، وكيف استطاعت التخلص من نظم الهيمنة، فقال: (هذا الكلام لا يصدر من إنسان يجلس في زاوية المدرسة يفكر بالمسائل والنظريات الإسلامية، بل إنه صادر عن ثورة خاضت تجربة ناجحة ولمست حقائق عديدة، فثورتنا تجربة تقدم نفسها لكل الشعوب.. أنا لا أقول إننا استطعنا حل كل مشاكلنا، فبسبب الثورة واتجاهنا نحو الإسلام اختلقوا لنا مشاكل عديدة، إلا أننا استطعنا إنهاء مشكلة الهيمنة، وشعبنا اليوم مستقل عن جميع القوى، ويمكنه اتخاذ أي قرار يريد به بكل حرية واستقلالية.. وطبيعي أن أمام شعب يريد التحرر من كل أنواع التبعية طريقاً طويلاً وشاقاً، لكن التبعية التي لا تقترن

واهتم بها خلال العهود الأخيرة، وهي تحظى دوماً باهتمام المسلمين والعلماء، وهم ليسوا بحاجة إلى التذكير بها وتكرارها)<sup>(٢٨)</sup>

وقال في كلمة أخرى يجب فيها عن علاج الخلل الواقعي المرتبط بحقوق الإنسان: (برأينا يكمن العلاج في جملة واحدة هي: العودة إلى الإسلام والوحي الإلهي.. إنها الوصفة الطبية النافعة للمسلمين وغير المسلمين على حد سواء.. إن على المجتمعات الإسلامية أن لا تفكر بغير هذا، عليها أن تحيي القرآن والفكر الإسلامي وتستنبط القوانين والأحكام من المصادر الإسلامية (القرآن والسنة) فذلك كفيل بتحديد معالم حقوق الإنسان ومصاديقها، ومساعدتنا في ضمان هذه الحقوق، ولأجل إعطاء الإنسان حقوقه علينا ترك التوصيات والنصائح، فهي عديمة الفائدة، ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]، فلقد أعطى

وقد رأينا من خلال استقراء ما ورد عن قادة الثورة الإسلامية الإيرانية من أحاديث في هذا الجانب أنه يمكن تقسيمها إلى قسمين:

أولاهما: الاهتمام بالدعوة لتحقيق الأخوة والوحدة بين المسلمين فيما بينهم.

ثانيهما: الاهتمام بالدعوة لتحقيق الأخوة بين المسلمين وغيرهم من الشعوب وأصحاب الأديان المختلفة.

وسنورد بعض النماذج عن ذلك هنا.

## ١. الاهتمام بتحقيق الأخوة بين المسلمين فيما بينهم:

وهو نتيجة طبيعية لتبني الإسلام الأصل، والذي تحث مصادره المقدسة على وجوب إقامة هذه العلاقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

باهيمنة هي أمر طبيعي يمكن تحمله، وواضح أن ثورتنا وجمهوريتنا الإسلامية قد ورثتا مجتمعاً مدمراً واقتصاداً منهياراً وثقافة منحطة.. إيران كانت خلال الستين عاماً الأخيرة معرضة للغزو من كل صوب وعلى الأصدعة كافة، ولا يتوقع أحد أن الثورة ستستطيع التعويض عما فات على الصعيد الثقافي والأخلاقي والاقتصادي والعلمي والصناعي في فترة وجيزة، ونحن أيضاً لا ندعي ذلك<sup>(٣٠)</sup>

## ثانياً. الاهتمام بالأخوة الإنسانية:

وهي من القيم الكبرى التي لا يمكن قيام أي مشروع حضاري إسلامي ومسلم من دونها، وهي كذلك من المميزات الكبرى للمشروع الإسلامي عن مشاريع المستكبرين، والتي تنظر إلى غيرها نظرة احتقار ودونية واستكبار.

[الحجرات: ١٠]، وقال: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١]

ولهذا نجد قادة الثورة الإسلامية الإيرانية في خطاباتهم وبياناتهم ورسائلهم يركزون على هذه المعاني، وخصوصاً عند حضور الطوائف الإسلامية المختلفة، ومن الأمثلة على ذلك قول الإمام الخميني في بعض رسائله الموجهة لحكام العرب: (آمل أن تتزايد النزعة الخيرة بين جميع الشعوب الإسلامية وزعمائها؛ كي يحافظوا على كيان الإسلام والبلدان الإسلامية والاستقلال وتحري الشعوب من أغلال القوى الكبرى في الشرق والغرب من خلال حفظ الأخوة الإسلامية والتسليم إزاء الأحكام الإلهية؛ ويكونوا إخوة ورحماء بينهم حسب الأمر الصريح للقرآن، وأشداء ومقاومين أمام الكفار والعتاة.. إن الجمهورية

الإسلامية، وخلافاً لما تسعى إليه الأبواق الدعائية لتصوير وجهها المشرق في شكل كرية، ترغب في أن تمد يد الأخوة إلى جميع البلدان الإسلامية؛ فهي لا تجيز الاعتداء على أي بلد، خاصة البلدان المجاورة وبلدان المنطقة والبلدان الإسلامية الأخرى، اتباعاً للأحكام الإلهية؛ مثلما ترفض هي بدورها أي اعتداء وظلم عليها من أي بلد؛ وتستमित في مواجهة الممارسات التعسفية الظالمة)<sup>(٣١)</sup>

ثم ذكر بأن الحرب الحاصلة حينها بين إيران والعراق، لم تكن سوى دفاع من الإيرانيين عن أنفسهم، وأنهم لم يفكروا أبداً في الاعتداء على أي دولة من الدول، يقول: (تعلمون سيادتكم، أن إيران لم تفعل شيئاً سوى الدفاع عن الإسلام والمظلومين فيها بعد الاجتياح الوحشي لحزب البعث في العراق وارتكاب القتل والنهب والتخريب في المناطق العربية والكردية والمناطق



عن الجمهورية الإسلامية التي لا تفكر  
إلا في مصالح المسلمين والإسلام<sup>(٣٢)</sup>

وقال في رسالة أخرى: (لقد سعى  
الشعب والحكومة الإيرانية منذ  
انطلاقة الثورة الإسلامية الإيرانية  
على الأيدي المقتدرة للشعب العظيم  
بالاتكال على الله تبارك وتعالى، وبعد  
إزالة النظام الشاهنشاهي الفاسد  
الذي أرسى دعائم ظلمه واستبداده  
طوال التاريخ على أكتاف المحرومين  
والمستضعفين، وقطع دابر الناهيين  
الدوليين والمجرمين عن وطننا  
الإسلامي وإقامة الجمهورية  
الإسلامية بوحى من قوانين الإسلام  
الساوية؛ لقد سعى الشعب  
والحكومة، واتباعاً لأحكام الإسلام،  
إلى مد يد الأخوة إلى جميع الدول  
الإسلامية بحكم الأخوة المنصوص  
عليها في القرآن المجيد، والعمل على  
إنقاذ البلدان الإسلامية عبر توحيد  
الكلمة واتحاد صفوف المسلمين، من  
شر القوى الكبرى المتغترسة

الأخرى في إيران المسلمة، التي لم ترتكب  
ذنباً سوى الدعوة إلى الإسلام والأخوة  
الإسلامية بين جميع طوائف المسلمين..  
ورغم أنها والحمد لله تمثل أقوى قوة في  
المنطقة، وأن الكثير من مدن العراق تقع  
في مرمى نيران القوات الإيرانية المسلحة  
وبإمكانها تدميرها خلال مدة قصيرة  
وتتعامل بالمثل، إلا أنها وضعت الصبر  
والتحمل نصب عينها؛ ارضاء لله تعالى..  
وكما تعلمون سيادتكم أيضاً، فعلى الرغم  
من أن إيران تمثل بلداً ثورياً، وأن جميع  
الثورات تضع ضمن أولوياتها قتل  
المعارضين وسجنهم وتوقيف الأحزاب  
وإعلام الشرائع السياسية حتى باحتمال  
المعارضة، إلا أنها فسحت المجال لجميع  
الفئات والأحزاب بمجرد انتصارها،  
رغم أن البعض منها كان له تاريخ يبعث  
على الأسف البالغ حتى ثبتت خيانتها  
وتآمرها من خلال جمع الشواهد  
والأدلة، بشكل لم يكن بإمكانها إنكاره؛  
فلم يكن هناك، والحال هذه، من سبيل  
سوى ما حدث بحكم الإسلام دفاعاً



ومؤامرات الناهيين والمجرمين)<sup>(٣٣)</sup>

وقال في خطاب وجهه لحجاج بيت الله الحرام: (من الضروري أن يلتزم زوار بيت الله المحترمين من أي ملة ومذهب كانوا بتعاليم القرآن الكريم ويمدوا يد الأخوة الإسلامية إلى بعضهم البعض مقابل الشيطان الذي يريد قلع الإسلام المناهض للشرق والغرب وعملائهم.. وأن يلتفتوا إلى الآيات الالهية الشريفة التي تأمرهم بالاعتصام بحبل الله والاجتناب عن التفرقة والخلاف)<sup>(٣٤)</sup>

وهو في خطابه الكثيرة يرد على استثمار الأعداء للخلاف السني الشيعي، ويبين أن الجميع إخوة، وأن اختلافهم في بعض المسائل لا يعني فصم علاقة الأخوة بينهم، يقول في بعض خطبه مينا ذلك: (إن الاختلاف بين أتباع الطائفتين والمذهبين يعود في جذوره إلى صدر الإسلام، إذ سعى آنذاك الخلفاء الأمويون والعباسيون إلى إيجاد الفرقة والخلاف فكانوا يعقدون المجالس

لتكريس الاختلاف.. ورويدا رويدا أدى هذا الاختلاف إلى ظهور حالة التنافس بين عوام السنة وعوام الشيعة والا فلا عوام السنة عملوا ويعملون بسنة رسول الله ﷺ ولا عوام الشيعة اتبعوا الأئمة الأطهار)<sup>(٣٥)</sup>

ثم بين العلاقة الصحيحة بين هاتين الطائفتين من المسلمين، فقال: (لقد سعى أئمتنا الأطهار إلى وضع الجميع في إطار المجتمع، فكانوا يصلون معهم، ويمشون خلف جنازتهم، ولكن الأمور اختلفت تدريجيا وقام المتجبرون بمثل هذه الأعمال لإشغال الطائفتين ببعضهما كي يتسنى لهم أن يفعلوا ما يشاءون)<sup>(٣٦)</sup>

ثم ذكر المؤامرات التي دبرت في إيران لتحقيق هذا الغرض، فقال: (قبل ما يقرب من ثلاثمائة عام تم تنفيذ سياسة أجنبية في إيران وفي الشرق استهدفت في الغالب تحقيق

علينا جميعاً أن نتكاتف ونتجنب تلك الاشتباهات التي ارتكبت في الماضي، وأن نقطع الأيدي التي تريد أن تفرقنا عن بعضنا.. إنني أمل أن نتمكن من تجاوز هذه الفقرة بمساعيكم وجهودكم أنتم أيها العلماء في مناطقكم، وجهودنا نحن طلبة العلوم الدينية هنا<sup>(٣٨)</sup>

ثم بين أن الاختلاف ضروري وموجود حتى بين أبناء الطائفة الواحدة، فقال: (إن الاختلافات موجودة حتى بيننا نحن: كالاختلاف بين الإخباريين والمجتهدين وهو باب من أبواب الاختلاف، والاختلاف بين الصوفية والمتشعبة وأخيراً بين الأحزاب بعضها مع بعض أو بين الجامعيين وطلبة العلوم الدينية، كل هذا موجود وهم يسعون إلى تكريس تلك الاختلافات كي تبقى مشغولين بأنفسنا وهم يقضون على ما لدينا من اعتبار، فهم ينهبون ثرواتنا على

مثل هذه الأمور؛ فقد عكف خبراءهم على دراسة الطائفتين وبعض الشخصيات ونفسيات الناس بالإضافة إلى جوانب القضايا المادية المتعلقة بنا، وحاولوا استغلالنا من طريقين: مادياً وكما ترون فقد استغلونا، ونفسياً من خلال التركيز على توسيع شقة الخلاف بيننا.. وترون كيف أنه إذا تفوه أحد بكلمة واحدة فإنهم يجعلونها ناراً على علم، فينشرونها ويطبعونها، وهذا ليس من فعل شخص عادي.. إنه عمل الحكومات والأجانب الذين يسعون إلى نشر ذلك وتوسيع نطاقه<sup>(٣٧)</sup>

ثم قال - مخاطباً علماء أهل السنة الحاضرين -: (نحن معاً كيان واحد غير قابل للتفكيك، وإن الاختلاف بين المذهبيين لا ينبغي أن يتحول إلى خلاف في أساس الإسلام، فالإسلام أسمى من أن يؤدي الاختلاف فيه إلى ظهور مسلك كذائي فيه.. إننا نرى الأخطار تهدد الإسلام، لذا

الدنيا في هذه البلاد أن يكونوا معاً.. وأقول لجميع فئات الشعب للجميع بأنه لا يوجد في الإسلام تمايز بين الأغنياء وغير الأغنياء، بين الأسود والأبيض، بين الفئات المختلفة، بين السنة والشيعة، العرب والعجم، والترك وغير الترك أبداً.. والقرآن جعل التمايز على أساس التقوى والعدالة؛ فمن اتقى كان مميزاً، ومن تتجسد فيه معاني روحية عالية فهو متميز، فالامتياز ليس بالماديات وليس بالملكية والثروة.. يجب أن تزول هذه الامتيازات فالناس سواسية، الجميع يحصلون على حقوقهم، والجميع متساوون في الحقوق.. كذلك يجب مراعاة حقوق الأقليات الدينية، فالإسلام يوليهم احتراماً خاصاً، الإسلام يولي جميع الفئات احتراماً.. الأكراد وسائر القوميات الموجودة، جميعهم إخواننا ونحن إخوانهم، جميعنا أبناء شعب واحد ودين واحد، وانني آمل أن

الصعيد المادي وما لدينا من معنويات على الصعيد المعنوي.. إلا أن شعبنا قد استيقظ الآن، سواء في أوساطكم وذلك ببركة وجودكم أنتم، أو في أوساطنا ببركة وجود علماء الدين هنا<sup>(٣٩)</sup>

وهكذا نراه يدعو إلى الأخوة العامة بين جميع أبناء الشعب مهما اختلفت أعراقهم ودياناتهم واتجاهاتهم، يقول في بعض خطابه: (لا يوجد ظلم في الجمهورية الإسلامية، ليس فيها إجبار أو إكراه.. لا يمكن للغني أن يظلم الفقير، ولا يمكنه أن يستغله، لا يمكنه أن يستخدمه بأجر قليل لإنجاز أعمال كثيرة.. يجب ترجمة التعاليم الإسلامية وتطبيقها.. يجب حماية المستضعفين ودعمهم، يجب أن تتبدل الأمور، فيصبح المستكبر مستضعفاً والمستضعف مستكبراً، ليس مستكبراً بذلك المعنى وإنما على الجميع أن يتآخوا فيما بينهم في هذه

له باقي الشعوب.. وحينما يكون في مأزق يرى الآخرون أنفسهم أن لهم نصيباً في ذلك المأزق، وحينما يستنصرهم شعب يهب الآخرون لنصرته ويأتون إليه؛ هذا هو واجبنا.. وهو ما سوف يحصل ويتقدم.. إننا مؤمنون بهذا الوعد الإلهي، وعلى يقين منه، ونعتقد أن ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وأن الله تعالى سيُعين المؤمنين بلا شك.. كلنا يجب أن نعرف قدر هذه الجلسات والاجتماعات.. تقارب القلوب هذا مهم جداً.. مسائل السنة والشيعية وصراعات السنة والشيعية أمور يريد أعداء الإسلام اليوم التركيز عليها.. إن الذين يتحدثون حول التشيع والذين يتحدثون حول التسنن لا يؤمنون بالسنة ولا بالشيعية ولا بعظماء الإسلام ولا بعلماء الإسلام المعاصرين، إنما لهم أهداف أخرى.. يجب التغلب على كل هؤلاء، وتأمين

ينتبه الأهالي في بعض المناطق الإيرانية التي شهدت نشاطاً تبليغياً لبعض المفسدين الذين يحضون على إثارة الشغب ودفعوا الناس التعساء إلى الاقتتال، وأن لا يسمحوا لهؤلاء الخونة بالقيام بمثل هذه الأعمال.. إننا إخوة، نحن إخوة لأبناء العامة والسنة ولا يحق لنا التآمر على بعضنا، بل علينا أن نحفظ حقوق بعضنا بعضاً<sup>(٤٠)</sup>

وهكذا نجد الإمام الخامنئي في كل المناسبات المرتبطة بالوحدة الإسلامية يرد على أمثال تلك الإشاعات والدعاوى التي تنشر الفارقة بين المسلمين، ومن الأمثلة على ذلك قوله في بعض خطبه: (يجب أن لا تكون هناك فوارق بين الشعوب.. يجب أن يكون الشعور بالتعاطف والتضامن بين الشعوب الأثر الأول للوحدة الإسلامية.. حينما يفرح شعب تفرح له باقي الشعوب، وحينما يكون حزينا تحزن

التفرقة، يوقعون أيضاً بين الإخوة، يضحّمون الاختلافات، يبرزونها، ويضعفون الجهات المشتركة والموحدة ويبهتونها، فهم يضحّمون الشيء الصغير ويبرزونه.. كل المسائل المشتركة الموجودة بين السنة والشيعة، يضعفونها ويقلّلون من شأنها، وهذا العمل الذي كان يُعمل عليه دوماً، الآن أيضاً يعمل عليه.. الجمهورية الإسلامية من اليوم الأول وقفت في وجه هذه المؤامرة، والسبب أننا لا نجاهل أحداً أو نдахن، هذه عقيدتنا<sup>(٤٣)</sup>

ثم ذكر تجربته الشخصية في هذا المجال قبل انتصار الثورة الإسلامية، فقال: (قبل أن يتشكل النظام الإسلامي، كان إخوتنا، أعلام النهضة، قادة النضال الثوري آنذاك - ووقتها لم يكن يلوح في الأفق خبر حول الحكومة الإسلامية والجمهورية الإسلامية - يسعون باتجاه وحدة الشيعة والسنة.. أنا

الوحدة، وستكون الوحدة إن شاء الله رصيذاً ودعامة لانتصار العالم الإسلامي<sup>(٤١)</sup>)

ويقول في خطاب آخر: (إنّ الاتحاد بين المسلمين، والتوافق، والتعاقد والتعاون، من الأمور الضرورية والملحة جداً.. وندعو جميع الدّول الإسلاميّة، وجميع الحكومات الإسلامية، إلى التّبصّر في جميع الأمور، ليروا مَنْ هم الخصوم، وندعوهم أن لا يخطئوا في معرفة العدو، وأن لا يخطئوا في معرفة مخطّطات الأعداء، وليعرفوا مرامي الأعداء، وليعرفوا أين تكمن سعادة شعوبهم<sup>(٤٢)</sup>)

وقال في خطاب آخر مذكراً بمخططات الأعداء: (من الوسائل التي يستفيد دوماً منها أعداء الشعوب المسلمة للتفرقة، مسألة التفرقة المذهبية، بين الشيعة والسنة.. هم يصنعون الشقاق، يحدثون

فيها السنة والشيعة جنباً إلى جنب، أم تلك المناطق التي يقطنها الشيعة فقط، أم تلك المناطق التي يسكنها السنة فقط، على الجميع أن يتصرفوا على هذا المنوال بحيث يفهم العدو أنه لا يمكنه في هذا البلد وبذريعة الاختلاف المذهبي، أن يحدث تفرقة بين المذاهب الإسلامية، وإلا إذا وُفق العدو لذلك، اعلّموا أنه لن يكتفي بهذا المقدار، فإذا لا قدر الله استطاع أن يفرّق بين الشيعة والسنة، فإنه سيذهب باتجاه السنة، وإذا كانوا موحدين، سيفرقهم، جماعة من الشافعيين، جماعة من الحنفيين، جماعة من المالكيين، جماعة تتبع المذهب الأصولي الفلاني، وجماعة تتبع المذهب الآخر، فالعدو لا يقف عند حد<sup>(٤٥)</sup>

وقال في خطاب آخر - أثناء زيارته لكرمانشاه حيث يتواجد السنة والشيعة - يدعو إلى الحوار بين المذاهب الإسلامية: (إنني أعرّض

نفسي تمّ إبعادي إلى بلوشستان، ومن حينها والى يومنا هذا أنا وعلماء السنة الحنفيون لمدن بلوشستان - إيران شهر وتشابهار وسراوان وزاهدان - الذين هم بحمد الله لازالوا أحياء، أصدقاء ومقربون وتجمعنا علاقات حميمة.. لقد نُفيت إلى هناك، ولم تكن الأجهزة لتدعنا نقوم بأي سعي، لكن في الوقت ذاته أنا قلت: تعالوا ولنقم بعمل ما كمظهر يظهر الوحدة بين الشيعة والسنة في هذه المدينة، حيث خطرت قضية أسبوع الوحدة - ولادة النبي الأكرم ﷺ في الثاني عشر من الربيع الأول على رواية أهل السنة، وفي السابع عشر من ربيع الأول على رواية الشيعة - بأذهاننا في ذلك الوقت وعملنا بها في إيران شهر، أي أننا احتفلنا من الثاني عشر وحتى السابع عشر؛ فهذا الفكر المتأصل ليس وليد اليوم أو البارحة<sup>(٤٤)</sup> وقال: (أنا أصر أنه في كافة مناطق البلاد، سواء في المناطق التي يعيش



العلمية، فالكل يستدل ويطرح أدلته، فإمّا أن يقتنع أو لا، فمثل هذا لا إشكال فيه، ولكن بالرغم من كل هذا، فهناك أمور مشتركة، وهناك هموم مشتركة تتطلب علاجات مشتركة.. فللعالم الشيعي نفوذ بين أهله، وكذلك للعالم السني نفوذ بين أهله، وعليهما الاستفادة من هذا النفوذ من أجل رفع هذه المشاكل المشتركة.. يوجد اليوم من يستخدم سلاح التكفير ولا يستنكف أن يقول إنني تكفيري.. هؤلاء سموهم ويجب التخلص منها وإخراجها من البيئة الإسلامية.. فبعضهم يكفر ويفسق، فهنا كمن يتحدث في خطبه وعلى المنابر ويتعرض للآخرين، وهناك من يردّ عليه، إن هذا ما يريده العدو.. فإن هذه المسؤولية المضاعفة التي ذكرتها تشمل جميع هذه الجوانب، بدءاً من المسؤولية المعنوية وتربية النفس وإيجاد الخشوع والخشية في القلب وانتهاءً إلى هذه الأشياء<sup>(٤٦)</sup>

لهذه القضية هنا وهي أن محافظتكم هي محافظة شيعية وسنية وغير ذلك.. فليجلس علماء الشيعة والسنة معاً ويتفاهموا ويتحاوروا؛ فلدينا الكثير من الأمور المشتركة.. حسن جداً، فليدرس كل منكم فقهه وبيئته، سواء كان فقهاً جعفرياً أم شافعيّاً.. فليكن لكل عقيدته، لكن يمكننا أن نقوموا بأعمال مشتركة؛ فأنا لا أقول للفقهاء الشافعيّ أو للمقلد الشافعيّ إنه عليك أن تصبح جعفرياً أو شيعياً، كلا، إذا أراد أن يُحقّق فليأت، إن حصل ذلك فهو جيد، وإن لم يحصل، فلا مشكلة.. كل من أراد أن يحافظ على مذهبه وعمله فليكن، وإذا أراد أن يُجري بحثاً مذهبياً فلا إشكال في ذلك فإنني أقبل بالبحث المذهبي، فمن أراد البحث العلمي المذهبي بين العلماء وبين أصحاب الفنّ فليقم بذلك، لكن لا يكون ذلك على مرأى ومسمع الناس، بل في اللقاءات



## ٢. الاهتمام بتحقيق الأخوة بين المسلمين وغيرهم:

من أخطر الدعايات التي يذكرها العلمانيون وغيرهم لمعارضة الحكومة الإسلامية ما يطلقون عليه [حقوق الأقليات]، حيث يشيرون أن الإسلام لا يوفر هذه الحقوق، بل يتعامل مع غير المسلمين بما لا يتناسب مع القيم الإنسانية.

ولهذا نجد في كلمات قادة الثورة الإسلامية الإيرانية الردود المختلفة النظرية والعلمية على أصحاب هذه الدعاوى، ومن الأمثلة على ذلك قول الإمام الخميني - جواباً عن سؤال حول وضع الأقليات الدينية في ظل الحكومة الإسلامية، وذلك قبل انتصار الثورة -: (من جهة أخرى نجد الدعايات الإعلامية الواسعة لتشويه صورة الحكومة الإسلامية واتهامها بإساءة معاملة الأقليات الدينية لدى تسلمها

السلطة، ولكن لنرى هل أنتم تتعاملون مع الأقليات بصورة أفضل من الإسلام؟ إنك الآن تسحق وتدمر الأقليات الدينية والأكثرية الدينية معاً، بل إنك تسحق حقوق بني الإنسان جميعاً في إيران.. فقد سلبت الحرية من المسلم وغير المسلم.. في حين أن الأقليات الدينية تحظى في ظل الإسلام بالاحترام والحرية.. إننا كثيراً ما نُسأل: كيف ستعاملون مع الأقليات الدينية إذا ما أقيم الحكم الإسلامي؟ وإن سر تكرار هذا السؤال هو كثرة ما لقنوا بأنه إذا ما أقيم الحكم الإسلامي فس يقتلون اليهود والنصارى والزرادشتيين دون تمييز وبشكل جماعي.. متى وقعت مثل هذه المجازر في ظل الإسلام وفي بلد إسلامي لم تكن الأقليات الدينية في حالة حرب ضده؟! بل ومتى قتل في ظله أحد منها؟! فمن هذه الأقلية الدينية كانت تلك المرأة اليهودية

الذمية التي سلبوها خلخالها ولما سمع أمير المؤمنين (الامام علي) بالخبر، قال: (لو أن امرؤاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً)، لأنه وقع في ظل حماية الإسلام، فهل هذا الإسلام ومثل هذا الحكم الإسلامي، يسيء إلى الأقليات الدينية؟!.. هذه كلها دعايات يروج لها الشاه وأنصاره عبر أبواقهم من أجل تشويه صورة الإسلام وحكومته وعلمائه في أذهان الناس، أو على الأقل في أذهان الأجانب خارج إيران من غير المسلمين والالادينيين، والإيحاء لهم بأن علماء الإسلام يريدون إقامة حكومة رجعية، رجعية إسلامية!)<sup>(٤٧)</sup>

وقال في خطاب وجهه لجمعية الزرادشت الإيرانيين - بعد انتصار الثورة الإسلامية -: (أطمئن السادة من جميع الأقليات الدينية بأن الإسلام تعامل دوماً مع الأقليات الدينية تعاملًا إنسانياً وعادلاً، وكانوا

جميعاً مرفهين.. إنهم كسائر الأقليات جزء من شعبنا، ونحن وإياهم نعيش معاً في هذه البلاد وسوف يتحقق الرفاه لنا جميعاً إن شاء الله.. إن سر هذا النصر الذي يجب أن يحفظ هو وحدة الكلمة.. نحن من موقعنا وأنتم من مواقعكم وسائر أبناء الشعب من مختلف الفئات هكذا أيضاً، نسعى جميعاً من خلال العمل والتعاقد فيما بيننا لإعمار إيران التي سلموها لنا الآن وهي خربة.. كذلك فإنكم مطالبون أيها الزرادشتية بمواصلة عملكم كما كنتم دوماً بالعمل لصالح هذا الشعب وهذه الأرض وعليكم أن تحافظوا على وحدة الكلمة.. أسأل الله تعالى التوفيق لجميع أبناء الشعب الإيراني)<sup>(٤٨)</sup>

بل إن الإمام الخميني يدعو رجال الدين وخصوصاً المسيحيين إلى تطبيق تعاليم أديانهم التي تحث على مواجهة الظلم والاستكبار، ومن

الأمثلة على ذلك قوله - في رسالة وجهها للقساوسة المسيحيين يهنئهم فيها بميلاد المسيح ﷺ -: (من جانبي أهنئ جميع الشعوب المستضعفة في العالم والأمة المسيحية بولادة السيد المسيح، وأهنئ أتباع الديانة المسيحية من مواطنينا.. كل شيء في السيد المسيح كان معجزة.. كان معجزة عندما ولدته عذراء بتول.. كان معجزة عندما تكلم في المهد صبيًا.. كان معجزة عندما جاء للبشرية بالسلام والصفاء والمعنوية.. جميع الأنبياء هم معجزة، والجميع جاءوا لتربية البشر، يريدون أن يسير البشر في الصراط المستقيم وأن يعيش البشر في سلام وصفاء وأخوة.. هذه هي واجبات المرسلين الإلهيين الذين جاءوا للأرض كي يسموا بالإنسان من هذا العالم إلى العالم الأعلى.. وعلى علماء الأديان كلهم، علماء الدين المسيحي، وعلماء الدين المسلمين، وعلماء اليهود، وجميع علماء الدين هو

دعوة الناس إلى ربهم.. والواجب ذلك هو التبعية التامة للأنبياء الذين جاءوا لتربية البشر وإرساء السلام والصفاء بين أفراد البشر)<sup>(٤٩)</sup>

ثم رد على ادعاء الاستكبار العالمي انتماءه للمسيح ﷺ أو المسيحية، فقال: (لقد ابتليت شعوب العالم اليوم بالقوى العظمى التي هي قوى شيطانية تقف في وجه الأنبياء ولا تسمح بنشر تعاليمهم.. ويتمتع علماء الدين المسيحي بميزة خاصة هي أن القوى العظمى مسيحية تدعي المسيحية، وهذه القوى العظمى هي التي تعمل على نقض تعاليم الله تبارك وتعالى التي علمنا الأنبياء جميعاً وخلفاء لتعاليم عيسى المسيح.. علماء الدين المسيح مكلفون بحسب تعاليم المسيح وبحسب تعاليم الله العظيم، مكلفون أن يكافحوا هذه القوى التي تعمل خلافاً لمسيرة الأنبياء وسبيل المسيح.. يجب إرشاد هؤلاء إلى دين المسيح..

يجب أن يرشدوا الشعوب المسيحية كي لا يتبعوا هذه القوى التي تعمل خلافاً للمسيح<sup>(٥٠)</sup>

ثم وجه خطابه إلى رجال الدين المسيحي بإنقاذ المسيحية من ذلك الاستغلال السيء من طرف المستكبرين وأدواتهم التضليلية، فقال: (أنتم علماء الدين المسيحي عليكم إنقاذ المسيح من هذا المأزق الذي أوجده رؤساء جمهوريتكم له، المسيح تقرر عينه بعلماء الدين المسيحيين وسائر الشرائع، المسيح يريد ذلك، إنه يدرس الأوضاع، ويراقبكم، لكي يرى ماذا تفعلون مع الظالمين الذين يفعلون هكذا مع البشر.. هل تم التطرّق أو الحديث إلى هذه الجرائم في كنائسكم؟ هل قام البابا باستنكار هذه الممارسات؟ هل كان البابا الذي قام باستنكار عملنا في خصوص الرهائن حسب ما جاء في الصحف هل كان يعرف من هؤلاء وما هم عليه؟ هل استنكار

أعمال شعب مستضعف هو من شأن عالم دين يعتبر نفسه أكبر علماء الدين المسيحي؟ هل استنكار عمل هؤلاء الذين رزحوا تحت الظلم خمسين عاماً، تحت ظلم القوى الكبرى التي تنسب حكوماتها نفسها إلى المسيحية عمل صحيح؟ وهل استنكار هذه الأعمال في وقت ما؟ هل استنكار علماء الدين المسيحيّ هذه الأعمال والممارسات التي تناقض تعاليم عيسى المسيح سلام الله عليه، هل استنكروا مثل هذه الأعمال؟ إننا أعلنّا في باريس وتزامنا مع عيد ميلاد السيّد المسيح، وتحدثنا بهذه المظالم، وكتبنا هنالك أشياء، ولكن مع الأسف قيل: إن البابا لم يسمح بنشرها، لماذا يجب أن يتعامل عالم دين مسيحي رفيع المستوى مع المظلومين هكذا؟ لماذا يجب أن يقوم علماء الدين المسيحي باستنكار أعمال المظلومين والإعراب عن دعمهم للظالمين.. هل أنتم لا تعلمون بهذه

على علم، فوا آسفاه علينا وا وآسفاه  
على المسيحية، ووا آسفاه على علماء  
دين المسيح، وإن لم يكن مطلعاً فبئس  
أوضاع الفاتيكان<sup>(٥١)</sup>

وبناء على هذا نراه في لقاءاته مع  
الوفود المختلفة من المسلمين وغير  
المسلمين يذكرهم بالبعد الإنساني  
لثورة الإسلامية، وأنها تأمل في  
إقامة علاقات طيبة مع كل شعوب  
العالم، وخاصة المستضعفين، ومن  
الأمثلة على ذلك قوله في حديث مع  
وفد من يوغوسلافيا: (إن نهضة  
إيران نهضة إسلامية، والنهضة  
الإسلامية نهضة إنسانية، ولو أن  
شعوب العالم اطلعت على عمق هذه  
النهضة فإنها ستؤيدها وتدعمها، إلا  
إذا كانت هي نفسها بعيدة عن  
الإنسانية.. إن الحكومة الإسلامية  
تتطلع لتحقيق السعادة للبشرية، وأن  
يحيا الجميع في سلام ورخاء إلى جوار  
بعضها البعض.. الإسلام يتوق إلى  
إرساء علاقات طيبة مع جميع الدول،

الجرائم التي حدثت هنا؟ ألم تعلموا  
أنّ شعباً نُهبت خيراته وسرقت جميع  
مصادره وبقي جائعاً؟ ألم تعلموا أنهم  
مارسوا الضغوط على شعب سنين  
عدّة (على مدى ٥٠ عاماً) ومارسوا  
عليه شتى أنواع العذاب والمشقة،  
وتقاسموا جميع أمواله مع الحكومات  
الكبيرة؟ ألا يعلم علماء الدين  
المسيحيون أنه خلافاً لتعاليم جميع  
الأنبياء والسيد المسيح جُهد كارتر  
أموال الإيرانيين، جُهدا في جميع  
البنوك؟ هل عيسى ﷺ الذي جاء  
لنشر العدالة، ويسعى لكي ينعم بها  
البشر، وأنتم مكلفون بالعمل بما قاله  
المسيح وإرغام الظالمين على القيام  
بعملهم يرضى بهذا؟ هل تعلمون أن  
الحظر الاقتصادي الذي يحاول  
كارتر تطبيق مفهومه أنّ يموت خمسة  
وثلاثون مليون نسمة من الجوع؟..  
والآن نتساءل هل يعلم البابا بهذه  
المسائل ويردّ علينا؟ أو أن المعلومات  
التي تصل إليه مغلوطة فيها؟ إن كان

على الاحترام المتبادل مع جميع الدول<sup>(٥٢)</sup>

وهكذا نجد الإمام الخامني يصحح المفاهيم الخاطئة المرتبطة بالبراءة من الاستكبار والمستكبرين، وأنها خاصة بأئمتهم وقادتهم، لا بالشعوب المستضعفة المغلوبة على أمرها.

يقول في بعض خطبه - بعد ذكره لضرورة الإعداد -: (حسنٌ، أن نقول إننا نريد أن نتحرّك، نتقدّم ونسير للأمام، هل يعني هذا الدعوة للحرب من قبل النظام الإسلامي؟ وهل يعني أنّ النظام الإسلامي لديه نيّة الصدام (التحدي) مع جميع الشعوب ومع كل دول العالم؟ حيث يُسمع هذا الكلام أحيانا من أعداء الشعب الإيراني ومن جملتهم (ما يصدر) من الفم النجس لكلب المنطقة المسعور في النظام الصهيوني، حيث يزايدون بأنّ إيران هي تهديد

والحكومة الإسلامية تفكر بإقامة علاقات سليمة ومتفهمة مع الشعوب والحكومات الأخرى قائمة على الاحترام المتبادل.. إن هدف الجمهورية الإسلامية يتلخص في إيجاد حكومة يتسم سلوكها بالعدل مع كل الفئات، لا تميز بين فئة وأخرى أو طبقة وأخرى عدا الامتيازات الإنسانية التي تتمتع كل فئة.. وإذا كتب لنا التوفيق وتمكنا من إقامة جمهورية إسلامية في إيران شكلاً ومضموناً، وتشكيل حكومة إسلامية بكل ماتحملة هذه الكلمة من معاني، فإنها ستكون قدوة لجميع الدول، وستتحقق الديمقراطية بمعناها الحقيقي وليس بمعناها القائم على استغلال الآخرين.. وسيتحقق كل هذا إن شاء الله.. إننا نأمل أن تكون علاقاتنا مع جميع الشعوب والحكومات قائمة على أساس حسن الجوار والنوايا الحسنة، وأن تكون لدينا علاقات طيبة قائمة



الحكومة الأمريكية حكومة مستكبرة ومعادية وسيئة وحاقدة على الشعب الإيراني ونظام الجمهورية الإسلامية - هو مثل بقية الشعوب، وإنَّ النقطة المقابلة لنظام الجمهورية الإسلامية هي الاستكبار.. إن جهة خصومة النظام الإسلامي مع النظام الاستكباري، هي إننا نخالف الاستكبار، نحن نحارب الاستكبار<sup>(٥٣)</sup>

ويقول في خطاب وجهه لأعضاء التعبئة في الهيئة العلمية للجامعات: (ينبغي أن تكون النظرة إنسانية، الإنسان الذي يمتد على كل هذا العالم الواسع: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، فعلى هذه النظرة أن تتوجه إلى هذه الشمولية والسعة.. إن الأمان التي نحملها اليوم بشأن هذا البعد الواسع هي أمان لا يرفضها أي شعب واع أو عالم صالح أو سياسي منصف.. إننا دعاة إزالة نظام التسلط والهيمنة

لكل العالم، كلا، هذا كلام العدو وهو النقطة المقابلة تماماً للمنهج الإسلامي نقطة تهديد كل العالم إنما هي قوى الشر والعدوانية والتي لم تُظهر إلا الشر، ومن جملتها ذلك النظام المزور لإسرائيل وبعض داعميه.. لقد تعلّم النظام الإسلامي درساً من القرآن، الدرس الذي تعلّمه من نبي الإسلام ومن أمير المؤمنين، إنه درس آخر، وليس التهديد المزعوم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] العدالة والإحسان وفعل الخير.. قال أمير المؤمنين بأنه يجب أن نحسن للجميع فهم (إمّا أخ لك في الدين وإمّا نظير لك في الخلق) فهو إمّا أخ إسلامي أو إنه إنسان، هذا هو منطق الإسلام.. إننا نريد أن نخدم جميع الناس وأن نمنحهم المحبة، إننا نريد إقامة علاقات صداقة ومحبة مع كل الناس الشعوب، لا عداً لنا أبداً حتى مع الشعب الأميركي - مع أن



للغرب، نحن لا نكنّ العداء لأيّة مجموعة إنسانية بسبب تمايزها الجغرافي.. نحن تعلّمنا من الإمام عليّ ما قاله عن الإنسان أنّه: إمّا أخٌ لك في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق.. اعتراضنا إنّما هو على الظلم والاستكبار والتحكّم والعدوان والفساد والانحطاط الأخلاقيّ والعمليّ الذي تمارسه القوى الاستعماريّة والاستكباريّة ضدّ شعوبنا<sup>(٥٥)</sup>

ويقول في نداء له إثر الاعتداء على القرآن الكريم في أمريكا: (أيتها الأمة الإسلامية الكبرى الإهانة الجنونية المنقّرة والمُستنكرة للقرآن المجيد في أمريكا، والتي حدثت في ظل غطاء أفراد الشرطة لذلك البلد، حدث مدير كبير لا يمكن اعتباره مجرد تصرف أبله صدر عن حفنة من الأشخاص المرتزقة التافهين.. إنه خطوة مدروسة من قبل مراكز جعلت منذ سنوات سياسة

الذي يقوم على رابطة الهيمنة ووجود المتسلّط والمتسلّط عليه، فحتى من يعيش في دولة حكومتها متسلّطة مئة بالمئة لا يرفض هذا الأمر، وعليه ففي العلاقات الدولية لا ينبغي أن تكون العلاقة مبنية على وجود مهيمن ومهيمن عليه.. وكذلك العدالة واستخدام العلم ينبغي أن يكونا من أجل أمن البشرية لا تهديداً لها، وخاصة بعد العصور الحديثة، من عصر النهضة إلى يومنا هذا، وخصوصاً في القرن الأخير، فإن الكثير مما أنجز على صعيد العلم بدل أن يكون لرفاهية وأمن البشرية كان تهديداً لها، إما أنه كان تهديداً للروح أو الأخلاق أو الأسرة وتشجيعاً على الاستهلاك وتعبئة جيوب الناهيين الدوليين وأصحاب الشركات والكارتلات ومؤسسيها)<sup>(٥٤)</sup>

ويقول في خطاب آخر - بعد ذكره للمستكبرين وتسلّطهم -: (لا ينبغي اعتبار هذا الكلام مناصبة العداء

عليها أفكار الصهاينة والتي تتمتع  
بأكبر قدر من النفوذ في الحكومة  
الأمريكية والمنظمات الأمنية  
والعسكرية الأمريكية وكذلك في  
الحكومة البريطانية وبعض  
الحكومات الأوروبية.. إنها الجهات  
التي يزداد يوماً بعد يوم الإشارة إليها  
بأصبع الاتهام في الدراسات المستقلة  
والباحثة عن الحقيقة فيما يتعلق  
بالمهجوم على الأبراج في الحادي عشر  
من سبتمبر.. وقد وفرّ ذلك الحدث  
للرئيس الأمريكي المجرم في حينه  
ذرائع الهجوم على أفغانستان  
والعراق، فأعلن عن الحروب  
الصليبية، وقد أعلن نفس هذا  
الشخص بالأمس حسب ما أفادت  
التقارير أن الحرب الصليبية اكتملت  
بدخول الكنيسة إلى الساحة<sup>(٥٧)</sup>

ثم ذكر أن الهدف من ذلك هو  
إحداث صراع بين المسلمين  
والمسيحيين، فقال: (إن الهدف من  
العمل المقلز الأخير هو - من جهة -

التخويف من الإسلام ومحاربتة  
ضمن جدول أعمالها، وراحت  
تحارب الإسلام والقرآن الكريم  
بمئات الأساليب وآلاف الوسائل  
الإعلامية والعملياتية.. إنها حلقة  
أخرى من سلسلة مخزية بدأت بخيانة  
المرتد سلمان رشدي، واستمرت  
بخطوة رسام الكاريكاتير الدنماركي  
الخبيث وعشرات الأفلام المعادية  
للإسلام المنتجة في هوليوود،  
ووصلت اليوم إلى هذا الاستعراض  
المستنكر<sup>(٥٦)</sup>

لكنه مع هذا نبه إلى أن الذي قام  
بهذا ليس الشعوب، وإنما المستكبرون  
المتآمرون على الشعوب، قال في  
ذلك: (دراسة سياق الشر هذا،  
والذي ترافق في الأعوام الأخيرة مع  
عمليات إجرامية في أفغانستان  
والعراق وفلسطين ولبنان وباكستان،  
لا تترك مجالاً للشك في أن المخططين  
له وغرفة قيادته في يد رؤساء نظام  
الهيمنة وتديرها غرفة سوداء تهيمن

طلاب الحرية في العالم وأتباع كل الأديان الإبراهيمية إن يقفوا إلى جانب المسلمين في سياسة محاربة الإسلام القذرة بكل أساليبها المقززة والكرهية هذه.. لا يمكن لسانة النظام الأمريكي بتصرّحاتهم المخادعة الخاوية تبرئة أنفسهم من تهمة مواكبة هذه الظاهرة البشعة.. منذ سنين وكل مقدسات وحقوق وحرمان ملايين المسلمين المظلومين في أفغانستان وباكستان والعراق ولبنان وفلسطين تُسحق وتُنتهك.. مئات الآلاف من القتلى، وعشرات الآلاف من النساء والرجال الأسرى وتحت التعذيب، والآلاف من الأطفال والنساء المختطفين، وملايين المعاقين والمشردين والمشتتين، ضحايا أي شيء؟ ورغم كل هذه المظالمات لماذا يُظهرون المسلمين في وسائل الإعلام العالمية الغربية على أنهم مظهر العنف، والقرآن والإسلام باعتبارهما خطراً على

أن تصل مواجهة الإسلام والمسلمين في المجتمع المسيحي إلى المستويات الشعبية العامة، وتتخذ صبغة دينية بدخول الكنيسة والقساوسة فيها، وتكتسب رصيلاً من العصبية والنزعات الدينية، ومن جهة أخرى أن تنصرف أذهان الشعوب المسلمة الغاضبة والجريئة من هذا الاعتداء الكبير، عن قضايا الإسلام ومشكلة الشرق الأوسط<sup>(٥٨)</sup>

ثم ذكر بالتاريخ الطويل للمستكبرين في استعمال كل وسائل التفرقة بين الشعوب، فقال: (ليس هذا العمل الحقود بداية لسياق وتيار معين، إنما هو مرحلة من سياق طويل ومستمر لمحاربة الإسلام بزعامة الصهيونية والنظام الأمريكي.. لقد تجمع الآن كل زعماء الكفر وأئمة ليقفوا أمام الإسلام.. الإسلام دين حرية الإنسان وذي المعنويات، والقرآن كتاب الرحمة والحكمة والعدالة.. من واجب كل

مخططات الأعداء في نشر الفرقة بين الشعوب: (المشكلة تكمن في أننا نحن المسلمين أحياناً، لا نعرف ما هي المخططات بالشكل الدقيق، لذا نصبح جزءاً منها.. وللأسف هذا ما أثبتني به العالم الإسلامي هذه الأيام.. فمخططات الأعداء هو بثّ الفرقة بين المسلمين.. ومخططات الأعداء هو إثارة النعرات المذهبية بين المسلمين.. ومخططات الأعداء هو حَرْفٌ وُجْهَةٌ الأُمّة الإسلامية عن الخصوم والأعداء الحقيقيين، أي الرأسمالية الفاسدة المُفسدة، والصهيونية، إلى أماكن أخرى.. في يوم من الأيام، ناهض العالم الإسلامي الصهيونية الغاصبة، فوصفها الأعداء في دعاياتهم، إنَّها مُعاداةٌ للسامية (اليهودية)، مع أنَّها لم تكن كذلك، إذ يعيش اليهود في الدّول الإسلامية، كغيرهم من أبناء الديانات الأخرى - اليهودية، المسيحية والإسلامية - إلى جانب بعضهم بعضاً.. يعيش اليوم

البشرية؟ من يصدق أن هذه المؤامرة الواسعة يمكن أن تجري وتنفَّذ عملياً من دون مساعدة اللوبي الصهيوني داخل الحكومة الأمريكية؟! (٥٩)

ثم نبه إلى خطورة ما وقع فيه بعض المسلمين من ربط ما يحصل بالكنيسة، فقال: (يجب أن نعلم جميعاً أن الحدث الأخير لا صلة له بالكنيسة والمسيحية، وينبغي عدم سحب التصرفات الاستعراضية لحفنة من القساوسة الحمقى والمرترقة على المسيحيين ورجال دينهم.. نحن المسلمين لن نبادر إطلاقاً إلى أعمال مماثلة ضد مقدسات الأديان الأخرى.. النزاع بين المسلمين والمسيحيين على المستوى العام مما يريده الأعداء والمخططون لهذه المسرحية الجنونية، والقرآن يريد منّا أن نقف في الجهة المعاكسة تماماً لهذا الشيء) (٦٠)

وقال في خطاب آخر ينبه فيه إلى

معاداة للسامية، لكن الغرب نفسه، قد ابتلي اليوم بمعاداة الإسلام والمسلمين، وهم يُقدّمون الدعم، ويُؤازرون الذين يوجّهون الإهانات للإسلام وللرسول الأعظم، هذه هي معاداة الإسلام، وهي موجودة عندهم<sup>(٦١)</sup>

في وطننا، اليهود والمسيحيون والمسلمون، وبعض أتباع الديانات الأخرى، معاً في ظل أمن الإسلام.. المسألة ليست معاداة السامية، فهم يكذبون ويُحرّفون قضية مناهضة الصهيونية الغاصبة والمحتلة، والظالمة والقاسية القلب، على أنّها

### الهوامش:

- [١] صحيفة الإمام، ج ١٠، ص: ٢٦٤.
- [٢] المصدر السابق، ج ٣، ص: ٢٩٦.
- [٣] المصدر السابق، ج ٣، ص: ٢٩٦.
- [٤] المصدر السابق، ج ٣، ص: ٣٢٦.
- [٥] المصدر السابق، ج ٣، ص: ٣٢٦.
- [٦] الفكر الأصيل، الإمام الخامنئي، ص: ٣٠.
- [٧] المصدر السابق، ص: ٣٠.
- [٨] المصدر السابق، ص: ٣٠.
- [٩] المصدر السابق، ص: ٣٢.
- [١٠] المصدر السابق، ص: ٣٣.
- [١١] المصدر السابق، ص: ٣٤.
- [١٢] المصدر السابق، ص: ٣٤.
- [١٣] المصدر السابق، ص: ٣٤.
- [١٤] المصدر السابق، ص: ٣٥.
- [١٥] المصدر السابق، ص: ٣٦.
- [١٦] المصدر السابق، ص: ٣٦.
- [١٧] المصدر السابق، ص: ٣٦.
- [١٨] المصدر السابق، ص: ٣٧.
- [١٩] المصدر السابق، ص: ٤٥.
- [٢٠] المصدر السابق، ص: ٤٥.
- [٢١] المصدر السابق، ص: ٤٥.
- [٢٢] المصدر السابق، ص: ٤٥.
- [٢٣] المصدر السابق، ص: ٤٨.
- [٢٤] المصدر السابق، ص: ٤٨.
- [٢٥] المصدر السابق، ص: ٥٢.
- [٢٦] المصدر السابق، ص: ٥٣.
- [٢٧] المصدر السابق، ص: ٥٤.
- [٢٨] المصدر السابق، ص: ٢٩.
- [٢٩] المصدر السابق، ص: ٤٠.
- [٣٠] المصدر السابق، ص: ٤٠.
- [٣١] صحيفة الإمام، ج ١٦، ص: ٢٥٥.
- [٣٢] المصدر السابق، ج ١٦، ص: ٢٥٥.
- [٣٣] المصدر السابق، ج ١٧، ص: ٢١٠.
- [٣٤] المصدر السابق، ج ١٦، ص: ٣٨٦.

- [٣٥] المصدر السابق، ج ٦، ص: ٨٠
- [٣٦] المصدر السابق، ج ٦، ص: ٨٠
- [٣٧] المصدر السابق، ج ٦، ص: ٨٠
- [٣٨] المصدر السابق، ج ٦، ص: ٨٠
- [٣٩] المصدر السابق، ج ٦، ص: ٨١
- [٤٠] المصدر السابق، ج ٦، ص: ٣٦٦.
- [٤١] خطابات الإمام الخامنئي ٢٠١١، ص ٥٨.
- [٤٢] خطابات الإمام الخامنئي ٢٠١٣، ص ٣٢٦.
- [٤٣] خطابات الإمام الخامنئي ٢٠١١، ص ٥٠٢.
- [٤٤] المصدر السابق، ص ٥٠٣.
- [٤٥] المصدر السابق، ص ٥٠٤.
- [٤٦] المصدر السابق، ص ٤٥٢.
- [٤٧] صحيفة الإمام، ج ٤، ص: ٣٠٢
- [٤٨] المصدر السابق، ج ٦، ص: ١٥٥
- [٤٩] المصدر السابق، ج ١١، ص: ٣٢٣
- [٥٠] المصدر السابق، ج ١١، ص: ٣٢٤
- [٥١] المصدر السابق، ج ١١، ص: ٣٢٦
- [٥٢] المصدر السابق، ج ٩، ص: ٦٥.
- [٥٣] خطابات الإمام الخامنئي ٢٠١٣، ص ٦١٥.
- [٥٤] خطابات الإمام الخامنئي ٢٠١٠، ص ٢١٧.
- [٥٥] خطابات الإمام الخامنئي ٢٠١٣، ص ١٩٨.
- [٥٦] خطابات الإمام الخامنئي ٢٠١٠، ص ٣٣٥.
- [٥٧] خطابات الإمام الخامنئي ٢٠١٠، ص ٣٣٥.
- [٥٨] المصدر السابق، ص ٣٣٨.
- [٥٩] المصدر السابق، ص ٣٣٨.
- [٦٠] المصدر السابق، ص ٣٣٩.
- [٦١] خطابات الإمام الخامنئي ٢٠١٣، ص ٣٢٥.



أنس القاضي  
مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية اليمني.

# طوفان الأقصى

## بين الإمبريالية الأمريكية

### وحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير

#### مقدمة:

الدولي أرضاً محتلة والمقاومة فيها  
و حرب التحرير الوطنية الهادفة لتقرير  
المصير مشروع قانوناً.

ستتناول القضية الفلسطينية من  
هذا البعد القانوني، في دراسة الموقف  
الأمريكي منها، إذ أن الولايات  
المتحدة الأمريكية تقف ضد الحق  
الفلسطيني في تقرير المصير حتى في  
الأراضي الفلسطينية المصنفة أراض

منذ السابع من تشرين الأول  
أكتوبر الجاري ٢٠٢٣ - م - تخوض  
فصائل المقاومة الفلسطينية حرباً  
دفاعية وتحريرية في الأراضي  
الفلسطينية التاريخية، والتي هي في آن  
الأراضي الفلسطينية «القانونية» من  
وجهة نظر القانون الدولي وحل  
الدولتين، وبالتالي فهي وفقاً للقانون

الفلسطيني بتقرير المصير بصورة كلية في خطابها السياسي وفي ممارستها السياسية والعسكرية الداعمة للاحتلال الإسرائيلي.

تقف الولايات المتحدة الأمريكية صراحة ضد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، في مختلف المحافل الدولية، وتدعم الاحتلال والاستيطان مالياً وعسكرياً.

مستفيدة من موقعها المهيمن في السياسة الدولية استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية، حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن عدة مرات ضد الحق الفلسطيني من بينها أربع مرات كانت تنص مشاريع القرارات في مجلس الأمن صراحة على حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة دولته، وإنهاء احتلال الأراضي الفلسطينية - المصنفة «محتلة» في القانون الدولي - فيما اتخذت «الفيتو» عشرات المرات ضد القضية

محتلة في القانون الدولي، ناهيك عن الحق الفلسطيني في كامل التراب الفلسطيني، وهو حق قومي وتاريخي. في هذه الحرب العادلة من الجانب الفلسطيني، الظالمة من الجانب الصهيوني، سقطت الكثير من الشعارات التي ترفعها الدول الغربية زيفاً من حقوق الإنسان والمرأة والطفل، والقانون الدولي الإنساني للحروب واتفاقيات جنيف الأربع.. إلخ، إلا أن أبرز هذه الحقوق التي سقطت هو «حق تقرير المصير» التي تنكره وترفضه أمريكا.

إن كانت الدول الإمبريالية الغربية الداعمة لدولة الاحتلال الإسرائيلية وخصوصاً بريطانيا وألمانيا وفرنسا وكندا، تدعم - زيفاً في تصريحاتها الدبلوماسية حق تقرير المصير للفلسطينيين في الأراضي المحتلة - بحسب القانون الدولي - فإن الولايات المتحدة الأمريكية تنكر الحق

الأمريكي روزفلت) وأعلن تأييده  
القرار اليهودي.

وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، بذلت  
الولايات المتحدة جهوداً مكثفة في  
الضغط على عدد من الدول لحملها  
على التصويت إلى جانب تقسيم  
فلسطين وخصوصاً مندوبي هايتي  
وليبيريا وسيام ولولا تحول هذه الدول  
من الرفض إلى الموافقة لفشل اقتراح  
التقسيم، وعند قيام دولة الاحتلال في  
١٤ مايو ١٩٤٨م، كانت الولايات  
المتحدة أول دولة تعترف بدولة  
الاحتلال، ومن حينها وقفت مع دولة  
الاحتلال في مختلف المراحل ضد حق  
الشعب الفلسطيني في الوجود وضد  
حقه القانوني في تقرير المصير، بإحباط  
مشاريع قرارات مجلس الأمن الداعمة  
للقضية الفلسطينية، أبرزها مشروع  
القرار رقم ١١٩٤٠ بتاريخ  
١٩٧٦/١/٢٦، والذي على وجوب  
تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة  
حقه القومي غير القابل للتصرف في

الفلسطينية وأدنى الحقوق الإنسانية  
لشعب فلسطين.

في العام ٢٠٢٠م جاءت ما سميت  
بـ«صفقة القرن» في عهد الرئيس  
الأمريكي دونالد ترامب، لتصفية  
القضية الفلسطينية، إذ مثلت انقلاباً  
على كل القرارات الدولية التي  
حفظت بعض الحقوق الفلسطينية وإن  
كانت عملياً مجرد حبر على ورق.

منذ ظهور القضية الفلسطينية إلى  
حيز الوجود التاريخي، المرتبط بظهور  
الصهيونية كمنظمة سياسية  
استعمارية، انحازت الولايات المتحدة  
الأمريكية إلى الجانب الصهيوني،  
انطلاقاً من دوافع عقائدية ومصالح  
مادية إمبريالية.

ففي ١١ مايو عام ١٩٤٢م، عقد  
المؤتمر الصهيوني العالمي في نيويورك  
واتخذ قراراً بتحويل فلسطين إلى دولة  
يهودية، وإجلاء العرب عنها إذا  
عارضوا ذلك، وأسرع الرئيس

القرن السادس عشر، مع الثورة الصناعية التي دفعت القوى الاجتماعية الجديدة ممثلة بالبرجوازية إلى تحطيم الإمبراطوريات الإقطاعية المؤلفة من قوميات متعددة، إذ سعت البرجوازيات إلى إنشاء دولها القومية الجديدة والسيطرة على السوق القومية، وهي مرحلة ظهور الدول الوطنية المستقلة بمعناها الحديث.

ظهر حق تقرير المصير مبكراً في الفكر السياسي الأمريكي، وهناك تم التطبيق الأول لهذا الحق، فبناءً على هذا الحق، استقل الشعب الأمريكي عن السيطرة الاستعمارية البريطانية عقب حرب الاستقلال الأمريكية التي استمرت من الفترة ١٧٧٥م حتى ١٧٨٣م وكانت بحق حرباً ثورية يخوضها شعب مستعمر ضد دولة استعمارية.

وثبتت الولايات المتحدة الأمريكية هذا الحق في بيان الاستقلال، المعلن في

تقرير المصير، بما في ذلك الحق في إقامة دولة مستقلة في فلسطين طبقاً لميثاق الأمم المتحدة؛ وحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة ووجوب انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة منذ حزيران/ يونيو ١٩٦٧م، ففي ١٨ فبراير ١٩٨٦م - كنموذج - أكدت الولايات المتحدة رفضها لمطلب رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الاعتراف بحق تقرير المصير للفلسطينيين.

### مفهوم حق تقرير المصير

يبرز حق تقرير المصير، بوصفه حقاً ديمقراطياً على الصعيد العالمي، للأمم المضطهدة التي تخضع لوصاية أمة ودولة أخرى، والمقصود بحرية الأمم في تقرير مصيرها، هو الانفصال السياسي لهذه الأمم من الهياكل القومية الغريبة عنها، وتشكيلها لدولة قومية مستقلة.

ظهر مفهوم حق تقرير المصير في

٤/ تموز/ ١٧٧٦م<sup>(١)</sup> وبعدها أقرت به الثورة الفرنسية في ١٧٨٩م، وبعد أن تبنت الحركة البرجوازية هذا الحق ونادت به الحركة العمالية وهكذا أقره الاشتراكيون في قرار مؤتمر لندن الأممي المنعقد في سنة ١٨٩٦م (٤)<sup>(٢)</sup> المعروف بالأمية الثانية.

عاد هذا المبدأ إلى الظهور مجدداً في الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية.

«وفي ظل تأزم الصراع طالبت الجمعية العامة للأمم المتحدة من لجنة حقوق الإنسان في قرارها رقم ٤٢١ الصادر في ديسمبر ١٩٥٠م أن توضع توصيات حول الطرق والوسائل التي تؤمن حق تقرير المصير للشعوب، كما نصت في قرارها رقم ٥٤٥ الصادر في فبراير ١٩٥٢م على ضرورة تضمين الاتفاقية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية والاتفاقية الخاصة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مادة

خاصة تكفل حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومن ثم أصدرت في ١٦ ديسمبر ١٩٥٢م القرار رقم ٦٧٣ والذي اعتبرت بمقتضاه حق الشعوب في تقرير مصيرها شرطاً ضرورياً للتمتع بالحقوق الأساسية جميعها، وأنه يتوجب على كل عضو في الأمم المتحدة الحفاظ على تقرير مصير الأمم واحترامه»<sup>(٣)</sup>.

وأقر رسمياً من قبل الأمم المتحدة في إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة الصادر بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٦٠م<sup>(٤)</sup> وبناء على هذا الحق وبفعل النضال التحرري حققت الكثير من الدول استقلالها الوطني.

في السياق التاريخي كانت الولايات المتحدة الأمريكية سباقة إلى طرح هذا الحق، حين كانت ثورية وقبل أن تتحول إلى دولة استعمارية إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية من بعد تحولها إلى دولة «إمبريالية»، تراجعت عن هذا الحق، وكانت أول

## الموقف الأمريكي من حق الشعب الفلسطيني

يعد الموقف الأمريكي الرفض لحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير مثلاً تاريخياً شاهداً على هذه العدوانية الأمريكية، ورفضها للديمقراطية في مستواها الأممي في حق الشعوب في تقرير مصيرها والوقوف إلى جانب الدولة والأمة الظالمة. ولا تقف الولايات المتحدة فحسب ضد حق الشعب الفلسطيني في حق تقرير المصير عموماً في أرضه التاريخية بل تقف أيضاً بالممارسة العملية ضد حل الدولتين<sup>(٥)</sup>، الذي هو في طبيعة الحال انتقاص من الحق الفلسطيني التاريخي.

## الفيتوالأمريكي ضد الشعب الفلسطيني

مؤخراً ١٧ - أكتوبر ٢٠٢٣ ومع عملية «طوفان الأقصى» استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية والدول

حرب إمبريالية استعمارية بمعنى حرب دولتين استعماريتين من أجل السيطرة على دولة ثالثة هي الحرب الأمريكية الإسبانية عام ١٨٩٨م خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية وأسبانيا من أجل السيطرة على كوبا التي كانت حينها مستعمرة إسبانية.

مع دخول الولايات المتحدة الأمريكية هذا الطور الإمبريالي، ومشاركتها في الحرب العالمية الأولى حرب تقاسم المستعمرات، إلى جانب دول الحلفاء عام ١٩١٧م، ثم المشاركة في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م - ١٩٤٥م) بعد هذه المرحلة الإمبريالية أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية جزءاً من الدول الاستعمارية ووقفت وتقف ضد حق الشعوب في تقرير المصير، فيما تدعم هذا الحق في حالات استثنائية في حالة دعمها للحركات الاستقلالية لتصبح هي المستعمر الجديد بعد خروج المستعمر القديم.



فيها واشنطن حق الفيتو في مجلس الأمن ضد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وهي مبينة كالاتي:  
رقم مشروع القرار:  
S/1982/20/416

تاريخ الفيتو: 2014/12/30  
مضمون مشروع القرار: مشروع قرار يدعو إلى إعلان الدولة الفلسطينية وإنهاء الاحتلال خلال عامين.

رقم مشروع القرار:  
S/Rev148321/1

تاريخ الفيتو: 1982/1/20  
مضمون مشروع القرار: مشروع قرار يدين بشدة إسرائيل، لعدم تقيدها بقرار مجلس الأمن رقم 497 (1981)، وبقرار الجمعية العامة رقم 226/36 (ب) (1981) يقرر أن الإجراءات الإسرائيلية في مرتفعات الجولان السورية المحتلة، التي بلغت ذروتها في قرار إسرائيل المؤرخ في 14

الغربية، الفيتو ضد مشروع قرار تقدمت به روسيا لوقف إطلاق النار في غزة خصوصاً مع حرب الإبادة ونهج الأرض المحروقة التي تمارسه إسرائيل في العقاب الجماعي لسكان غزة.

إحباط الولايات المتحدة لمشروع القرار الأخير، هو نهج سياسي ثابت للولايات المتحدة، في وقفها ضد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، والدعم الثابت لدولة الاحتلال الإسرائيلية.

مستفيدة من موقعها المهيمن في السياسة الدولية استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية، حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن عدة مرات ضد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وقرارات أخرى ضد حق الشعب السوري وكذلك الشعب اللبناني ضد الاعتداءات الإسرائيلية والاحتلال الإسرائيلي إلا أن البحث يشير إلى أبرز المرات التي استخدمت

وحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة  
ووجوب انسحاب إسرائيل من جميع  
الأراضي العربية المحتلة منذ  
حزيران/ يونيو ١٩٦٧.

(المصدر: وكالة الأنباء  
والمعلومات الفلسطينية) «وفا»<sup>(٦)</sup>

كانت أبرز القرارات التي وقفت  
ضدها الولايات المتحدة، تلك التي  
صدرت في العام ١٩٧٦م، والتي  
أحبطت قيام دولة فلسطينية، حتى  
الآن، ففي ٢٥- يناير من العام  
١٩٧٦م، استخدمت الولايات  
المتحدة حق النقض وأحبطت مشروع  
قرار تقدمت به باكستان وبنما وتنزانيا  
ورومانيا، ينص على حق الشعب  
الفلسطيني في ممارسة حق تقرير  
المصير وفي إقامة دولة مستقلة وفقاً  
لميثاق الأمم المتحدة، وضرورة  
انسحاب إسرائيل من الأراضي  
المحتلة منذ يونيو ١٩٦٧م، ويدين  
إقامة المستوطنات اليهودية في

كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨١ بفرض  
قوانينها وسلطتها وإدارتها على  
مرتفعات الجولان السورية المحتلة -  
تعتبر عملاً عدوانياً بموجب أحكام  
المادة ٣٩ من ميثاق الأمم المتحدة.

رقم مشروع القرار: 12119S/

تاريخ الفيتو: ٢٩/٦/١٩٧٦

مضمون مشروع القرار: مشروع  
قرار يؤكد حقوق الشعب الفلسطيني  
غير القابلة للتصرف في تقرير المصير،  
بما في ذلك الحق في العودة والاستقلال  
الوطني والسيادة في فلسطين، طبقاً  
لميثاق الأمم المتحدة.

رقم مشروع القرار: 11940S/

تاريخ الفيتو: ٢٦/١/١٩٧٦

مضمون مشروع القرار: مشروع  
قرار يؤكد على وجوب تمكين الشعب  
الفلسطيني من ممارسة حقه القومي  
غير القابل للتصرف في تقرير المصير،  
بما في ذلك الحق في إقامة دولة مستقلة  
في فلسطين طبقاً لميثاق الأمم المتحدة؛

الأراضي المحتلة.

وفي ٢٩ يونيو من ذات العام، استخدمت الولايات المتحدة الفيتو ضد قرار تقدمت به كل من غويانا، وباكستان وبنما وتنزانيا، يؤكد على حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والعودة إلى وطنه وحقه في الاستقلال والسيادة.

وكان من آخر المرات التي وقفت فيها الولايات المتحدة ضد قرارات كهذه، هو استخدام الولايات المتحدة الأمريكية حق النقض في (٣١/ ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٤م) ضد مشروع قرار طرحته المجموعة العربية بالأمم المتحدة -بقيادة مصر- لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية بحلول عام ٢٠١٧م، حيث لم يحظ المشروع بتأييد عدد الأصوات اللازمة لذلك. صوت ثمانية أعضاء من بين دول المجلس الـ ١٥ بالموافقة على مشروع القرار،

بينما عارضه اثنان، أحدهما الولايات المتحدة، وامتنع خمسة عن التصويت. وكانت الولايات المتحدة قد عبرت أكثر من مرة عن رفضها لمشروع القرار العربي وحتى لفكرة توجه الفلسطينيين إلى مجلس الأمن الدولي لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي. وقال جيفري راشكي المتحدث باسم الخارجية الأميركية في المؤتمر الصحافي اليومي إن «موقفنا من القرار لم يتغير. وأريد أن أضيف أن هناك دولا عدة أعلنت أنها لن تكون قادرة على دعم هذا القرار. وحتى من بين هذه الدول هناك من كان يدعم الفلسطينيين منذ فترة طويلة وأعلن أنه لن يصوت إلى جانب «مشروع القرار»».<sup>(٧)</sup>

### قرار الأمم المتحدة بإدانة من ينكر الحق الفلسطيني

لم تقتصر الأمم المتحدة على رعاية حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني مبدئياً إذ تنطبق عليها

الأول (أكتوبر) ١٩٧٠ بشأن برنامج العمل من أجل التنفيذ الكامل لإعلان منح الاستقلال للبلاد وللشعوب المستعمرة.

ثم نص القرار على ما يأتي:

١ - تؤكد شرعية نضال الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية، والمعترف بحقوقها في تقرير المصير، لكي تستعيد ذلك الحق بأية وسيلة في متناولها.

٢ - تعترف للشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية في ممارستها الشرعية لحقوقها في تقرير المصير، بالبحث عن جميع أنواع المعونة المعنوية والمادية وتلقيها، بموجب قرارات الأمم المتحدة وروح ميثاق الأمم المتحدة.

٣ - تدعو جميع الحكومات التي تنكر حق تقرير المصير على الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية إلى الاعتراف بذلك الحق

معايير القانون، خصوصاً الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ م، أكثر من ذلك أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة، قرار رقم ٢٦٤٩ - في الدورة ٢٥ بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ م، قضى إدانة إنكار حق تقرير المصير خصوصاً للشعوب جنوب إفريقيا وفلسطين، وكانت حينها جنوب إفريقيا تخضع لنظام الفصل العنصري.

جاء في ديباجة القرار التذكير بقرار الامم المتحدة رقم ٢٥٨٨ بـ (الدورة ٢٤) الصادر في ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٩ م، والقرار رقم ٨ الذي اتخذته المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان في طهران سنة ١٩٦٨ م، وكذلك قرارها رقم ١٥١٤ (الدورة ١٥) الصادر في ١٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٠ م والمتضمن إعلان منح الاستقلال للشعوب والبلاد المستعمرة، وقرارها رقم ٢٦٢١ (الدورة ٢٥) الصادر في ١٢ تشرين

واحترامه وفقاً للمواثيق الدولية ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة وروحه.

٤ - تعتبر أن الاستيلاء على الأراضي والاحتفاظ بها خلافاً لحق شعب تلك الأراضي في تقرير المصير، لا يمكن قبوله، ويشكل خرقاً فاحشاً للميثاق.

٥ - تدين تلك الحكومات التي تنكر حق تقرير المصير على الشعوب المعترف لها بذلك الحق، وخصوصاً شعوب افريقيا الجنوبية وفلسطين.

٦ - تطلب من لجنة حقوق الإنسان أن تبحث في دورتها السابعة والعشرين، في تنفيذ قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية في تقرير المصير، وأن ترفع استنتاجاتها وتوصياتها إلى الجمعية العامة عن طريق المجلس الاقتصادي والاجتماعي في أقرب وقت ممكن<sup>(٨)</sup>.

بناءً على هذا الحق القانوني لحق

الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، اعترفت الأمم المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً على الشعب الفلسطيني في العام ١٩٧٤م، ولا يقتصر الاعتراف بجواز حق منظمة التحرير في النضال من أجل تحرير فلسطين المحتلة، فوفقاً للقرارات الدولية ذات الصلة بالقضية الفلسطينية فإن حركة المقاومة الإسلامية حماس وحركة الجهاد الإسلامي والجهة الشعبية لتحرير فلسطين وغيرها من الفصائل الفلسطينية المسلحة لها الحق في الكفاح من أجل تحرير وطنها، ولا معنى للتصنيفات الغريبة لهذه الفصائل باعتبارها «منظمات إرهابية» علاوة على إشكالية هذا المفهوم، كما أن الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كمعبر عن الشعب الفلسطيني لها حق الحكم الذاتي، لا يعني نفي حق بقية الفصائل الفلسطينية.

وكان قرار الأمم المتحدة رقم

٢٣٢٦م الصادر عام ١٩٧٤م قد نص صراحة على أن الشعب الفلسطيني شعب كامل وله قضية عادلة، ومن حقه الدفاع عنها، وأنه ليس مجموعة من اللاجئين.

### صفقة القرن تصفية للحق الفلسطيني

في العام ٢٠٢٠م، أعلن الرئيس الأمريكي «صفقة القرن»<sup>(٩)</sup>، التي مثلت انقلاباً أمريكياً على كل القرارات الدولية والحقوق الفلسطينية وفي مقدمتها حق تقرير المصير، وحق العودة، تقدم صفقة القرن للفلسطينيين دولة مسخ مرتنة للسيادة الإسرائيلية والتفوق الصهيوني أمنياً واقتصادياً وجغرافياً، وتملكها للمقدسات والتحكم بها، مقابل التخلي عن نهج المقاومة وتصفية السلاح الفلسطيني باستثناء الشرطة، في ظل تنسيق أمني مع الصهاينة، لمحاربة «الارهاب» أي

فصائل المقاومة وقياداتها وعناصرها.

أبرز عناصر الصفقة ما يأتي:

- دولة منزوعة السلاح تماماً في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، مع اشتراط أن يحكم غزة قوى غير حماس والجهاد الإسلامي والتنظيمات الأخرى المسلحة التي تعدّها إرهابية كالشعبية والديمقراطية والنضال الشعبي ولجان المقاومة وغيرها.

- تكون عاصمة الدولة في الضواحي المجاورة لشرقي القدس، مع الإشارة إلى أن الولايات المتحدة ستقيم سفارة لها في هذه الضواحي، بينما تكون القدس كلها بتوصيفها الإسرائيلي مدينة موحدة وعاصمة لـ«إسرائيل».

- يتم استقطاع المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية وضمها لـ«إسرائيل».

- لا عودة لحدود ١٩٦٧م، وإبقاء حدود الدولة الفلسطينية غير مرسمة



- المياه الإقليمية لغزة تبقى تحت السيطرة الإسرائيلية.

- دمج سكان قرى المثلث الفلسطيني (كفر قرع، وعرعر، وياقة الغربية، وأم الفحم... إلخ) مع السلطة الفلسطينية، ومقايسة الفلسطينيين بحيث يتم ضم مناطق للسلطة الفلسطينية تعويضاً عما سيقطع منها.

- تبقى المعابر للدولة الفلسطينية خاضعة لرقابة السلطة الإسرائيلية، كما أن الولايات المتحدة مستعدة للاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على أراض محتلة (غور الأردن، والكتل الاستيطانية الكبرى في الضفة الغربية، وهو التفسير الذي أشار له نتنياهو في المؤتمر نفسه).

### خاتمة:

كان المفكرون في الولايات المتحدة من أوائل من نادوا بحق الشعوب في تقرير المصير، وتعد الولايات المتحدة

لمدة أربع سنوات، يتم خلالها تحقيق تواصل جغرافي بين أراضي الدولة الفلسطينية عبر جسور وأنفاق وتجميد الاستيطان؛ شريطة ألا تشكل هذه الدولة الفلسطينية بأي شكل من الأشكال خطراً على «الأمن الإسرائيلي»، ولا يجوز للسلطة الانضمام لأي منظمة دولية دون موافقة «إسرائيل». وكذلك والإقرار ب«يهودية الدولة الإسرائيلية».

- لن تزيل «إسرائيل» أي مستوطنة، ويتم ربط المستوطنات الإسرائيلية التي تقع داخل مناطق السلطة الفلسطينية بشبكات نقل، أما الفلسطينيون الذين يقعون في مناطق «إسرائيلية» فيسمح لهم بالتنقل نحو أراضي السلطة الفلسطينية.

- يخضع نهر الأردن للسيادة الإسرائيلية، مع تعويض المزارعين الفلسطينيين أو الترخيص لهم في هذه المنطقة.

فلسطينية في الأراضي التي تعد محتلة بحسب القوانين الدولية.

صفقة القرن باعتبارها جزء من الممارسة السياسية الأمريكية هدفت بوضوح لتصفية القضية الفلسطينية والحق الفلسطيني، وهي ضمن هذا السياق التاريخي العدواني للولايات المتحدة الأمريكية المستمرة.

لم يقتصر وقوف الولايات المتحدة ضد حق تقرير المصير على الجانب السياسي، بل في الميادين العسكرية أيضاً، في مختلف الحروب التاريخية بين العرب و«الإسرائيليين».

كانت الولايات المتحدة الأمريكية حاضرة على الدوام في الميدان العسكري، كما تفعل اليوم في معركة «طوفان الأقصى» وقد أرسلت حاملات الطائرات إلى سواحل المتوسط، وأصدرت عشرات التصريحات المؤيدة لدولة الاحتلال على ألسن مختلف قياداتها السياسية

أول دولة طبقته على أرضها عند استقلالها عن بريطانيا عقب حرب ثورية، إلا أنها وقفت ضد هذا الحق حين تحولت إلى دولة استعمارية «إمبريالية»، وباتت تنكره على شعوب العالم.

رغم أن حق تقرير المصير مثبت قانونياً إلا أن الانحياز الغربي لعب دوراً في تعطيل هذا الحق، وتعد القضية الفلسطينية نموذجاً صارخاً على وقوف الغرب بقيادة الولايات المتحدة ضد حقوق الشعوب في تقرير المصير.

منذ ظهور القضية الفلسطينية إلى حيز الوجود وقفت الولايات المتحدة الأمريكية ضد حق الشعب الفلسطيني في الوجود ووفي تقرير مصيره، إذ وقفت ضد عدة مشاريع قرارات كانت تهدف إلى تمكين الشعب الفلسطيني من حقه في الوجود، بما في ذلك قيام دولة

الضغوط على دول المنطقة للحيلولة دون حصول الشعب الفلسطيني على أي دعم بما في ذلك الإغاثة الإنسانية، وضوء أخضر لحرب الإبادة القائمة في غزة.

والعسكرية من الرئيس إلى وزير الخارجية ووزير الدفاع ومجلس الأمن القومي والسفراء والمبعوثين لمختلف القارات، ورحلات مكوكية لوزير خارجيتها واتصالات للممارسة أقصى الهوامش:

المتحدة، ويعيق قضية السلم والتعاون العالميين.

٢. لجميع الشعوب الحق في تقرير مصيرها، ولها بمقتضى هذا الحق أن تحدد بحرية مركزها السياسي وتسعي بحرية إلى تحقيق إنمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

٣. لا يجوز أبداً أن يتخذ نقص الاستعداد في الميدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو التعليمي ذريعة لتأخير الاستقلال.

٤. يوضع حد لجميع أنواع الأعمال المسلحة أو التدابير القمعية الموجهة ضد الشعوب التابعة لتمكينها من الممارسة الحرة والسلمية لحقها في الاستقلال التام، وتحترم سلامة ترابها الوطني

٥. يصار فوراً إلى اتخاذ التدابير اللازمة في الأقاليم المشمولة بالوصاية أو الأقاليم المتمتعة بالحكم الذاتي، أو جميع الأقاليم الأخرى التي لم تزل بعد استقلالها، لنقل جميع السلطات إلى شعوب تلك الأقاليم،

[١] جاء في إعلان الاستقلال الأمريكي.

[٢] نص القرار يقول هذا القرار: «يعلن المؤتمر تأييده لحق جميع الأمم التام في حرية تقرير مصيرها ويعرب عن عطفه على عمال كل قطر يقاسي آتيا نير الاستبداد العسكري أو القومي أو غيرهما، ويدعو المؤتمر عمال جميع هذه الأقطار إلى الانضمام إلى صفوف العمال الواعين - أي الواعين المصالح طبقتهم في العالم أجمع، للنضال معهم في سبيل التغلب على الرأسمالية العالمية وتحقيق أهداف الاشتراكية الديمقراطية الأممية».

[٣] د. بن ملوكة خيراني، «تطور مبدأ تقرير المصير في القانون الدولي» (المجلة الشاملة للحقوق جامعة زيان بن عاشور ديسمبر ٢٠٢٢م) ص ٦٥.

[٤] نص الإعلان على ما يأتي:

١. إن إخضاع الشعوب لاستعباد الأجنبي وسيطرته واستغلاله يشكل إنكاراً لحقوق الإنسان الأساسية، ويناقض ميثاق الأمم

حيث شكلت ما يعرف بجهة الرفض. أصبحت فيما بعد مرجعية المفاوضات في اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣ بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، وهو الاتفاق التي عارضته كل من حركة حماس والجهاد الإسلامي والجهة الشعبية لتحرير فلسطين والجهة الديمقراطية لتحرير فلسطين وجهة التحرير الفلسطينية.

[٦] وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، «مشاريع قرارات لمجلس الأمن اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية الفيتو بحقها»، متوفر على الرابط:

<https://info.wafa.ps/>

[٧] القناة الألمانية DW، «فيتو أمريكي ضد مشروع القرار الفلسطيني لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي»، (٢٠١٤/١٢/٣٠م) متوفر على الرابط:

<https://www.dw.com>

[٨] الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية، «قرار الجمعية العامة رقم ٢٦٤٩ (XXV)»، متوفر على الرابط:

<https://www.palquest.org/ar>

[٩] الميادين نت: «الترجمة الكاملة لنص» صفقة القرن، (٩ فبراير ٢٠٢٠م) متوفر على الرابط:

<https://www.almayadeen.net>

دون أية شروط أو تحفظات، ووفقاً لإرادتها ورغبتها العرب عنهما، بحرية دون تمييز بسبب العرق أو المعتقد أو اللون، لتمكينها من التمتع بالاستقلال والحرية التامين

٦. كل محاولة تستهدف التقويض الجزئي أو الكلي للوحدة القومية والسلامة الإقليمية لبلد ما تكون متنافية ومقاصد ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه.

٧. تلتزم جميع الدول بأمانة ودقة أحكام ميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وهذا الإعلان على أساس المساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لجميع الدول واحترام حقوق السيادة والسلامة الإقليمية لجميع الشعوب.

[٥] حل الدولتين هو حل مقترح للصراع العربي الإسرائيلي يقوم على تراجع العرب عن مطلب تحرير كامل فلسطين وعن حل الدولة الواحدة، ويقوم هذا الحل على أساس دولتين في فلسطين التاريخية تعيشان جنباً إلى جنب، هما دولة فلسطين إلى جانب دولة إسرائيل، وهو ما تم إقراره في قرار مجلس الأمن ٢٤٢ بعد حرب ١٩٦٧ وسيطرة إسرائيل على باقي أراضي فلسطين التاريخية. اعتمد بعض الفلسطينيين هذه المبادئ في عام ١٩٧٤ بالبرنامج المرحلي للمجلس الوطني الفلسطيني، والذي عارضته بعض الفصائل الفلسطينية، وقتها،

أ. د. وجدان فريق عناد  
مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

# أثر البناء الفكري للمرأة الفلسطينية في مواجهة تحديات استراتيجية الإبادة للعنصر الصهيوني

## الملخص

معركة غير متكافئة، في ظل غياب  
الدعم العربي والإقليمي والدولي،  
فضلاً عن معاناة يومية صعبة على كل  
الأصعدة.

كلمات مفتاحية: البناء الفكري،  
المرأة، فلسطين، العدو الصهيوني

## المقدمة:

منح الإسلام المرأة المسلمة مكانة

إن للمرأة مكانة ومنزلة كبيرة في  
التاريخ بمختلف مراحلها المتعارف  
عليها بين الباحثين، ومما لا خلاف  
عليه أن لها صورة ناصعة في نضال  
الشعوب والتخلص من الاستعمار،  
ولكن للمرأة الفلسطينية خصوصية في  
هذا الإطار كونها لا تزال تناضل من  
أجل التحرر من احتلال تخوض ضده

باكية أمسها ويومها ومستقبلها. بل العكس فهي المنار الذي حفظ فلسطين التاريخية في ذاكرة الأجيال، وغرست في نفوس أبنائها مبادئ الجهاد والتضحية، والأمل بالمستقبل وإن كان بعيداً فهو قادم بعودة الأرض والعودة إلى الديار.

**أهمية الدراسة:** - تتمثل أهمية الدراسة في كونها تتناول المرأة الفلسطينية والبحث في المراكز الفكرية التي تسلمت بها فكانت بتلك القوة لتحمل المعاناة اليومية ومقاومة ألم المشاعر الانسانية بروح مؤمنة صابرة واردة فولاذية.

**مشكلة الدراسة:** - ظهرت المرأة الفلسطينية عبر كل مراحل النضال التي خاضها شعبها بصورة رائعة فكانت أنموذجاً للمرأة المؤمنة بقضية بلدها، فهذه الدراسة تحاول الإجابة عن تساؤل: كيف تمكنت المرأة الفلسطينية من تحمل الأعباء والمسؤوليات الصعبة في ظل تلك الظروف القاهرة؟

كبيرة، فقد شرفها الله تعالى بسورة تعد إحدى السور السبع الطوال هي «سورة النساء»، وذكرها الرسول محمد ﷺ في العديد من الاحاديث وجعلها في مقدمة أسباب اليمن والبركة في الحياة. وبالفعل اثبت تلك المرأة الجدارة في استحقاق تلك المكانة العالية فتحملت المسؤولية في كل عصور التاريخ الاسلامي، وشاركت الرجل في كل مجالات الحياة فبرزت بدورها المؤثر في الحياة العامة فكان لها دور بارز في العلم والحضارة والسياسة والنفوذ والسلطان والبر والاحسان. فكانت المرأة المقدسية كنظيراتها من النساء في العالم الإسلامي.

ولكن في التاريخ الحديث والمعاصر برزت المرأة الفلسطينية بتفرداها، فلا يمكن مقارنتها بغيرها من النساء في العالم الإسلامي والدولي، لكونها تعيش بشكل يومي ومنذ عقود وهي محاطة بكل أنواع الضغوط القاسية ومع ذلك لم تكن امرأة منكسرة يائسة ضعيفة محطمة



والاجابة ستقودنا للوقوف على الركائز  
الفكرية التي كانت تستمد منها تلك  
المرأة مصادر قوتها.

والتحليل والاستنتاج.

هيكلية الدراسة: - الدراسة  
مقسمة إلى: -

فرضية الدراسة: - تقوم الدراسة  
على فرضية أن قوة المرأة الفلسطينية  
كان منبعها عدد من الأسس التي  
نشأت عليها، فجعلت منها شخصية  
قيادية في بيتها ومجتمعها. مدركة  
لأهمية دورها في غرس روح المقاومة  
والصمود من اجل الانتصار على  
الكيان الصهيوني المحتل.

أولاً: - لمحة عن الحياة العامة  
للمرأة الفلسطينية في فلسطين

ثانياً: - مرتكزات البناء الفكري  
للمرأة الفلسطينية

ثالثاً: - أثر البناء الفكري للمرأة  
الفلسطينية في مواجهة تحديات  
استراتيجية الإبادة للعدو الصهيوني

### أولاً: - لمحة عن الحياة العامة للمرأة الفلسطينية في فلسطين.

المرأة الفلسطينية لا يمكن مقارنتها  
بغيرها من النساء، وليس من العدل  
والإنصاف أن تقارن بمثيلاتها عبر  
التاريخ، ليس لكونها تملك صفات  
جسمية أو عقلية متفوقة على غيرها  
من بنات جنسها، بل تفردا يأتي من  
كونها امرأة تعيش كل يومها بصعوبة  
بالغة، تفتقر إلى كل مكونات الحياة

حدود الدراسة: - ستكون حدود  
الدراسة المكانية مقتصرة على المرأة  
الفلسطينية التي تعيش تحت الاحتلال  
في فلسطين، والحدود الزمنية ستشمل  
بيان المرتكزات الفكرية التي تؤمن بها  
تلك المرأة منذ بداية الاحتلال  
الصهيوني لفلسطين وحتى الآن.

منهج البحث: - ستعتمد الدراسة  
على منهج البحث الاستقرائي  
للأحداث التاريخي من حيث الجمع

عند معظم البنات، فهن يشعرن بالمسؤولية ازاء أسرهن وقضية بلدهن، فينهن الشهيدات والمعتقلات والمشاركات في المظاهرات والمواجهات ضد العدو الصهيوني.

باختصار إن الظروف العامة التي تعيشها المرأة الفلسطينية وهي محاطة بكل أنواع الضغوط، لم تجعل منها امرأة منكسرة يائسة ضعيفة محطمة باكية أمسها ويومها ومستقبلها، بل العكس، فهي المنار الذي حفظ فلسطين التاريخية في ذاكرة الأجيال، وغرست في نفس ابنها مبادئ الجهاد والتضحية، والأمل بالمستقبل، وإن كان بعيداً فهو قادم بعودة الأرض والعودة إلى الديار، حريصة أن يكون حديثها حاملاً لبراعم التفاؤل ورسم صورة جميلة عن بلدها وقربتها ومدينتها وبيتها، تحتفظ بذكرات مادية ومعنوية، يشعرها الأبناء بنبراتها وتقاسيم وجهها، التي تعكس إصرارها على حفظ الهوية الوطنية

البسيطة، ولعل في مقدمتها فقدان الأمن والأمان، فحالة الحرب الدائمة مع عدو تاريخي يمتلك كل وسائل التفوق، والحالة النفسية الصعبة، فهي تعلم منذ لحظات ولادة ابنها أن مصيره السجون والاعتقال والبطالة أو الإعاقة تحت تأثير ماكنة الحرب الدائرة، وهي كزوجة تعلم قصر يد زوجها مع ارتفاع تكاليف الحياة، والأصعب توفير متطلبات العيش اليومية في بلد الحياة الاقتصادية مدمرة فيه والبطالة منتشرة.

عليها أن تقوم بتلك المسؤوليات جميعاً، ولا سيما في ظل غياب الأب الذي يكون غيابه قسرياً باستشهاده أو اعتقاله أو تعرضه للعجز والإعاقة بتأثير أسلحة العدو أو فقدان فرص العمل المحدودة، وهذا عبء ثقيل، فهي المعيلة لتلك الأسرة بما تملكه من مؤهلات تؤهلها للعمل وفق امكانياتها للحصول على أجر مهما كان بسيطاً. فضلاً عن العزوف عن الزواج

عام ١٩٤٨ حتى اليوم، قامت القوات الإسرائيلية باستهداف وإذلال النساء الفلسطينيات ضارين بعرض الحائط الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان<sup>(١)</sup>.

لقد وثق تقرير المرصد الأوروبي متوسطي لحقوق الإنسان الذي صدر في ١٧ كانون الأول ٢٠١٤ بعنوان «جرف الزهور» معاناة النساء الفلسطينيات خلال العدوان الصهيوني على قطاع غزة في ٢٠١٤، وأشار التقرير إلى أن (٤٨٩) امرأة راحت ضحية للعدوان الصهيوني عام ٢٠١٤ أو ما يعرف بعملية (الجرف الصامد).

وأشار التقرير إلى أن ذلك العدوان خلف (١١٣١٤) أنثى مشردة في مدارس الإيواء، وتعدّ تلك الممارسات انتهاك للقانون الدولي الإنساني، ولا سيما اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩، والبرتوكول الإضافي الملحق باتفاقية

الفلسطينية لمواجهة السياسة القمعية التي اتبعها العدو من أجل طمس الهوية الفلسطينية، فقد أدركت أهمية دورها بذلك لإدامة مسيرة النضال من خلال الذاكرة والتاريخ الشفوي والتعبير الفني كالغناء والتطريز والحياكة.

انعكست ظروف الاحتلال الصهيوني سلباً على حياة المرأة الفلسطينية، ففي أعقاب نكبة فلسطين في حرب العام ١٩٤٨، تم تهجير وتشريد الملايين من النساء. فضلاً عن الإجراءات التي اتخذتها قوات الاحتلال الصهيوني كان لها تأثيرها المباشر على الأمن الجسدي، والنفسي، والصحي، والتعليمي، والإقتصادي. وكانت النساء هي الفئة التي حملت النصيب الأكبر من ذلك الأذى، فعلى سبيل المثال، عانت النساء من الخوف الشديد، وفقدان الأمن، ونوبات الغضب وغيرها من الاضطرابات. فخلال التاريخ الممتد للحروب من

منزلها منطلقاً لعملياته الجهادية، واغتيل في منزلها بعد اشتباك مسلح مع جنود الاحتلال الصهيوني، وتعرض منزلها للقصف من قبل جيش الاحتلال أربع مرات.

### ثانياً: -مرتكزات البناء الفكري للمرأة الفلسطينية

إن المرأة الفلسطينية لم تتمكن من القيام بكل تلك المهام الجسيمة والأعباء والمسؤوليات الصعبة، لولا توفر عدد من المرتكزات الفكرية التي كانت تستمد منها مصادر قوتها وتفرداها بين مثيلاتها من النساء الأخريات، ومنها:

#### (١) الأيمان المطلق بقضيتها

كانت المرأة الفلسطينية ولا تزال تحتل موقعاً صلباً في المجتمع الفلسطيني، فهي تمارس نشاطها السياسي والاجتماعي وهي حاضرة تمارس دورها إلى جنب الرجل.

جنيف ١٩٧٧، فالمادة (٧٦) من البرتوكول الإضافي الأول ينص على «يجب أن تكون النساء موضع احترام خاص». أما المادة (١٧) تؤكد على ضرورة نقل النساء النفاس من المناطق المحاصرة. فبالرغم من هذه الاتفاقيات، فإن إسرائيل تضربها بعرض الحائط مرتكبة أفظع الانتهاكات ضد الفلسطينيين بشكل عام، والنساء بشكل خاص<sup>(٢)</sup>.

ومن أبرز الأمثلة خنساء فلسطين (أم نضال فرحات) السيدة مريم محمد يوسف محيسن (١٩٤٩-٢٠١٣)، وهي داعية إسلامية، ومربية، ومجاهدة، وسياسية فلسطينية، ونائب في المجلس التشريعي عن كتلة التغيير والإصلاح، وقيادية في حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، قدمت ثلاثة من أبنائها شهداء في فلسطين وهم كل من نضال ومحمد ورواد فرحات، وآوت قائد الجناح العسكري لحركة حماس (كتائب القسام) عماد عقل، وكان

ومنذ بداية اللّمحات الأولى للدعم الدولي لتأسيس دولة ووطن قومي لليهود في فلسطين ظهرت المقاومة الفلسطينية الراضة لذلك المشروع التي قدمت صوراً رائعة مع بساطة الأدوات التي تملكها مقارنة مع العدو الصهيوني، فضلاً عن الدعم الدولي لذلك الكيان الغاصب ولا سيما البريطاني، بينما كانت حالة التمزق وعدم التنسيق العربي وعجز الحكومات العربية عن تقديم أي مساعدة لفلسطين سوى الشعارات<sup>(٣)</sup>.

امام هذا الواقع كانت المرأة الفلسطينية ولكونها جزء أساس وفاعّل في مجتمعها وبمختلف مستوياتها الفكرية والتعليمية تمتلك إيماناً مطلقاً بالقضية وطنها، مؤمنة بعدالتها ومظلومية شعبها، فقد أدركت تلك المرأة أن آمال الفلسطينيين قد تبددت وهم ينتظرون من الأمة العربية المبادرة لإنقاذهم من

التشرد والعناية بسكان الأرض المحتلة، فلا أمل بالحكومات العربية التي علقت عليها الآمال<sup>(٤)</sup>.

فلم تجد إلا أن تكون الناقل الأمين للإيمان بالقضية الفلسطينية إلى الأجيال القادمة، فقد أدركت عن وعي أو بالفطرة أنها الحامي لتلك القضية والحارس عليها، وهي الوحيدة القادرة على القيام بتلك المهمة. فقد كانت النسوة الفلسطينيات في الطليعة دائماً، بل يمكننا القول أن قيمة نشاط النساء في هذا المجال أكبر من قيمة نشاط الرجال فهن يتظاهرن في الشوارع، ويقفن أمام المدافع والدبابات وسلاحهن الهتاف بقبضاتهن، كل ذلك كان محفز ومضاعف لقوة الرجال ومقاومتهم، لأن الرجال عندما يشاهدون النساء وقد نزلن إلى الشوارع لمواجهة الدبابات يتضاعف عزمهم وإصرارهم على مواصلة النضال، فمنذ الانطلاقة الأولى للمقاومة الفلسطينية كان حضورهن فاعلاً في زرع الحماسة

مقترن ببعد عقائدي إسلامي، فأضافت الحركة الشعبية الفلسطينية إلى أبعادها السابقة هذا البعد العقائدي الإسلامي، فمنح الفلسطينين طاقة وثقة بالأيديولوجية الإسلامية، فأحيا الإسلام قوة الثورة والغليان في الشعب الفلسطيني من جديد<sup>(٧)</sup>.

ولابد إن هذا المنعطف في القضية الفلسطينية قد ترك أثره في المجتمع الفلسطيني، وزاد من الإيثار والثقة بقوة الإسلام على إنفاذ القضية. وبما إن المرأة الفلسطينية المسلمة مؤمنة أن الإسلام يرفض الظلم وانتهاك الحرمات، ويعطي الجهاد والمجاهد فضل ومكانة عالية في الدنيا والآخرة<sup>(٨)</sup>، لذلك نجد المرأة الفلسطينية المؤمنة مدركة قيمة الجهاد وأنه السبيل لإنقاذ بلادها، وهي بهذا الإيثار تغلبت على غريزة الأمومة، فهي تغرس في نفوس الأبناء تلك القيمة العالية، لذلك نجد بين المتظاهرين من هم في فئات عمرية صغيرة، يقفون أمام الجنود الصهيانية

في نفوس الفلسطينيين، وتهيئة الدعامة القوية لهم من خلال التعبئة الروحية والمعنوية<sup>(٩)</sup>.

لذلك كان لتلك المرأة القوية دور أكبر من دور الرجال لأن نشاطهن في المقاومة ودورهن الكبير في التربية، فضلاً عن ما يملكن من العواطف والأحاسيس التي يتصفن بها، وهي غير متوفرة عند الرجال، أنتج قيمة معنوية أكبر وإنجاز أعمال مفيدة ونافعة لقضية بلدهن، دون انتظار مكافأة من أحد<sup>(١٠)</sup>.

## (٢) البعد الديني

إن البعد الديني يظهر جلياً بعد أن وصلت القضية الفلسطينية في جميع الاتجاهات إلى طريق مسدود، فقد أدركت أن الفلسفات السياسية تنتج الهزيمة والاستسلام والمساومة، وأن النضال الفلسطيني وحتى وقت قريب كان مقترن ببعدين سياسي وعسكري ومقترن برؤية قومية، إلا أنه أصبح



بكل صلابة، فكانوا صورة حية لما زرعت فيهم تلك المرأة من مبادئ وقوة، فضلاً عن أننا نجد لها محتسبة مفتخرة عند استشهادهم واعتقالهم، لأنها مؤمنة أن النضال ضد الصهيونية واجب شرعي وعقائدي، ولا سيما أن أكثر ما يخيف الصهاينة هي غلبة الصفة الإسلامية على المقاومة الفلسطينية<sup>(٩)</sup>.

إن النسوة الفلسطينيات جنديات مجهولات يتواجدن في جبهات الجهاد ومنهركات فيه، منهن نتعلم الأخلاق الإسلامية وقوة الإيمان، فهنّ من صنع شعباً يتطلع إلى الشهادة، هكذا شعب لا يعبأ إذا اشتدت المعاناة الاقتصادية، ثابتون في أماكنهم لا يخشون القوة الصهيونية بكل قوتها العسكرية، كل ذلك كان لأن المرأة الفلسطينية مستعدة بعزم راسخ وإرادة حازمة لتحمل كل أنواع المعاناة، وتطلب الشهادة لكل من تحب، لأنها مؤمنة أن النصر سيكون موجود في نهاية الطريق، وهي تعمل على غرس التعبئة

الروحية والفكرية بين أبناء شعبها<sup>(١٠)</sup>. بل إنها سجلت سابقة خطيرة في مسار المقاومة عندما جاء تنفيذ العمليات الاستشهادية من قبل العنصر النسوي وجعل الوضع للصهاينة صعباً وشاقاً، فكانت وفا إدريس البالغة من العمر (٢٨) عاماً، ونفذت في ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٢م أول عملية استشهادية تقوم بها امرأة في يافا، وعندليب تاكافكا البالغة (٢٠) سنة فجرت حزاما ناسفا فقتلت (٦) اسرائيلين، ثم قتلت إمرأتان فلسطينيتان في عمليات إستشهادية عدداً من الاسرائيلين، وتحولت صور أولئك النساء الأربع إلى بوسترات، ونظمت فيهن القصائد، ولا شك أن أولئك النساء الاستشهاديات أحدثن تغييراً واضحاً في الثقافة الفلسطينية، كما ان تطور التفجيرات الاستشهادية من عملية تكتيكية فرعية إلى إستراتيجية منظمة هو الآخر يعكس أهمية التغيير في منهج المقاومة، فقد

أمرأً جلب انتباه العالم للقضية الفلسطينية<sup>(١٢)</sup>.

وقد عبرت عن هذا المعنى آيات الاخرس وهي امرأة استشهادية فلسطينية حين قالت: «إني أريد أن احارب إسرائيل نيابة عن الجيوش العربية التي خلدت إلى النوم وتتفرج على حرب الفتيات الفلسطينيات ضد اسرائيل»<sup>(١٣)</sup>.

### (٣) التراث

التراث هو خبرات متراكمة تنتقل من جيل إلى آخر، فنحن نتحدث عن قيمة معنوية لا تضاهيها قيمة، وعن أثر في المجتمع لا يمكن أن يقاس بالمعادلات الرياضية والأرقام الجبرية والرسوم الهندسية. فالتراث ذاكرة الأمم وهويتها، ولكي يكون المجتمع قادراً على النهوض فإنه يحتاج إلى أدوات وظروف ملائمة تشمل كل جوانبه، ليعطي ثماره في إنتاج أجيال تتحلّى بالقدرات البناءة للوطن في كل

أحدثت تلك العمليات الاستشهادية النسوية صدمة للصهيانة، لأن دخول المرأة في هذه الاتجاه يعني فقدان الأمن للعدو الصهيوني إلى حد كبير<sup>(١١)</sup>.

ويبدو بوضوح أن السبب وراء انخراط المرأة الفلسطينية في مسار العمليات الاستشهادية يأتي من الأحساس العالي بالمسؤولية ازاء قضيتها، فهي تعيش في وضع صعب من جميع النواحي، فضلاً عن الشعور بأن الوضع القائم في الأراضي المحتلة أوجد حالة من اليأس والغضب، فكانت تلك العمليات من أساليب المقاومة الفلسطينية، وخيار لا بديل عنه على الرغم من الانتقادات والتبعات الباهضة الثمن، فالفلسطينيون فقدوا الأمل بالمجتمع الدولي وهم لا يملكون ما يخسرون، فجعلوا أنفسهم قنابل بشرية يسلبون الأمن من الصهيانة، والأخير هو هاجس أساس للكيان الصهيوني، فكان دخول المرأة كمنفذة للعمليات

(ميكانيزم النكوص) عبر التمسك بمنظومة العادات والتقاليد<sup>(١٥)</sup>.

ومن هذا المنطلق فإن المرأة الفلسطينية أدركت بما تملك من وعي وفطرة العلاقة الجوهرية بين التراث والقضية الفلسطينية والدور المهم للتراث في الحفاظ على الهوية والتاريخ والإرث الثقافي لمجتمعها، لذلك فهي تبذل جهداً مضاعفاً في هذا الجانب للحفاظ على التراث الثقافي وإتاحته وتسهيل الاطلاع عليه.

فكانت المعارض والمشاركة في المهرجانات التراثية التي تقام خارج فلسطين أحد الوسائل التي سعت من خلالها المحافظة على تراثها ونقله للأجيال القادمة وتعريفه بين العالم. ولعل ابرز ما نجده في الجناح الفلسطيني لوحات وصور معلقة تعكس جوانب الحياة الفلسطينية في الماضي بما يعكس تاريخها، فضلاً عن الحاضر الذي يصور معاناة هذا

الأصعدة، ولا بد أن يكون التراث أحد تلك الأدوات البالغة الأهمية. فلا بد من العودة إلى التراث ليكون ركيزة أساس في عملية النهوض. فالتمسك به لا يعني العودة إلى الوراء، ولا يعني الابتعاد عن الاستفادة من التطور العلمي في كل جوانبه<sup>(١٤)</sup>.

إن مفهوم التراث الثقافي أكبر بكثير من الكتب التي تحتويها أي مكتبة أو المقتنيات التي يعرضها أي متحف، بل هو قضية أساسية من قضايا حقوق الإنسان، قضية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوعينا بذاتنا وبكرامتنا كبشر.

وبما أن طبيعة الاحتلال الصهيوني هو احتلال استيطاني وهذا وضع المجتمع الفلسطيني في وضعية الصراع من أجل البقاء، وترسيخ الهوية الوطنية القومية، مما دفعه للتشبث بالقيم والتقاليد والموروث الثقافي كأسلوب دفاعي عن الهوية والقومية فأستعمل ما يعرف بعلم النفس

الشعب.

ومن ضمنها الترسانة النووية<sup>(١٧)</sup>، وهي لم تتخل عن عنفها وتفوقها العسكري، وتمتلك القدرة والتأثير الإعلامي على أنها الضحية، وهي متمكنة من قلب الحقائق والتضليل<sup>(١٨)</sup>.

ولابد أن تكون المرأة جزء من تلك اللوحات والصور، منها امرأة فلسطينية جالسة أمام جرافة صهيونية لمنع تهديم بيتها، وأخرى تمثل امرأة جالسة خارج بيتها المطوق بالأسلاك الشائكة، ونساء حاملات للأعلام في القدس الشرقية، وغيرها<sup>(١٦)</sup>. أن تلك الصور دليل على أثرها الفعال في المجتمع الفلسطيني وإنها تبقى رمز الصمود والثبات.

#### (٤) التحدي

من المعروف إنه ومنذ تأسيس دولة الكيان الصهيوني وقيامها على أنقاض المجتمع الفلسطيني وهي تستند في استراتيجيتها للسيطرة والإخضاع واصطفاء العنصر الأقوى، على مبدأ سياسة الإبادة الجماعية، وتتسلح بعنصرية من الطراز الديني، فالعنصرية الصهيونية استمدت قوتها من سيادة الدولة، إذ تتوافر لها كل أشكال التفوق،

لقد استطاعت الصهيونية تسخير كل المجتمعات في جميع أنحاء العالم لخدمة أغراضها بعد أن تمكنت من كسب العديد من المجتمعات العالمية ازاء المشروع الصهيوني وتحقيقاً لهذه الأهداف، فقد عملت على أحياء اللغة العبرية وجعلها اللغة الأساس في المدارس اليهودية، والعمل على إبراز الوجود اليهودي في البلاد في كتب التاريخ وأنكرت أي حق للشعب الفلسطيني، وذلك استناداً إلى مرتكزاتها الفكرية النابعة من المرتكز الديني المستمد من العهد القديم والتلمود. إن التربية الإرهابية عند أتباع العهد القديم تنبع من ما جاء في سفر العدد الذي تقوم على أن مواجهة أعدائهم تستلزم شرب دمهم وإبادتهم<sup>(١٩)</sup>.

(١٣) ينص بوضوح على ذلك، فقد جاء فيه «سننشر بين الشعوب أدباً مريضاً قدراً تغشى له النفوس، ويساعد على هدم الأسرة وتدمير جميع المقومات الأخلاقية للمجتمعات المعادية لنا، وسنستمر في الترويج لهذا الأدب وتشجيعه، حتى بعد فترة قصيرة من الاعتراف بحكمنا»<sup>(٢١)</sup>.

وكان المال والإعلام القائم على الغش لتمرير مؤامراتهم، فالاستغلال الاقتصادي وجمع المال بشتى الأساليب مع تحريف الكلام والتلاعب بالنصوص أمور معروفة عن اليهود، فقد جاء في البرتوكول الثامن «إننا سنحيط حكومتنا بجيش من الاقتصاديين، لذا فإن علم الاقتصاد السياسي هو العلم الرئيس الذي يهتم اليهود بتعليمه، وسنكون محوطين بجماعات كثيرة من أصحاب المصارف والتجار والأغنياء، ولا سيما أصحاب الملايين، لأن كل شيء سوف يحل بصورة جوهرية بالأرقام»<sup>(٢٢)</sup>.

ومن ذلك يستمد الفكر العسكري الصهيوني جذوره من العقيدة الصهيونية، فاستعمال القوة والقتل والإرهاب والعنف هو أساس هذه العقيدة، إذ يحاول الصهاينة أخذ التجارب من العهد القديم من أجل غرس روح العنف في نفوس الجنود الصهاينة. إن الإرهاب الفكري والتربوي هو جزء أساس لتطور الحياة الاجتماعية، ولا يبقى الكيان إلا به، فإن زال الإرهاب زال الكيان الصهيوني، أي أنه ضرورة داخلية غير مشروطة بعمل خارجي، فالدولة الصهيونية لا تقوم إلا إذا مارست بشكل متصل ومستمر إرهاباً متبادياً ضد الشعب الفلسطيني<sup>(٢٣)</sup>.

ومن أخطر ما جاء في الأيديولوجية اليهودية التلمودية الدعوة إلى هدم الأسرة والأخلاق والدين والدعوة إلى الإباحية، فكان ذلك أحد سبل حكام صهيون لفرض السيطرة على العالم، فكان البرتوكول

والتحدي في نفوسهم إلا وهو تلك المرأة.

### ثالثاً: أثر البناء الفكري للمرأة الفلسطينية في مواجهة تحديات إستراتيجية الإبادة للعدو الصهيوني

لا شك في أن حجم المعاناة الإنسانية التي مر بها الشعب الفلسطيني باحتلال وسرقة وطنهم واللجوء أثره الواضح عليهم ولا سيما أن تلك المعاناة مستمرة دون حل في الأفق<sup>(٢٤)</sup>، وأن الجرائم التي تمارس ضدهم أقل ما يمكن وصفها بالبشاعة لأنها تحمل صفة جرائم الإبادة الجماعية<sup>(٢٥)</sup>، وهي مستمرة دون رادع لمرتبكها، فقد نفذ الصهاينة جرائمهم من نافذة سياسية وفرتها الولايات المتحدة الأمريكية كضمانة لاستمرار الجريمة والإفلات من العقاب<sup>(٢٦)</sup>.

في ظل تلك الظروف كانت الروح التي تتحلى بها المرأة الفلسطينية وما

وما من شك أن الفلسطينيين أضعف من دولة الصهاينة بكل الجوانب، لذلك فالشعب الفلسطيني يعيش معاناة شديدة على الأرض<sup>(٢٣)</sup>، فلم يكن من خيار لدى هذا الشعب أمام صمت الحكومات العربية والتخلي الدولي إلا المواجهة منفرداً والصمود والثبات بإمكانيات بسيطة.

ولولا المرأة الفلسطينية التي أدركت بوعيتها الفكري أو فطرتها أنها الوحيدة القادرة على بث روح النضال واستمرار روح المقاومة، فقد كان التحدي قوياً، وكان عليها أن تكون على قدر عالي من الصلابة لتحمل تلك المعاناة الصعبة والقاسية، فلم تكن تملك إلا روح التحدي للبقاء، فنقلتها إلى الأجيال القادمة التي نراها واضحة في نظرات عيون الفلسطينيين جميعاً وهم يقفون أمام الجيش الصهيوني، وفي صور الأدباء والفنانين الفلسطينيين الذين لا تخلو أشعارهم ولوحاتهم من عكس منبع القوة



فأثر تلك المرأة يمثل الباب الفولاذي الذي يمنع العدو الصهيوني من تنفيذ استراتيجية الإبادة للشعب الفلسطيني، لأنها مصدر ومنبع المقاومة الحقيقي. وهي تدرك تلك الحقيقية بوعيها الفكري أو بفطرتها أنها تتحمل مسؤولية أخطر من مسؤولية الرجل، لأنه يقع على عاتقها تربية الجيل تربية وطنية، فهي تمتلك العصى السحرية في التأثير على أبنائها، لأن ما يسمعه الطفل من أمه ينغرس في تكوينه ويلزمه طوال حياته، فهذا الجيل الصاعد هو من سيقود النضال لإنقاذ شعبه.

ففضل ما زرعه تلك المرأة في عقول وروح الجيل الصاعد، فشل الصهاينة في إضعاف المقاومة على الرغم مما ألحق بها من قتل جماعي وخراب ودمار<sup>(٢٧)</sup>، لأنها أدركت أن استراتيجية العدو هي اقتلاع المجتمع الفلسطيني من أرضه بإبادة تامة، فضلاً عن تحول القضية الفلسطينية إلى

قدمته من مقاومة وتضحية على مر العقود الماضية يثير الإعجاب والتقدير، فمواقف الأمهات والأخوات والزوجات والأرامل لا مثيل له، لأنه يحمل أثراً معنوياً وقيمة إنسانية يعجز البشر عن وصفها بكل ما كتبوا وعبروا.

إن الشعب الذي تتواجد فيه هكذا نساء يقفن فيه إلى جانب الرجال، ويضحون بأطفالهن وبشبابهن ويقاومون بشجاعة هو شعب متتصر. فتلك المرأة تواصل حياتها في ظروف الحرب ولا تخشى الموت، وتمثل الحافز المنشط على رفع المعنويات بين الرجال بفضل تلك المرأة سجلت المقاومة الفلسطينية أروع ملاحم البطولة والشهامة في تاريخ فلسطين ونضالها المستمر، فقد علّم العالم دروس التضحية والإيثار، وأحقية قضيتها، ولا تزال على أهبة الاستعداد للتضحية دائماً.

الفكري للمرأة الفلسطينية في مواجهة تحديات إستراتيجية الإبادة للعدو الصهيوني» إلى عدد من النتائج لعل من أبرزها:

إن المرأة الفلسطينية أعطت دليلاً عملياً عن ما تملكه من إمكانيات جسدية وعقلية تفوق المتعارف عليه في القدرات البشرية، ومع بساطة الأدوات التي تعمل بها، وأن العدو الصهيوني وقف عاجزاً أمامها طوال العقود الماضية.

فهي مصدر إلهام ومنبع قوة لكل من حولها، حملت ألم فراق الإبن والأب والزوج، محتسبة مفتخرة، مؤمنة بقضيتها، واثقة من الانتصار في النهاية، مدركة أن الطريق طويل، ولا بد من حامي أمين ينقل للأجيال القادمة حب فلسطين، والنضال من أجلها، فكانت هي ذلك الحامي والحارس على قضية شعبها.

إن القوة الجبارة التي تحملها تلك

صناعة عالمية من الندوات والمؤتمرات والأبحاث داخل الهوية اليهودية وفي العلاقات اليهودية - الغربية، ويلعب فيها الفلسطيني دوراً ثانوياً وغير أساس، وهذه الصناعة باتت تستوعب نخباً عربية وفلسطينية كبيرة تعتاش على القضية، فالعناية الدولية بالقضية الفلسطينية ليس عنصر قوة بل عنصر ضعف لأنه يعكس اهتماماً بالمسألة اليهودية<sup>(٢٨)</sup>.

لذلك حملت تلك المرأة جراح قضيتها لوحدها وهي ترى سماء العرب ملبدة بالغيوم وهناك الكثير من السخط والغضب، إلا أنها تتحلى بروح الأمل وتنبذ اليأس لأن ما لحق بشعبها لا بد أن يبقى جرس إنذار على الدوام مستنهضاً كل الفلسطينيين للتحرك من الصهاينة واستعادة الحقوق<sup>(٢٩)</sup>.

## الخاتمة:

توصل البحث المعنون «أثر البناء

في الضمائر والحياة اليومية للمجتمع الفلسطيني يعود الفضل فيه للمرأة الفلسطينية، التي لم تدخر جهداً من أجل تعريف الرأي العام العالمي بقضيتها وتسليط الأنظار إلى وجود ذلك الشعب الذي يعيش فاقداً لحقوق الإنسان تحت سيطرة الاحتلال الصهيوني.

المرأة جاءت من مرتكزات فكرية هي الأساس، فكان البعد الديني، والايان المطلق بعدالة قضيتها والتراث وروح التحدي، هي المساند التي أعتمدت عليها لنبذ روح اليأس عنها والتحلي بالأمل وإن كان بعيد.

ولابد أن نعترف أن بقاء القضية الفلسطينية بعيداً عن النسيان حاضرة

### قائمة المصادر

#### أولاً: الكتب المنشورة

- 1- إهاب علي شموري، المشروع الصهيوني - الأمريكي ومخاطره على العالمين العربي والإسلامي، باحث للدراسات، بيروت، ٢٠٠٩.
- 2- محمد علي الهاشمي، شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤٢٥هـ.
- 3- مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، القضية الفلسطينية في أحاديث الإمام الخميني، ط٤، طهران، ١٤٢٦هـ.
- 4- مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني، طهران، ٢٠٠٣م.
- 5- إبراهيم العيسوي، مأساة غزة العار ورد
- 6- أحمد جابر، المرأة الفلسطينية في مواجهة العنف والتمييز، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٢١، السنة الثامنة والعشرون، نوفمبر تشرين الثاني ٢٠٠٥.
- 7- خير الدين حسيب، حول العدون الإسرائيلي على غزة مكاسب تكتيكية وفشل استراتيجي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٦٠، السنة الحادية والثلاثون، شباط ٢٠٠٩.
- 8- داود رضائي جراتي، الجناح الفلسطيني في معرض طهران الدولي للكتاب، بحث منشور في كتاب مؤتمر الإمام الخميني ودعم القضية الفلسطينية الدولي طهران ٣-٢ يونيو / حزيران ٢٠٠٢، مؤسسة تنظيم

#### ثانياً: المقالات المنشورة

- 5- إبراهيم العيسوي، مأساة غزة العار ورد

حصار قطاع غزة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٥٩، السنة الحادية والثلاثون، كانون الثاني ٢٠٠٩.

١٣- معن بشور، تأثيرات هزيمة الخامس من حزيران / يونيو ١٩٦٧ في الحركة القومية العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٨٠، السنة الخامسة والعشرون، حزيران / يونيو ٢٠٠٢.

١٤- موسى أبو مرزوق، القضية الفلسطينية الواقع وآفاق المستقبل، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣١١، السنة السابعة والعشرون، كانون الثاني ٢٠٠٥.

١٥- ناصر بور حسن، العمليات الاستشهادية في فلسطين التاريخ، الدوافع، النتائج، بحث منشور في كتاب مؤتمر الإمام الخميني ودعم القضية الفلسطينية الدولي طهران ٢-٣ يونيو / حزيران ٢٠٠٢.

١٦- وجدان فريق عناد، أثر التراث على نهضة المجتمع، بغداد، ٢٠١٨.

ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، د. ت. ٩- ساري حنفي، التطهير المكاني محاولة جديدة لفهم استراتيجيات المشروع الكولونيالي الإسرائيلي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٦٠، السنة الحادية والثلاثون، شباط ٢٠٠٩، محمد أبو الرب، محاكمة الإسرائيليين على حصار قطاع غزة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٥٩، السنة الحادية والثلاثون، كانون الثاني ٢٠٠٩.

١٠- عادل حامد الجادر، المضاعلات ومراكز الأبحاث النووية والتسليح النووي في إسرائيل، بحث منشور في كتاب الكيان الصهيوني والتسلح النووي سلسلة دراسات فلسطينية ٢٢، بغداد، ١٩٩٠.

١١- عزمي بشارة، بمناسبة الذكرى الستين للنكبة في البحث عن معنى للنكبة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٥٢، السنة الحادية والثلاثون، حزيران ٢٠٠٨.

١٢- محمد أبو الرب، محاكمة الإسرائيليين على

## الهوامش:

[١] موسى أبو مرزوق، القضية الفلسطينية الواقع وآفاق المستقبل، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣١١، السنة السابعة والعشرون، كانون الثاني ٢٠٠٥، ص ٩٧-١١٢؛ معن بشور، تأثيرات هزيمة الخامس من حزيران / يونيو ١٩٦٧ في الحركة القومية العربية،

مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٨٠، السنة الخامسة والعشرون، حزيران / يونيو ٢٠٠٢، ص ١١-٢١.

[٢] محمد أبو الرب، محاكمة الإسرائيليين على حصار قطاع غزة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٥٩، السنة الحادية والثلاثون،

- [١٤] ينظر: عبد الله حميد العتاي، نبيلة عبد المنعم داود وإسهاماتها في التراث العلمي العربي، دار قنديل، بغداد، ص ٢٥-٢٧؛ وجدان فريق عناد، أثر التراث على نهضة المجتمع، بغداد، ٢٠١٨، ص ٢-٣.
- [١٥] أحمد جابر، المرأة الفلسطينية في مواجهة العنف والتمييز، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٢١، السنة الثامنة والعشرون، نوفمبر تشرين الثاني ٢٠٠٥، ص ١٣١.
- [١٦] داود رضائي جراتي، الجناح الفلسطيني في معرض طهران الدولي للكتاب، بحث منشور في كتاب مؤتمر الإمام الخميني ودعم القضية الفلسطينية الدولي طهران ٢-٣ يونيو/ حزيران ٢٠٠٢، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، د. ت، ص ١٣٢.
- [١٧] عادل حامد الجادر، المفاعلات ومراكز الأبحاث النووية والتسلح النووي في إسرائيل، بحث منشور في كتاب الكيان الصهيوني والتسلح النووي سلسلة دراسات فلسطينية ٢٢، بغداد، ١٩٩٠، ص ٨٥-٩٤.
- [١٨] إيهاب علي شموري، المشروع الصهيوني - الأمريكي ومخاطره على العالمين العربي والإسلامي، باحث للدراسات، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٣٢٦؛ ينظر: جون ج. ميرشايمر وستيفن م. والت، اللوبي الإسرائيلي وسياسة اميركا الخارجية، ترجمة انطوان باسيل، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، د.
- كانون الثاني ٢٠٠٩، ص ٥٤-٥٧.
- [٣] مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، القضية الفلسطينية في أحاديث الإمام الخميني، ط٤، طهران، ١٤٢٦هـ، ص ٢٤١-٢٤٢.
- [٤] المرجع نفسه، ص ٢٥٥.
- [٥] مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، مكانة المرأة في فكر الامام الخميني، طهران، ٢٠٠٣م، ص ٢٢٣، ص ٢٨٠.
- [٦] المرجع نفسه، ص ٢٢١-٢٢٢.
- [٧] المرجع نفسه، ص ٢٥٩-٢٦٠.
- [٨] محمد علي الهاشمي، شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤٢٥هـ، ص ٦٣-٦٧.
- [٩] مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، القضية الفلسطينية، ص ٢٥٧.
- [١٠] مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، مكانة المرأة، ص ٢١٤-٢١٧.
- [١١] ناصر بور حسن، العمليات الاستشهادية في فلسطين التاريخ، الدوافع، النتائج، بحث منشور في كتاب مؤتمر الإمام الخميني ودعم القضية الفلسطينية الدولي طهران ٢-٣ يونيو/ حزيران ٢٠٠٢، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، د. ت، ص ١٢٩-١٣٠.
- [١٢] المرجع نفسه، ص ١٣١.
- [١٣] المرجع نفسه، ص ١٣٠-١٣١.

- ت، ص ٣٠٣-٣٣٥.
- [١٩] المرجع نفسه، ص ٣٤٩.
- [٢٠] أيهاب علي شموري، المشروع الصهيوني - الأمريكي، ص ٣٤٢-٣٤٣؛ ياكوف م. رابكن، استخدام القوة في التقاليد اليهودية وفي الممارسة الصهيونية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٣١، السنة التاسعة والعشرون، أيلول ٢٠٠٦، ص ١٤٨-١٥٥.
- [٢١] أيهاب علي شموري، المشروع الصهيوني - الأمريكي، ص ٣٤٩.
- [٢٢] أيهاب علي شموري، المشروع الصهيوني - الأمريكي، ص ٣٤٩؛ ينظر: كريم صبح، جماعات الضغط اليهودية التنظيم، الدور والتأثير في صنع القرار السياسي للولايات المتحدة الأمريكية ١٩٤٥-١٩٦٩، بغداد، ٢٠٠٩، ج ٢، ص ١٦٥-٢٣٩.
- [٢٣] أيهاب علي شموري، المشروع الصهيوني - الأمريكي، ص ٣٨٨.
- [٢٤] عزمي بشارة، بمناسبة الذكرى الستين للنكبة في البحث عن معنى للنكبة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٥٢، السنة الحادية والثلاثون، حزيران ٢٠٠٨، ص ٧.
- [٢٥] ساري حنفي، التطهير المكاني محاولة جديدة لفهم استراتيجيات المشروع الكولونيالي الإسرائيلي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٦٠، السنة الحادية والثلاثون، شباط ٢٠٠٩، ص ٦٧-٨٤.
- [٢٦] محمد أبو الرب، محاكمة الإسرائيليين على حصار قطاع غزة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٥٩، السنة الحادية والثلاثون، كانون الثاني ٢٠٠٩، ص ٥١-٦٦.
- [٢٧] خير الدين حسيب، حول العدوان الإسرائيلي على غزة مكاسب تكتيكية وفشل استراتيجي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٦٠، السنة الحادية والثلاثون، شباط ٢٠٠٩، ص ٧.
- [٢٨] عزمي بشارة، بمناسبة الذكرى، ص ٧-٨.
- [٢٩] إبراهيم العيسوي، مأساة غزة العار ورد الاعتبار، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٦٠، السنة الحادية والثلاثون، شباط ٢٠٠٩، ص ٢١٤.



الشيخ مازن البعيجي  
باحث / النجف الأشرف

## جغرافيا المراقد، سياسة وعقائد

وفهم منها ما يصلح ليكون منارة تهتدي بها وإليها الضائعات من السفن ببحر كلما تقدم الزمن تمسكت الأعاصير بأمواجه وتحكمت واحتاج الى نظرية تأخذ على عاتقها النظر في هذه الحركة والمسيرة التي كل شيء فيها ينبأ عن مخطط إلهي وفلسفة تشريع.

ولعل جانب «جغرافيا المراقد» التي توزعت اجسادهم الطاهرة بالشكل المُخبر عن هدف نوعي يتصل بالجانب السياسي، والاجتماعي، والعقائدي عند التدقيق فيها وإثبات أنها تحمّل فلسفة خاصة

نحن قوم يعتقدون بأن لا مجال للصدف، أو الاعتباط، أو العبث في مسير حركة يقودها المعصومون (عليه السلام)، والذين فرغنا من إثبات العصمة لهم بالنص القرآني ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب ٣٣، والسيرة والسنة الصريحة والصحيحة فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» ولهذا البحث مدخلة مهمة في جوانب كثيرة يمكن الإطالة عليها

ومرام إرادته السواء ونفذته خرائط  
استشهاد المعصومين عليه السلام وأبنائهم  
حتى توزعوا بالشكل المدقن والذي  
يشبه نقاط الضوء التي تنير طريق  
يكتنفه الظلام والضباب الكثيف.  
وهذا ما كان عن تخطيط مسبق  
وقصدية رأيها في كلام الإمام الرضا  
صلوات الله وسلامه عليه يوم سمع  
من شاعر أهل البيت عليه السلام دعبل  
الخزاعي قصيدته المشهورة «مدارس  
آيات خلت من تلاوة». حيث عند  
انتهاء القصيدة أضاف له الإمام عليه السلام  
بيتا من الشعر وكان أخبارا عن موضع  
قبره الشريف ومكان مدفنه.  
القصيدة التي أكملها الإمام  
الرضا عليه السلام للشاعر دعبل الخزاعي  
قصيدة «مدارس آيات خلت من  
تلاوة» لدعبل الخزاعي من القصائد  
الشهيرة التي أنشدت في حق أهل  
البيت ويبلغ عدد أبياتها إلى ١٢٠ بيتا  
ويتطرق الشاعر من خلالها إلى فضائل  
أهل البيت عليه السلام والظلمات التي

وقعت في حقهم.

دخل الشاعر دعبل الخزاعي علي  
الإمام الرضا عليه السلام بمرؤ، فقال له: يا  
ابن رسول الله إني قد قلت فيك  
قصيدة، وآليت علي نفسي أن لا  
أنشدها أحداً قبلك.

فقال الإمام عليه السلام: (هاتها).

فأنشده:

مدارس آيات خلت من تلاوة  
ومنزل وحي مقفر العرصات  
لآل رسول الله بالخيف من منى  
وبالبيت والتعريف والجمرات  
ديار لعبد الله بالخيف من منى  
وللسيد الداعي إلى الصلوات  
ديار علي والحسين وجعفر  
وحمزة والسجاد ذي الثففات  
ديار لعبد الله والفضل صنوه  
نجي رسول الله في الخلوات  
وسبطي رسول الله وابني وصيّه  
ووارث علم الله والحسنات  
منازل وحي الله ينزل بينها

على أحمد المذكور في السورات  
منازل قوم يهتدى بهداهم  
وتؤمن منهم زلة العثرات  
منازل كانت للصلاة وللتقى  
وللصوم والتطهير والحسنات..  
واستمر بإنشاد القصيدة، حتي بلغ  
إلي البيت التالي:

أري فيئهم في غيرهم متقّسما  
وأيدهم من فيئهم صفرات  
بكي الإمام الرضا عليه السلام وقال له:  
(صدقت يا خزاعي).

فلما بلغ إلي قوله:  
إذا وتروا مدّوا إلي واترهم  
أكفّاً عن الأوتار منقبضات  
جعل الإمام عليه السلام يقلّب كفيه  
ويقول: (أجل والله منقبضات).

وحينما أنشده هذا البيت:  
لقد خفت في الدّنيا وأيام سعيها  
وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي  
قال الإمام عليه السلام: (آمنك الله يوم  
الفرع الأكبر).

فلما انتهى إلي البيت التالي:  
وقبر ببغداد لنفس زكية  
تضمّنها الرحمن في الغرفات  
قال له الإمام عليه السلام: (أفلا ألحق لك  
بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟)  
فقال دعل: بلي يا ابن رسول الله.

فقال الإمام عليه السلام:  
وقبر بطوس يا لها من مصيبة  
توقّد بالأحشاء في الحركات  
إلي الحشر حتي يبعث الله قائما  
يفرّج عنّا الهم والكربات  
فقال دعل: يا ابن رسول الله، هذا  
القبر الذي بطوس قبر من هو؟؟!!

فقال عليه السلام: (قبري، ولا تنقضي  
الأيام والليالي حتى يصير طوس  
مختلف شيعتي وزوّاري، ألا فمن  
زارني في غربتي بطوس كان معي في  
درجتي يوم القيامة مغفوراً له).

ثم نهض الإمام عليه السلام بعد فراغ دعل  
من إنشاد القصيدة، وأمره أن لا يبرح  
من موضعه، ودخل الدار فأرسل له

بيد الخادم صرّة فيها مائة دينار.

فقال دعبل: والله ما لهذا جئت،  
ولا قلت هذه القصيدة طمعاً في شيء  
يصل إليّ، وردّ الصرّة.

وسأل ثوباً من ثياب الإمام عليه السلام  
ليتبرّك ويتشرف به.

فأنفذ إليه الإمام عليه السلام جبة خزّ مع  
الصرّة، فأخذ دعبل الصرّة والجبة  
وانصرف.

هذا المسرح المسؤول الدقيق في  
إرسال الرسائل العميقة الذي رسمها  
الإمام الرضا صلوات الله وسلامه  
عليه عن قصد وعمد، وهو يُخبر عن  
موضع قبره الشريف قبل وفاته، حيث  
لا أحد يتصور من العامة أو يعرف  
مكان قبره! لكن هذا ما نخبرنا به  
المعصوم وهو يقول؛ كل شيء «مخطط»  
في رحلة «العترة المطهرة عليه السلام» حتى  
قبورهم التي ستكون يوماً من عظيم  
الدلائل على أمور ستثبتها الحاجة  
والتحدّث المستمر عبر الحاجة لكل

عشاق أهل البيت عليه السلام.

ولعلنا أصبحنا اليوم بحاجة الى  
هذا الربط والنفوذ على أعماق تلك  
الخرائط لنعرّف منها الحكمة في هذا  
التوزيع الجغرافي والذي يكاد أن  
يكون محصوراً بين بلدين تعمّدت  
الروايات إعطائه الأهمية القصوى من  
خلال تركيز الروايات المتعددة في  
متنها والمعنى، وهي ترسم خط من  
الأهمية والإشارة التي يريدها المعصوم  
لتكون من أهم الدلائل على خرائط  
السياسة التي تنتجها وحدة التلاحم،  
والتآخي، والتلاقي في فكر واحد،  
ومعسكر واحد، كما الجناحين للذان  
يؤمنان الطيران المريح للطائر، ومن  
دون هذين الجناحين السالمين لن  
يتمكن هذا الطائر من معانقة السماء..

إشارات لم تكن صدفة أو مجاملة  
سردها المعصوم في مجالس تعددت  
الرواية فيها والإصرار على اسماعها الى  
شيعة والمؤمنين به وبمنهجهم فعن

مولانا الكاظم عليه السلام قال: «قُمْ عَشُّ آلِ مُحَمَّدٍ، وَمَأْوَى شِيعَتِهِمْ».

وفي هذا الحديث إشارات وإرشادات جميلة وعميقة المعنى، فقد عبر الإمام عن قم بلفظ «العش» وليس فصلا عن وظيفة العش المركزية وهو حفظ الاطيار من الظروف الخارجية والأخطار وتربيتهم بشيء من المشقة والتعب والجهد، حتى تتمكن تلك الافراخ من قدرتها على الطيران، وهذا المصداق متحقق في سياسة «دولة الفقيه» اليوم بل من اجلى مصاديق العناية بالمستضعفين ومن هم مكسوري الجناح ومعدومي القدرة على التصدي للاعداء! لذا كان مسرح الإعداد القرآني الوارد في الآية الكريمة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ

لَا تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال ٦٠. هو مسرح وقرته دولة الفقيه الحالية، وأصبحت المعسكر الذي يلوذ به كل محتاج الى التزود بالقوة والقدرة والخبرة لأجل التصدي، وهو المعنى العميق الذي كان يراه ائمانا الخميني العظيم ويعرف مدى تأثيره المستقبلي يوم قال: حفظ الثورة في تصديرها، كما صدر ذلك العش العناية ووفرها لتلك الصغار المحتاجة عش يؤمن لها البقاء حتى تبلغ أشدها.

وليس ذلك فقط! بل عبر الإمام الكاظم عليه السلام بانها «مأوى شيعتهم» ولفظ المأوى لا يحتاج مؤنة وتحشم بالاستدلال، ولعل هذه الإشارة هي الأخرى اوضح الواضحات حيث كل سياستها - دولة الفقيه - ضمن هذا المصداق والمأوى للشيعه بوجه خاص وللمستضعفين بشكل عام، وما كان لمحور المقاومة أن يولد لولا هذا الإيواء والتبني ومد يد العون والمساعدة وإنشاء قدرات في بلدان

عدة أولها كانت فلسطين حيث لا يخفى ما فعله السيدين العظيمين روح الله الحُميني العزيز والخامنائي المفدى في جعلها عصية على كل الاستكبار مجتمعاً مع أمريكا دون كسر إرادة خريجي معسكر الحُميني مؤسس دولة التمهيد..

إذا ما ورد عنهم - المعصومين - بألفاظ متعددة كان مخطط ومرسم سوف يكون مورد حاجة وخرائط كنز القوة المخفي عن عيون الطواغيت حتى تستدعي الحاجة وتنضج العقول عبر محطات ومراحل ومصادق يكون حاضراً بشكل خارجي يمكن القياس عليه كما هي الحال اليوم حيث إيران وما أسست من محور صار يتحكم في القرار العالمي ويلوي عنقه ويعطل الكثير من مخططاته..

إذا هذا التوزيع الجغرافي للمراقد ليس في الهواء الطلق من حيث الجغرافيا التي توزعوا بها، ولا من

حيث التركيز على بلدين اعتبرهما المسؤولين عن قيادة العالم والتمهيد للقائد الذي سوف يكون على هرم الحضارة الإسلامية ضرورة الوجود ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور ٥٥.

إذا هذا الكم الوفير من الروايات في مختلف الألفاظ وتعدد الرواة من المعصومين (عليه السلام)، إنما يؤسس لمنهج يلح علينا أدراك ما ورد بهذه الضخامة من التأكيد وتحمل هذين البلدين المسؤولية الشرعية في «الإعداد» الوارد في القرآن وقد حصل بفضل الله تعالى يقول: أماننا الحُميني العظيم قدس سره الشريف «إننا سوف نصدر تجربتنا إلى جميع مناطق العالم، ونقل نتائج الدفاع وجهاد الظالمين - دون



أدنى طمع - إلى المجاهدين في طريق الحقّ» وقال: «يجب أن يعلم مسؤولونا أن ثورتنا غير محدودة بإيران. أن ثورة الشعب الإيراني هي نقطة البداية لثورة عالم الإسلام الكبرى تحت لواء الإمام الحجة، أرواحنا فداء.

الى غير ذلك من الأحاديث والبيانات الكثيرة التي تؤكد سياق الروايات التي تقصد «قم» بمركز القوة التي ستشع بكل زوايا هذا الكوكب المحتل من قبل الطواغيت والمستكبرين والماديين!

إذا لسنا متوهمين في فهم القصدية التي عبّرنا عنها أنها مراد وهدف نوعي خططت له الشريعة التي كست العصمة على تصرفات وسلوك من جعلتهم القادة بغير زلل أو خطأ وهم المطهرون، وكأن لسان حال الاهتمام بهذا الشكل الكبير والحرص إنما يقول هناك زمن ومرحلة سوف تحتاج فيها بيئة وقواعد وجماهير العاشقين لأهل

البيت ﷺ شيء من الوعي الثوري والسياسي والبصيرة التي تجعل منهم ملتفتين الى أهمية مثل العراق وإيران أقطاب التمهيد بأدوار متعددة ضمن هدف مركزي واحد هو تقديم المؤمنين بعد رفع مستوى وعيهم إلى تحمل كل مخاطر الأعداء الذين صرنا نعرفهم وتفضحهم كل معركة نخوضها معهم على اساس عقائدي وديني، يكشرون فيها عن أنياب تحدها نيران الجهل والعمى والبغض لمدسة أهل البيت ﷺ.

مستوى من الوعي ترجمته «دولة الفقيه» ليكون مصادقا بلا ند أو نظير، خاصة بعد تهاوي كل النظريات التي حاولت قيادة العالم بالنار والحديد والمؤامرة والخداع، ليقشع معسكر الإعداد كل جذور النفاق والمصالح القذرة القائمة على دماء الأبرياء وقتلهم وحرقتهم وقودا لما تسوّل لهم أنفسهم الغارقة في بحور من الرذائل!

منطق الروايات الكثيرة هو قبس مضيء في زمن التعقيم والظلام لمن شأوا الاستفادة منه، وإليك بعض مما ورد بمنطقة جغرافية بعينها أكد المعصومين عليه..

### حول قم وفضلها

قمّ: بالضمّ، وتشديد الميم.. وهي مدينة مستحدثة إسلاميّة لا أثر للأعاجم فيها، وأوّل من مَصّرَها طلحة بن الأحوص الأشعريّ. ثمّ حكى عن البلاذريّ قوله: لمّا انصرف أبو موسى الأشعريّ من نهاوند إلى الأهواز فاستقراها ثمّ أتى قمّ فأقام عليها أيّاماً وافتتحها، قال ياقوت: قمّ: بالضمّ، وتشديد الميم.. وهي مدينة مستحدثة إسلاميّة لا أثر للأعاجم فيها، وأوّل من مَصّرَها طلحة بن الأحوص الأشعريّ. ثمّ حكى عن البلاذريّ قوله: لمّا انصرف أبو موسى الأشعريّ من نهاوند إلى الأهواز فاستقراها ثمّ أتى قمّ فأقام عليها أيّاماً

وافتحها، وقيل: وجّه الأحنف بن قيس فافتتحها عنوة، وذلك في سنة ٢٣ للهجرة، وذكر بعضهم أنّ قمّ بين أصبهان وساوة، وهي كبيرة حسنة طيبة وأهلها كلّهم شيعة إماميّة، وكان بدء تمصيرها في أيام الحجاج بن يوسف سنة ٨٣، وذلك أنّ عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث بن قيس كان أمير سجستان من جهة الحجاج ثمّ خرج عليه وكان في عسكره سبعة عشر نفساً من علماء التابعين من العراقيّين فلمّا انهزم ابن الأشعث ورجع إلى كابل منهزماً كان في جملته إخوة يقال لهم: عبد الله والأحوص وعبد الرحمن وإسحاق ونعيم وهم بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعريّ وقعوا إلى ناحية قمّ وكان هناك سبع قرى اسم إحداها كمندان، فنزل هؤلاء الإخوة على هذه القرى حتّى افتتحوها وقتلوا أهلها واستولوا عليها وانتقلوا إليها واستوطنوها واجتمع إليهم بنو عمّهم وصارت السبع قرى

إخراجه فأرسلوا رؤساء العرب  
لطلب موسى وردوه إلى قمّ واعتذروا  
منه وأكرموه.. فأتته أخواته زينب،  
وأمّ محمّد، وميمونة بنات الجواد عليه السلام  
ونزلن عنده فلمّا متن دفنّ عند فاطمة  
بنت موسى عليه السلام وأقام موسى بقمّ حتّى  
مات ليلة الأربعاء لثمان ليال بقين من  
ربيع الآخر سنة ستّ وتسعين  
ومائتين، ودفن في داره وهو المشهد  
المعروف اليوم ٢.

وقد وردت في فضل قمّ وأهلها  
روايات كثيرة نقلها العلامة  
المجلسيّ رحمته الله في البحار عن كتاب تاريخ  
قمّ تأليف الحسن بن محمّد بن الحسن  
القمّي نذكر بعضاً منها:

عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «إذا  
عمّت البلدان الفتن فعليكم بقمّ  
وحواليها ونواحيها، فإنّ البلاء مدفوع  
عنها».

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «إذا عمّت  
البلايا فالأمن في كوفة ونواحيها من

سبع محال بها وسمّيت باسم إحداها  
وهي كمندان فأسقطوا بعض حروفها  
فسمّيت بتعريبهم قمّاً، وكان متقدّم  
هؤلاء الإخوة عبد الله بن سعد وكان  
له ولد قد ربي بالكوفة فانتقل منها إلى  
قمّ وكان إمامياً فهو الذي نقل التشيع  
إلى أهلها ١..

وأول من انتقل من الكوفة إلى قمّ  
من السادات الرضويّة كان أبو جعفر  
موسى بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام في  
سنة ستّ وخمسين ومائتين وكان  
يسدل على وجهه برقعاً دائماً فأرسلت  
إليه العرب أن اخرج من مدينتنا  
وجوارنا، فرفع البرقع عن وجهه فلم  
يعرفوه فانتقل عنهم إلى كاشان فأكرمه  
أحمد بن عبد العزيز بن دلف العجليّ  
فرحب به، وألبسه خلاعاً فاخرة،  
وأفراساً جياداً ووظّفه في كلّ سنة ألف  
مثقال من الذهب وفرساً مسرجاً.  
فدخل قمّ بعد خروج موسى منه أبو  
الصديق الحسين بن عليّ بن آدم ورجل  
آخر من رؤساء العرب وأنّبههم على

السواد وقمّ من الجبل، ونعم الموضع قمّ للخائف الطائف».

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «أهل قمّ أنصارنا».

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «إذا أصابتكم بليّة وعناء فعليكم بقمّ، فإنّه مأوى الفاطميّين، ومستراح المؤمنين وسيأتي زمان ينفر أولياؤنا ومحّبونا عنّا ويبعدون منّا، وذلك مصلحة لهم لكيلا يعرفوا بولايتنا، ويحقنوا بذلك دمائهم وأموالهم. وما أراد أحد بقمّ وأهله سوءاً إلّا أذّله الله وأبعده من رحمته».

وعن سليمان بن صالح قال: كنا ذات يوم عند أبي عبد الله عليه السلام فذكر فتن بني عبّاس وما يصيب الناس منهم فقلنا: جعلنا فداك، فأين المفرّج والمفرّ في ذلك الزمان؟ فقال: «إلى الكوفة وحواليها وإلى قمّ ونواحيها». ثمّ قال: «في قمّ شيعتنا ومواليّنا، وتكثر فيها العمارة، ويقصده الناس

ويجتمعون فيه حتّى يكون الجمر بين بلدتهم». وفي بعض روايات الشيعة أنّ قمّ يبلغ من العمارة إلى أن يشتري موضع فرس بألف درهم.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال -في حديث- لرجل: «أهل قمّ مغفور لهم». قال: فوثب الرجل على رجله وقال: يا ابن رسول الله هذا خاصّة لأهل قمّ؟ قال: «نعم ومن يقول بمقاتلتهم».

وعن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: «سلام الله على أهل قمّ. يسقي الله بلادهم الغيث، وينزل الله عليهم البركات، ويبدّل الله سيئاتهم حسنات، هم أهل ركوع وسجود وقيام وقعود، هم الفقهاء العلماء الفهماء، هم أهل الدراية والرواية وحسن العبادة».

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «تربة قمّ مقدّسة وأهلها منّا ونحن منهم لا يريدون جبار بسوء إلّا



عجلت عقوبته ما لم يخونوا إخوانهم!  
فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم  
جبابرة سوء! أما إنهم أنصار قائمنا  
ودعاة حقنا. ثم رفع رأسه إلى السماء  
وقال: «أَللّهم اعصمهم من كلّ فتنة  
ونجّهم من كلّ هلكة».

وعن صفوان بن يحيى يّباع  
السابريّ قال: كنت يوماً عند أبي  
الحسن عليه السلام فجرى ذكر قم وأهله  
وميلهم إلى المهديّ عليه السلام فترحم عليهم  
وقال: «رضي الله عنهم». ثم قال: «إنّ  
للجنة ثمانية أبواب وواحد منها لأهل  
قم، وهم خيار شيعتنا من بين سائر  
البلاد، خمر الله تعالى ولايتنا في  
طيتهم».

وعن أبي الحسن الأوّل  
(الكاظم عليه السلام) قال: «قم عش آل محمّد  
ومأوى شيعتهم...».

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال:  
«إنّ للجنة ثمانية أبواب، ولأهل قم  
واحد منها، فطوبى لهم، ثم طوبى

لهم، ثم طوبى لهم».

وتشير بعض الروايات إلى دور قم  
وأهلها أيضاً في بعض الأحداث الهامة  
فقد جاء عن أبي الحسن الأوّل  
(الكاظم عليه السلام) أنّه قال: «رجل من أهل  
قم يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه  
قوم كزبر الحديد، لا تزلهم الرياح  
العواصف، ولا يملّون من الحرب،  
ولا يجبنون، وعلى الله يتوكّلون،  
والعاقبة للمتقين».

قال بعض المحقّقين: ولم تذكر  
الرواية متى يكون هذا الرجل المبشّر  
به وأصحابه، ولكن لم يعهد في تاريخ  
قم وإيران رجل وقومه بهذه الصفات  
قبل الإمام الخميني وأصحابه ٣.

وروى بعضهم أنّه قال: كنت عند  
أبي عبد الله عليه السلام جالسا إذ قرأ هذه الآية  
﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ  
عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا  
خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾  
فقلنا: جعلنا فداك، من هؤلاء؟ فقال

ويقومون معه ويستقيمون عليه  
وينصرونه» ٦.

## حول الأشعريين من أهل قم وفضلهم:

وكان أكثر أهل قم من الأشعريين،  
وقد روي عن رسول الله أنه قال في  
حقهم: «اللهم اغفر للأشعريين  
صغيرهم وكبيرهم». وعنه:  
«الأشعريون مني وأنا منهم». ومن  
مفاخرهم أن أول من أظهر التشيع  
بقم موسى بن عبد الله بن سعد  
الأشعري.

ومنها أنه قال الرضا عليه السلام لذكريا بن  
آدم بن عبد الله بن سعد الأشعري:  
«إن الله يدفع البلاء بك عن أهل قم  
كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بقبر  
موسى بن جعفر عليه السلام».

ومنها أنهم وقفوا المزارع  
والعقارات الكثيرة على الأئمة عليهم السلام.  
ومنها أنهم أول من بعث الخمس  
إليهم.

ثلاث مرّات: «هم والله أهل قم» ٤.

قال بعض المحققين: وقد وردت  
في قم وفصلها ومستقبلها أحاديث  
عن أهل البيت عليه السلام يظهر منها أن لقم  
مكانة خاصّة عندهم عليه السلام بل إن قمّا  
مشروع أسسه الأئمة في وسط إيران  
على يد الإمام الباقر سنة ٧٣ هجرية،  
ثم رعوها رعاية خاصّة، وأخبروا بما  
عندهم من علوم جدّهم رسول الله  
أنها سيكون لها شأن عظيم في  
المستقبل، ويكون أهلها أنصار المهديّ  
المنتظر أرواحنا فداه. وتنصّ بعض  
الأحاديث على أن تسميتها بقم جاءت  
متناسبة مع اسم المهديّ القائم بالحق  
أرواحنا فداه، ومتناسبة مع قيام أهلها  
ومنطقتها في التمهيّد له ونصرته ٥.

فعن عفان البصري عن أبي عبد  
الله عليه السلام قال: قال لي: «أندري لم سمّي  
قم؟» قلت: الله ورسوله وأنت أعلم.  
قال: «إنما سمّي قم لأن أهلها يجتمعون  
مع قائم آل محمد - صلوات الله عليه -



ومنها أنهم ﷺ أكرموا جماعة كثيرة منهم بالهدايا والتحف والأكفان كأبي جرير زكريا بن إدريس، وزكريا بن آدم، وعيسى بن عبد الله بن سعد وغيرهم ممن يطول بذكرهم الكلام، وشرّفوا بعضهم بالخواتيم والخلع..

ومنها أنّ الصادق عليه السلام قال لعمران بن عبد الله (الأشعري): «أظلك الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه» ٧.

كل هذا يعطينا مساحة للتفكير بما رسمه لنا المطهرون ﷺ في أهم قضايا العصر الحديث وهي المعارك السياسية التي تتخذ من التخذّد البشري أهم أدواتها سواء على مستوى الحروب وأشكالها أو على مستوى كثرة العنصر البشري واستخدامه أدوات في لعبة الديمقراطية حيث يعتبرها الغرب والصهيونية العالمية أهم أدوات إدارة الحكم في البلدان التي تريد تحقيق نوع استقرار لا يتعارض مع مصالحها، واختيار هذين البلدين إيران

الإسلامية والعراق هما من وقعت عليهم مسؤولية تنفيذ مخطط الروايات سواء على المستوى العقائدي وما يقف خلفه من هدف قيادة العالم، أو على المستوى العسكري والذي تخصصت به دولة الفقيه ضمن إشارات كثيرة حملت هذا المضمون روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «كأنّي يقوم قد خرجوا بالمشرق، يطلبون الحق فلا يعطونه ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا، ولا يدفعونها إلّا إلى صاحبكم، قتلاهم شهداء أما إني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الامر.

هذا الترابط العقائدي والذي ترجم المخطط الجغرافي والتوزيع المنهّس عن حكمة وعن دراية وهدف خلق نوع روابط عاطفية متشابكة تحملت تلك الروابط مسؤولية الربط الروحي والمعنوي

بقاع الأضرحة فيها، وهكذا البحريني والنيجيري والأفريقي والذي هو في دول الغرب وترجمة تلك العاطفة وتنفيذ مخططاتها والمرسم هي زيارة الأربعين المقدسة والتي قطب رحي دورانها هو العامل والعنصر العاطفي المفقود عن البقية من البشر مسلمين وغيرهم، كل ذلك كانت الروايات تخطط له وتحمل مفرداتها العجيبة بحر زاهر من العاطفة والعشق والمؤدب والمهذب والمربي لكل من دار في فلك المعرفة القليلة التي تولد مع الأطفال الذين يجدون آبائهم وأمهاتهم على هذا العشق.

وعلى المستوى البحثي والأكاديمي تجد اليوم عمالة العلم والمجتهدين والقادة في مناحي كثيرة هي التي تكسرت على أيديها المخططات والمؤامرات التي استهدف حتى مباني المراقدة والأضرحة بعد معرفة تأثيرها على عشاق أهل البيت (عليه السلام) وأنها تلك العاطفة والترابط الروحي صاعق

الذي كان العمود الفقري للعقيدة وتلاقى أبنائها، إذ لو لم تكن تلك العاطفة موجودة ونازفة عشقا لزيارة تلك المراقدة المنتشرة عن مخطط مدرّس إلهي كيف نستطيع ونحن قلة في المال والتأثير وفقراء في أدوات الإعلام الذي يحتاج مليارات كثيرة وفنيين كثر وتخصصات عظيمة! كل ذلك غير موجود ولو وجد فسوف يجعل من مقاتلينا الذين ندخلهم معسكر الأعداء نجعلهم مرتزقة لا عقيدة روحية تقف خلف الأجساد لتقنعها بالشهادة دون تردد، كل ذلك تحمّلت تلك العاطفة النقية والدمعة التي كانت من أخطر ما خطط له رب العزة والكرامة جل جلاله.

ولو رسمنا تلك العاطفة بالشكل الهندسي والمرسم لو وجدنا كل شخص مثلاً شيعي في باكستان هو في رأسه أسلاك وهمية تربطه بالعراق بكل مكان ومراقدة المعصومين (عليه السلام) وقبورهم، ونفسها تربطه بإيران وكل

التفجير الذي لم يجد الاستكبار العالمي والصهيونية درعا واقيا أو حلا له!

كل تلك المصاديق الحالية تمثل صوابية الروايات ومنطقها الدقيق في جمع شتات العشاق في كل بقاع الكون المترامي، ولو قيل لنا قبل إنتصار الثورة الإسلامية المباركة أن هناك شيعة في اليابان! أو في تايلند، أو الصين، أو جزر القمر أو غيرها ستصينا الدهشة ونبادر الى تكذيب الخبر! لعدم وجود المواد الحالية والأدوات التي جعلتنا نستغرب من دولة لا تعرف التشيع وكيف أنها للان لا يوجد فيها شيعة وموالون؟! كل ذلك مما ورد من قبل الصادقين عليه السلام.

وبطرق آخر ونظرة أعمق علينا أن نتبع منطق الروايات وعظيم خطر ما ورد فيها بالشكل الذي يحصر تلك الشائيل والقييم في بقعة سميت «قم» دارت حولها المعاني لثما وتقبيلا وتأكيذا على دور لا بد من نشره

وجلب الناس له وعن قيادة فريدة ونادرة واستثنائية مثلتها الثورة الخمينية المباركة ذات الحلول المنطقية لما ترهلت به النظريات المادية القائمة على القتل والاحتلال واغتصاب موارد الشعوب وتركها تلاقى مصيرها والموت الحتمي بعد احراقها وشعوبها بنيران القنابل والصواريخ ليتشي سوق صناعة السلاح!

هذه الدولة المدخرة والتي فهمت تكليفها حيث كرمها رب العزة والكرامة أن جعل ارضها دولة التمهيد ومعسكرات التأهب والاستعداد لحروب سلاحها البصيرة والوعي والعقيدة السياسية ومنهج الشهادة الموروثة عن المعصومين عليهم السلام «وقتلا في سبيل فوق لنا» طريق لا بد لكل من يؤمن بمنهج المطهرين أن يشيعه ويتكلم عنه ويدافع عنه، فلم ترخر تلك الأوراق بما حملته من غزير علم اختص بعضه بمنطقة بعينها دوناً عن مناطق كثيرة في الكرة الأرضية

حروف المعصومين مرارا وتكرارا  
لثلتفت الشيعة الى هذا المعنى المقصود  
والبقعة التي رسمت معالم لوحاتها  
السياسية مراقد المعصومين لتؤسس  
بيئة عشق وعاطفة تقول لنا اليوم  
دونكم هذا المصداق الأوحد وهي قم  
ورجل من قم..

واعني قم للدور المدخر في مثل أيامنا  
هذه التي أسفر الصباح والضياء عن  
وجود معتبر وقضية خارجية وكيان  
تحققت به كل آمال المستضعفين كما  
ورد ذلك عن العالم والعبقري  
والفيلسوف والمرجع السيد محمد باقر  
الصدر «الخميني حقق حلم الأنبياء»  
بماذا حقق؟! بتلك الدولة التي لثمتها

د. حسن أحمد الهادي  
باحث في الفكر الإسلامي / لبنان

## مراجعة نقدية للهوية الجندرية

بقيم وأفكار وثقافات غربية جديدة،  
لتتحول بذلك إلى سلوك وثقافة  
يتكوّن سلوك الأفراد والمجتمعات  
على أساسها، ويُلاحظ هنا أن الذي  
تغير ليس مجموعة تشريعات جزئية أو  
كلمات ومصطلحات، وإنما تغيرت  
مضامين ومعاني وقيم وثقافة وفكر.

وقد تولّد من هذا المخاض موثائق  
وتشريعات حامية لحضورها وقوة  
انتشارها، وعليه فقد عبّرت الأنثوية  
عن أطروحاتها بكلمات مثل:  
(Geder) بدلاً من رجل وامرأة  
(a & woa)، لوصف علاقة الجنسين

شهد مجال دراسات الحركة  
النسوية (فيمينزم) سلسلة من  
التحوّلات المذهلة على مدى العقدين  
الأخيرين من القرن العشرين، حيث  
تقدّمت الدراسات النسوية تدريجياً  
نحو إنتاج مسارات متنوّعة للدول  
المختلفة في العالم والمنطقة، ودفع هذا  
الحراك المجتمع الدولي والعديد من  
المؤسسات النسوية في العالم إلى عقد  
المؤتمرات الدولية والأمية بغية تقنين  
وتشريع نتائجها على مستوى الدول،  
وهو ما أنتج سلّة جديدة من القوانين  
والتشريعات والمصطلحات المثقلة

العربية، منها: الجنس البيولوجي، الجنس الاجتماعي، النوع الاجتماعي<sup>(١)</sup> أو «الجنسوية»، وهو يشير إلى الخصائص النوعية وإلى الإقرار والقبول المتبادل لأدوار الرجل والمرأة داخل المجتمع، ويُستخدم للتعبير عن عملية دراسة العلاقة المتداخلة بين المرأة والرجل في المجتمع.

وقد بدأ مصطلح الجندر كمصطلح لغوي مجرد، ثم تطور استخدامه إلى أن أصبح نظرية وأيديولوجية<sup>(٢)</sup>، وتطور مصطلح الجندر على أنه: «يرجع إلى الخصائص المتعلقة بالرجال والنساء والتي تتشكل اجتماعياً مقابل الخصائص التي تتأسس بيولوجياً مثل الإنجاب»<sup>(٣)</sup>. وقد كان الجندر مبنياً على أساس الجنس، ليتم تجاوز المصطلح في مرحلة لاحقة من استخدامه أبعد من حدود الترابط بين مصطلحي الجنس والجندر، وتميزه عن كلمة الجنس،

أو كلمة شريك (parter) أو (Spouse) بدلاً من الزوج، وكلمة (Feiis) للتعبير عن حركة النساء، و(Biological Father) للأب الشرعي، وتسمي أي تدخل للوالدين في صالح أبائهم وتربيتهم (Patriarchy)، وتسمي دعم المرأة (Epoweret)، وتسمي الطاعة الزوجية بعلاقة القوة (Power relatio)، وتوسع مفهوم الأسرة (Faily) لتكون هناك أسرة تقليدية (Traditioal) وأسرة غير تقليدية، أو لا نمطية خاصة بالشاذين جنسياً أو بمجموعات إباحية تعيش مع بعضها البعض.

### إطالة على المصطلح

الجندر (Geder) كلمة إنجليزية تنحدر من أصل لاتيني، وتعني في الإطارة اللغوي (Geus)، أي: الجنس من حيث الذكورة والأنوثة، ويترجم إلى مصطلحات عدة في اللغة



الفروق الطبيعية أو المختصة بالأدوار الحياتية بين الرجال والنساء، ويدّعي بأن أيّ اختلاف في الخصائص والأدوار، إنما هو من صنع المجتمع، وأن النوع الاجتماعي حقّ أساسي من حقوق الإنسان، والمجتمع وحده هو الذي يضمن أن كافة النساء والرجال يدركون ويستفيدون من هذا الحق.

### الفيمينيّزمو حركة تحرير المرأة

ثمة فرق واضح بين الدعوة إلى تحرير المرأة وإنصافها، والحركات التي تبنت هذه الدعوة سواءً في البلاد الغربية أو الشرقية وبين النزعة الأنثوية المتطرّفة (Feiis) التي تبلورت في الغرب، والحركات التي تبنت هذه النزعة المتطرّفة... فأقصى ما طمحت إليه حركات تحرير المرأة، هو إنصافها... من الغبن الاجتماعي والتاريخي الذي لحق بها، والذي عانت منه أكثر مما عانى منه الرجال مع الحفاظ على فطرة التميّز بين

ليطلق على دور ومكانة كلّ من الرجال والنساء الذي يتشكّل اجتماعياً، كلّ ذلك بهدف إزالة الفجوة النوعية بينهما.

وعلى هذا الأساس ترى الجندرية أنه يمكن تغيير بل وإلغاء الأدوار المنوطة بالرجل والمرأة، وكذلك الفروق بينهما من ثقافة المجتمع وأفكاره السائدة، بحيث يمكن للمرأة أن تقوم بأدوار الرجل، ويمكن للرجل أن يقوم بأدوار المرأة، وهذا يعني أن الجندرية تتنكّر لتأثير الفروق البيولوجية الفطرية في تحديد أدوار الرجال والنساء، فالجندر بناءً اجتماعي وثقافي أيضاً، وهو عملية تاريخية مستمرة تدار في كل المؤسسات المجتمعية في كل يوم من الحياة؛ ووسائل الإعلام والمدارس، والأسر، والمحاكم.. إلخ<sup>(٤)</sup>.

وبناءً عليه يتّخذ الجندر النسوي قاعدةً ينطلق منها، ألا وهي إلغاء كلّ

## دراسة قضايا المرأة من وجهة نظر إسلامية:

لقد تعدّدت الاتجاهات بين علماء المسلمين ومفكرّهم من المدافعين عن المرأة وجوداً وإنسانية وحقوقاً... وقدّموا لنا العديد من الدراسات في قضايا المرأة. وبغضّ النظر عن النوايا والدوافع التي انطلقوا منها، فقد وقع الكثير منهم في العديد من الشبهات وأوقعوا المرأة نفسها في الكثير من الإشكالات والأزمات، ما انعكس سلباً على حياة المرأة الفردية والاجتماعية، وأدّى إلى تشويش المنظومة الحقوقية الخاصة بها على مستوى التصوّرات والممارسة الاجتماعية. ويُمكن تقسيم هذه الاتجاهات إلى ثلاثة اتجاهات:

### الاتجاه الأول: اتجاه مقاضاة الفقه الإسلامي

نصّب بعض المفكرّين أنفسهم في موقع مقاضاة الفقه الإسلامي بشكلٍ

الأنوثة والذكورة، وتمايز توزيع العمل وتكامله في الأسرة والمجتمع، على النحو الذي يحقّق مساواة الشقين المتكاملين بين الرجال والنساء... دون إعلانٍ للحرب على الدين ذاته وسائر القيم الاجتماعية في هذا المجال، ولا سيما ما يرتبط بالحرب على الرجال.

أما النزعة الأنثوية المتطرّفة (Feiis) أو الأنثوية الراديكالية فهي حركةٌ فكريةٌ سياسيةٌ اجتماعيةٌ متعدّدة الأفكار والتيارات، تسعى للتغيير الاجتماعي والثقافي وتغيير بناء العلاقات بين الجنسين وصولاً إلى المساواة المطلقة كهدفٍ استراتيجيٍّ، وتختلف نظرياتها وأهدافها وتحليلاتها تبعاً للمنطلقات المعرفية التي تتبناها، وتتسم أفكارها بالتطرّف والشذوذ، وتبنّي صراع الجنسين وعداءهما، وتهدف إلى تقديم قراءاتٍ جديدة عن الدين واللغة والتاريخ والثقافة وعلاقات الجنسين<sup>(٥)</sup>.

ومن الواضح أنه قد غاب عن بال هؤلاء أننا لا نستطيع الاستناد إلى هذه الدراسات في تحديد مسار السلوك الإنساني عند الفرد والمجتمع؛ لأننا لا نستطيع الالتزام بنتائج الدراسات الإنسانية أو الممارسات الاجتماعية الغربية بمعزل عن القيم الأخلاقية والاجتماعية للمجتمع نفسه، هذا إضافة إلى ما نلمسه من التوقع والمحدودية في هذا النمط من البحث، والممارسة على جزئيات بعينها، ما يفقد البحث العلمي طابعه الموضوعي والشمولي، خاصة وأن العلوم الإنسانية كلها تستظل - من وجهة النظر الإسلامية - بمظلة واحدة وهي الشريعة، وتنبع من خلال وعاء واحد يحويها هو الإسلام، كما أن موضوعها واحد وهو الإنسان بصفاته النفسية والبدنية المعروفة.

أمام هذا الاضطراب الفكري في دراسة قضايا المرأة لا بد من لفت النظر إلى أن غاية البحث الفقهي

عام وفقه المرأة بشكل خاص، فعمدوا إلى محاكمة نصوصه القاصرة - بنظرهم - عن إيفاء المرأة حقها، حيث أفرط هؤلاء في نقد طريقة الاستدلال الفقهي المتعلق بالمرأة وحقوقها وواجباتها، واعتبروا أن من المشكلات الأساسية التي يواجهها البحث الفقهي في قضايا المرأة التعرّض لمسائلها بشكل مشوّش، دون نظرة كلية جامعة، أو حلقات متصلة، ما أنتج - بنظرهم - فتاوى متناقضة، أو غير منسجمة على الأقل<sup>(٦)</sup>، وظهرت آثاره في الواقع الاجتماعي وبالنظر القاصرة إلى المرأة. ومن الواضح أن هذا الاتجاه يعتمد في الكثير من مرتكزاته على الدراسات الغربية في العلوم الإنسانية التي أنتجت الكثير من النظريات والاتجاهات والمدارس، وتحكّمت في مسارات المجتمعات ومفاصلها، وشكّلت المرجعية الفكرية للأنظمة الحقوقية المتعلقة بقضايا المرأة وحقوقها.

عدم إمكانية تولّي المرأة للسلطة بمعنى الحاكمية والولاية مثلاً، فهذا لا يعدّ انتقاصاً لحقوقها ومكانتها وإنسانيتها، إنّما يُضيء على الوظيفة الطبيعيّة التي يرتضيها الشارع لكلّ من الرجل والمرأة، انسجاماً مع عشرات الروايات والأحكام التفصيلية التي وجّهت المرأة لتكون في مركز الأمومة والعطف، بل إنّ أُمومتها وعطفها من أحمز الأعمال وأفضلها، وهو الحجر الأساس لصلاح مستقبل المجتمع.

### الاتجاه الثاني: الاتجاه الإسقاطي

انطلق هؤلاء في دراساتهم من تبعيتهم للمنهج الذي أسّسه الغربيون في دراسة قضايا المرأة، فأغرقوا ساحة البحث بعشرات النظريات والأفكار الغربية التي تستند إلى نظرة فلسفية خاصّة للوجود والحياة والإنسان. وبدأوا بدراسة النصوص الدينية والفتاوى الشرعيّة الخاصّة بالمرأة

الاجتهاديّ تكمن في استنباط الأحكام والقوانين التي تنظّم حياة المسلمين الفردية والاجتماعيّة، على قاعدة اشتراك المكلفين في جميع الأحكام في أصل التكليف، عدا ما دلّ الدليل الخاصّ على تخصيصه بالرجل أو المرأة. وإنّ الذي ينظر نظرة علميّة فاحصة - بعد أن يخلع ثوب مقاضاة الدين أو المرأة - إلى الفقه الإسلاميّ يجد أنّه يتضمّن منظومة من الأحكام في فقه المرأة تغطّي مستلزماتها الفردية والحياتية الفردية والعامّة، وترسم المسار الطبيعيّ الذي حدّدته الشريعة للمرأة. ويمكن القول بعد حذف المشتركات أنّ هذه الأحكام تظغى على الأحكام الخاصّة بالرجل، ولا يوجد في هذا جنبه تفاضل لنوع على آخر، بل هي الحكمة من الخلق.

ولا بدّ من الإلفات - أيضاً - إلى أنّ منهج الاستنباط الفقهيّ يستند إلى ثابتة رئيسية وهي إقامة الحجّة على الحكم الشرعيّ، فإذا قامت الحجّة على

الحصول على لقمة العيش. واستدرجت باسم الفن والمدنية إلى الرذيلة والفساد الخلقي. ومن الواضح خطورة وفساد مثل هذا المنهج على قضايا المرأة المسلمة، كونه يقصي قيم الدين ويسقط القيم الوضعية مكانها...

### الاتجاه الثالث: اتجاه التلفيق وأسلمة المعرفة

تعود جذور هذا الاتجاه إلى ما اصطلح عليه بين المفكرين المسلمين بـ«أسلمة المعرفة» التي تفترض أنّ العلوم والمعارف الإنسانية قائمةٌ وينتجها غير المسلمين، ما يستبطن إقراراً بأنّ العلوم والمعارف ليس لها جذور في التراث الإسلامي، أضف إلى أنّ «أسلمة المعرفة» تُحدّد السقف المعرفي الذي نطمح إليه، وهي لا تنطوي على رؤية استراتيجية يمكن أن تخدم مشروعاً علمياً كبيراً كأسلمة العلوم، أو مشروع دراسة قضايا المرأة

بالنقد تارة، والمقارنة والمقايضة أخرى، والسعي للاستدلال ثالثة... ما جعلهم يتوهمون قصور النصوص دلالةً ومضموناً عن تلبية ومواكبة التشريعات والقوانين اللازمة التي تحتاجها المرأة في العالم المعاصر. عمل هؤلاء على إسقاط الأفكار الغربية الرنانة والجميلة بمظهرها كالحرية والمساواة وغيرها الكثير، وطرحها على واقع المرأة المسلمة اعتماداً على مسلمّات وممارسات أنتجتها الدراسات والتشريعات الغربية، دون أدنى دراسة إنسانية أو حقوقية متكاملة وشاملة، كما يتضح من تراكم المشكلات عندهم في هذا العصر.

وبنظرة موجزة إلى آثار الدراسات الحقوقية المتعلقة بالمرأة عندهم ندرك بوضوح أنّه في ظلّ شعار تحرير المرأة سُحقت إنسانية المرأة، وعُطل دورها الإنساني الطبيعي ورسالتها المقدسة في تشييد دعائم الأسرة، حيث دُفع بها إلى المصانع لتكدح يومها كلّها من أجل

وفق الرؤية الإسلامية.

ولهذا نجد دعاة هذا الاتجاه يعملون على التلفيق الإيجابي - بنظرهم - بين النتائج المعرفي الإنساني، التربوي والاجتماعي والسياسي... عند الغربيين وبين التشريعات والأفكار الإسلامية بإسقاط النصوص والأفكار والأحكام الإسلامية على ما توصل إليه الغربيون من نتائج دراسات وأبحاث وتجارب مما طبّق في مجتمعاتهم ولاقى نجاحاً ظاهرياً، ورواجاً بين الناس.

ولهذا عمد هؤلاء إلى محاولة نقل التجربة الغربية إلى العالم الإسلامي كأنّها تجربةٌ متعاليةٌ تصلح لأيّ مجتمع آخر، دون وعيٍ منهم إلى أنّ نهضة الغرب العلمية قد وُلدت من رحم تناقضاتها وصراعاتها وتدافعاتها الذاتية، وهذا أخطر ما في هذا الطرح، محاولين بذلك إيجاد نوعٍ من الانسجام بين الأحكام الشرعية الإسلامية

والتشريعات الحقوقية الغربية من جهة، والعمل على رفع النقص أو القصور عن بعض النصوص والتشريعات الإسلامية التي لا تتوافق مع تلك الأطروحات، من خلال محاولة الجمع بين صورة المرأة ووظيفتها التي يرسمها النصّ، وتلك التي تلائم المدينة الغربية مع مراعاة بعض الضوابط والقيم الإسلامية من جهة أخرى. وهذا ما أنتج صورةً جديدةً للمرأة أقل ما يقال فيها أنّها لا تنسجم مع الصورة والمكانة التي أعطاهها الإسلام للمرأة.

## تقويم منطلقات الحركة النسائية في الغرب

إنّ النزعة التي ظهرت في المجتمع الغربي هي نزعةٌ تدعو إلى تحرير المرأة، ورفع الظلم عنها، ومساواتها بالرجل في مختلف أشكال المساواة، والعمل الجادّ على التحرّر من الكثير مما اعتبروه قيماً وقوانين وأعرافاً تقيّد



بجانب الرجل على حدّ المساواة مجرد نظرية لا يمكن تحقيقها عملياً، وذلك لأن المساواة لا يمكن تحقيقها إلا إذا تشابهت الأهداف تشابهاً تاماً... والحياة لا تحتمل هذا التشابه، لأن كلّ نوع يؤدّي مهمّة تختلف عن الآخر، ويستمدّ بقاءه الطبيعي من هذه المهمة وحدها<sup>(٨)</sup>.

أضف إلى ذلك أن الحركة النسوية التي انطلقت في الغرب لم تكن بعيدة عن التأثير باليد الخفية للرجل الغربي الغنيّ الشهواني. فقد كانت الحاجة إلى اليد العاملة الرخيصة سبباً مهماً من أسباب الدعوة إلى تحرير المرأة والاعتراف بملكيتها لنتاج عملها، مع أنها أعطيت الوظائف التي لا تتناسب مع بنيتها التكوينية النفسية والجسدية ما أدّى بالمرأة التي تورّطت بهذا النوع من الحرية إلى رفع الصوت عالياً منادياً بالندم. هذا من جهة ومن جهة أخرى، بدل أن تحرّر المرأة من قيود الرجل وأسرّه حرّرت من قيود

المرأة وتحّد من حضورها الفاعل في الميادين كافة. ولكن لما كانت هذه النزعة انفعالية وردّة فعل على وضع قائم، أودت بالمرأة إلى الوقوع في أسرٍ جديدٍ ولحق بها ظلمٌ من نوعٍ مختلفٍ. وحول هذه الحقيقة يقول الشهيد مرتضى مطهري: «لقد تأخّرت المجتمعات الغربية في التفكير في حقوق المرأة، وأدّى هذا التأخّر إلى تغليب العواطف والمشاعر على العقل والعلم اللذين لم يُسمح لهما بإبداء رأيهما في هذا الصدد. وقد نجحت هذه الحركة في فتح بعض الأبواب، ولكن تسرّبت من هذه الأبواب التي فُتحت في وجه المرأة إلى المجتمع الإنساني والمرأة على وجه التحديد، آلامٌ ومصائبٌ ربّما كانت أسوأ ممّا سبقها»<sup>(٧)</sup>.

والملاحظ هنا أن المرأة الغربية بدلاً من أن تحدّد الطريق الذي ترغب في عبوره، أعلنت أنها تريد أن تمشي - بجانب الرجل - وغاب عنها أن المشي

الإنسانية وخصوصياته لمعالجة قضاياها بشتى مستوياتها، وبما يتناسب مع تطلّعات الإنسان في هذه الحياة وسواها من مراحل الحياة الأخرى. والإنسان (المرأة والرجل) كائن اجتماعي بالطبع، لا يستطيع أن يعيش بمعزلٍ عن الجماعة وهو يتلمّس في الجماعة إشباع حاجاته إلى الانتماء وحاجته إلى التقدير الاجتماعي والاحترام والمكانة الاجتماعية، ويتّضح الميل إلى الاجتماع وينشأ نتيجة تفاعل الفرد مع الآخرين في المجتمع على مستوياتٍ مختلفة...، يضاف إلى هذا الميل تمثّل وتبني أهداف الجماعة واتجاهاتها ومعاييرها، وهنا نجد أنّ الفرد يرى الجماعة وكأنّها امتدادٌ لنفسه يسعى من أجل مصلحتها ويذلّ كلّ جهده من أجل إعلاء مكانتها. ولهذا يسعى كلّ فردٍ إلى أن ينضم إلى جماعةٍ تلائمّه من حيث ميوله وعواطفه وأهوائه ويجمع بينهم رباطٌ متينٌ، وهؤلاء الأفراد يشبهونه ويشاركونه

الأخلاق لتحوّل إلى وسيلةٍ من وسائل إشباع شهوة الرجل. وقد أدّى هذا التحوّل إلى اهتزاز كيان الأسرة في المجتمعات الغربيّة. وما يدلّ على الشعور الغربيّ بهذا الخطر تحوّل الدفاع عن الأسرة وحمايتها إلى شعار من الشعارات الجماهيرية. ومن هنا بدأنا نسمع أصواتاً غريبةً عاليةً تدعو من جديدٍ إلى استعادة الحقوق الواقعية للمرأة، بهدف التخفيف من حدّة تلك الحركة العجولة التي أطاحت بكرامة المرأة وأخلاقها بعد أن أدّى الابتذال وسهولة نيل المرأة والحصول عليها إلى الزهد بها وعدم الرغبة فيها.

## رؤية الإسلام إلى المرأة (المرأة قيميّاً وإناسيّاً)

### ١. الإسلام والحياة الاجتماعية:

الإسلام دين الإنسانية، ونظامه نظامٌ شاملٌ لجميع نواحي الحياة، يربط بعضها ببعضها الآخر ربطاً عضوياً منطقياً، وينطلق من واقع الحياة

في صفاته وعواطفه، يستجيبون بسهولة لعواطفه. وهذا يختلف كثيراً عن تعميمات وتحكم الحركة النسوية العالمية بشكل عام والغربية بشكل خاص، التي تعمل جادة لإدخال بل وهيمنة ثقافة الجندر في عموم تفاصيل حياة المرأة الفردية والاجتماعية.

## ٢. الاشتراك والمساواة بين الرجل والمرأة

المرأة والرجل في الرؤية الإسلامية صنفان من نوع واحد لا نوعان من جنس واحد، وعلى الرغم من الوحدة النوعية بينهما يتمتع كل منهما بخصائص مميزة له عن الصنف الآخر. وربما كانت هذه الخصائص المميزة منشأ للاختلاف في الحقوق والأوضاع القانونية، دون أن يؤدي هذا الاختلاف إلى التفاوت في الإنسانية أو القيمة.

فتكشف النصوص الإسلامية عامةً والقرآن الكريم خاصةً عن رؤية

واضحة إلى كل من الرجل والمرأة، مفادها اشتراكهما في الإنسانية وخصائصها ولوازمها، حيث إن الإنسان إنسانٌ بروحه لا بجسده، وفي عالم الروح لا أنوثة ولا ذكورة، بل هما من عالم الجسد. وتتجلى هذه الرؤية الموحدة بين الرجل والمرأة في موارد عدة في النصوص الدينية منها أن الرجل والمرأة متساويان من ناحية الخلق لجهة العلاقة بالمبدأ والهدف الذي أريد لكل منهما، ومن ناحية الماهية والحقيقة، ومن ناحية الاستعدادات والقابليات الذاتية للتكامل.

فمن ناحية المبدأ، يرتبط كلاهما بمبدأ واحد وبالدرجة نفسها، وهذا ينطبق على الإنسان الأول آدم وحواء، كما ينطبق على ذريتهما. فالقرآن يُصرح بخلق المرأة والرجل من نفس واحدة<sup>(٩)</sup>... وفي الموقف الإسلامي من ذرية آدم نلاحظ أنه يجمع بين الرجل والمرأة في أحكامه عليهما

وحدة المصير والمآل بين المؤمنة والمؤمن، والكافر والكافرة، والصالح والصالحة والمشرقة والمشاركة والمشارك<sup>(١١)</sup>. ومن جهة أخرى، أشار إلى وحدة الهدف القريب المراد من خلق الرجل بالنسبة للمرأة والعكس، حيث تُشير الآية إلى السكن المتبادل بين الرجل والمرأة<sup>(١٢)</sup>.

فكما أن الرجل يسكن إلى المرأة، فهي كذلك تسكن إليه، فالآية إذاً تؤكد أن الحاجة متبادلة وليس أحد الطرفين طفيلياً بالقياس إلى الآخر.

في الاستعداد والقدرات: ومن لوازم وحدة الهدف من خلق الرجل والمرأة وجوب توفرهما على استعدادات متساوية تسمح لهما بالترقي في مدارج الكمال، دون أن يكون للرجولة أو الأنوثة ميزة على هذا الصعيد، فكلاهما يتوفر على نفخة من روح الله<sup>(١٣)</sup>، وكلاهما مخلوق في أحسن تقويم<sup>(١٤)</sup>، وكلاهما مزود بالسمع والبصر وغيرهما من وسائل الإدراك واكتساب العلم<sup>(١٥)</sup>، وكلاهما

وإخباره عن طريقة خلقهما، فيخبرنا أنه خلقهما من ماء، ومن طين لازب، ومن نطفة أمشاج، وصلصال من حمأ مسنون، وصلصال كالفضار، ومن علقه إلى غير ذلك دون أن يميّز بينهما في هذه الأحكام.

وأما الهدف الذي خلقت المرأة من أجله، فهو عين الهدف الذي خلق الرجل من أجله. ووحدة الهدف هذه تنطبق على الهدف من الإنسان كإنسان كما تنطبق على الهدف القريب المرتبط بكلا صنفَي الإنسان أي الرجل والمرأة. ويؤكد بعض آيات القرآن الكريم هذه الحقيقة عندما يُقرر أن الله خلق الإنسان من أجل التكامل من خلال العبادة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(١٦)</sup>. كما تؤكد بعض الآيات حقيقة التساوي بين الرجل والمرأة في سلوك طريق التكامل والعبودية، والابتلاء بالعذاب نتيجة الشطط عن هذا الصراط السوي. وتؤكد آيات أخرى

٣. التساوي في القيمة بين الرجل والمرأة:

ويترتب على ما تقدّم كله أن تكون قيمة الرجل المتحلّي بالقيم الأخلاقية مساوية لقيمة المرأة المتحلّية بالفضائل عينها، والعكس صحيحٌ أيضاً، ونحن هنا نتحدّث عن القيمة المكتسبة من خلال اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل. فالمرأة لا تقصر عن الرجل في السبق إلى الإيمان والعمل الصالح والتقوى والهجرة والعلم. كما أنّها لا تهوي أكثر من الرجل ولا تنحطّ قيمتها عنه إذا تورّطت مثله في الكفر والشرك والنفاق. ويكفي عموم بعض الآيات وإطلاق بعضها الآخر لإثبات هذا المدّعى. ولكنّ الله سبحانه ربّما أراد رفع أيّ لبسٍ أو إبهامٍ فصّرّح من خلال ذكر صيغة التذكير والتأنيث أثناء بيانه لهذه الحقيقة اليّنة<sup>(٢٥)</sup>، كما ذكر إلى جانب بعض نماذج الخير والشرّ بين الرجال، بعض نماذج الخير والشرّ بين النساء أيضاً، مثل: آدم

مفطورٌ على الدّين الحنيف<sup>(١٦)</sup>، وكلاهما عرّضت عليه الأمانة الإلهية وتحملها<sup>(١٧)</sup>، وهما في الضمير الأخلاقيّ سواء<sup>(١٨)</sup>. كما أنّ الله سخر للإنسان رجلاً وامرأة ما خلقه من شمسٍ وقمرٍ وليلٍ ونهارٍ<sup>(١٩)</sup> ويتمتّع كلاهما بالتعليم الإلهي<sup>(٢٠)</sup> وقد حظيا بنعمة البيان دون أن يشير الله سبحانه إلى تفاوتٍ بينهما في أصل هذه الموهبة<sup>(٢١)</sup>. وأخيراً عندما بعث الله أنبياءه ورسله إلى البشر لم يميّز بين الرجل والمرأة في توجيه الرسالة والخطاب الإلهي إليهما<sup>(٢٢)</sup>.

في معيقات التكامل: كما يشترك الرجل والمرأة في سبيل التكامل، كذلك يشتركان في معيقات التكامل؛ فهذا هو القرآن الكريم يُشير إلى النفس الأمّارة بالسوء<sup>(٢٣)</sup> بوصفها مُفسدةً لسبيل التكامل، كما يصف الشيطان بأنّه عدوّ للإنسان<sup>(٢٤)</sup>، دون أن يشير إلى الاختلاف بين الرجل والمرأة في هذين المُعيقين.

الاختلافات لا يبرّر إنكارها. بل إنّ معرفة هذه الفوارق والتعامل معها بحكمة هو الضامن الأهمّ لتنظيم العلاقة بين الطرفين على أسس واضحة محكمة بضوابط العدالة. وصفوة القول أنّ تمايز الرجل عن المرأة هو تنويعٌ حكيمٌ هادفٌ لا تمييزٌ ظالمٌ يحايي أحدَ الجنسين على حساب الآخر، ولا يترتب على هذا التمايز أيّ أثرٍ قيميّ أو أخلاقيّ.

فإن «هذه الفوارق لا علاقة لها بكون الرجل أو المرأة جنساً أفضل والثاني جنساً أدنى وأحقّر وأنقص، فإنّ لقانون الخلقة قصداً آخرَ في ذلك، فאלله سبحانه أوجد هذه الفوارق من أجل توثيق العلاقات العائليّة بين الرجل والمرأة، وتقوية أساس الوحدة بينهما. أوجد هذه الفوارق من أجل أن يوزّع المسؤوليّات بينهما ويُحدّد الحقوق والواجبات لكلّ منهما على صعيد الأسرة وغيرها. وإنّ الهدف من الاختلاف بين الرجل والمرأة يُشبه إلى

وحواء، إبراهيم ٨ وسارة، أمّ النبيّ يحيى زوج زكريا، مريم زوج عمران، مريم أمّ النبيّ عيسى ٨، موسى وأمه وأخته، آسية زوج فرعون، ابنتي شعيب ٨، بلقيس ملكة سبأ، وذكر من السيئات امرأة نوح، وامرأة لوط، وزوج أبي لهب. بل جعل آسية زوج فرعون مثلاً يُحتذى للذين آمنوا<sup>(٢٦)</sup> كما أنّه ضرب مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط<sup>(٢٧)</sup>. وهذه الأمثلة كما تكشف عن قابليّة المرأة والرجل للتكامل والانحطاط، تكشف أيضاً عن استقلال المرأة وتمتعها بشخصيّة صالحة لتكون نموذجاً للتقوى والكفر في آنٍ واحدٍ.

#### ٤. الحكمة في تمايز المرأة عن الرجل

إنّ اختلاف الرجل والمرأة في بعض الخصوصيّات الجسديّة والعاطفيّة حقيقة واضحة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها. واستغلال الرجل لهذه



حدّ بعيدٍ الهدف من اختلاف أعضاء الجسد الواحد، فحين عيّن موقع كلّ من العين والأذن واليد والعمود الفقري... لم يكن يُفضّل عضواً على عضوٍ أو يُحبّ عضواً أكثر من الآخر»<sup>(٢٨)</sup>.

## ٥. وجوه الاختلاف بين الرجل والمرأة

وعلى ضوء ما أسلفنا نعرض أبرز وجوه الاختلاف بين المرأة والرجل ضمن البنود الآتية:

أ. التمايز الجسديّ: يختلف دور الرجل عن المرأة في مسألة التناسل حيث تحضن الأمّ جنينها مدّة تسعة أشهر. ويحتاج هذا الأمر إلى اختلاف أجهزة الأمّ عن أجهزة الأب ودورها عن دوره. وبعد الحمل والولادة يحتاج الطفل الوليد إلى الغذاء فجهّز الله بحكمته الأمّ بوسائل تغذيته. وبعد هذين العنصرين المميّزين للمرأة عن الرجل يبدو الاختلاف في بنية الجسد واحداً من وجوه التمايز بين الجنسين

«فجسد الرجل وأعضاؤه أضخم من جسد المرأة وأعضائها، والرجل غالباً أطول من المرأة، ويمتاز بخشونة صوته وهي بنعومته وتنمو المرأة أسرع من الرجل. وتصل المرأة إلى البلوغ قبل الرجل وتتوقّف عن الإنجاب قبله، وهي أكثر منه مقاومة للأمراض، وتتميّز الأنثى عن الذكر في سبقها له في القدرة على التكلم في مرحلة الطفولة، ودماع الرجل أكبر من دماغ المرأة نسبياً، وإذا قيس دماغ المرأة إلى سائر أعضاء جسدها فهو أكبر من دماغ الرجل، ورثتا الرجل أكبر من رثتي المرأة، وتتفوّق المرأة على الرجل في سرعة دقّات قلبها»<sup>(٢٩)</sup>.

ب. الخصائص الروحيّة والعاطفيّة: تختلف عواطف الرجل والمرأة كمّاً وكيفاً، والمقصود من التمايز الكمّي اشتراك الرجل والمرأة في مجموعة من العواطف الإنسانيّة، وتمايزهما في مقدار هذه العواطف عندما تُقارن بينهما، وذلك

المرأة منجذبٌ إليها وهي جاذبةٌ، وهي تطلب الحماية وترغب في اللجوء إلى رجلٍ وهو بطبعه يميل إلى الحماية والاحتضان. وقد زوّدهما الله بالخصائص الجسدية التي تتناسب مع هذه الخصائص العاطفية.

## ٦. منابع الاختلافات الحقوقية بين الرجل والمرأة

يُعلم ممّا تقدّم أنّ اشتراك المرأة والرجل في الهوية والمقام والمنزلة بل والأصول القانونية الكلية، لا يمنع من اختلاف التفاصيل المرتبطة بكلّ منهما. ويحتاج تبرير هذه الفوارق إلى بيان نقاطٍ ندرجها في ما يأتي:

يقضي اشتراك الرجل والمرأة في الهوية والطبيعة اشتراكهما في الحقوق والتكاليف. ومن هنا، فإنّ اختلاف بعض الحقوق أو التكاليف لا بدّ من أن يكون استثناءً وعلى خلاف القاعدة الأصلية.

هذه الحقوق والتكاليف المختلفة

كالاختلاف في درجة التعقّل والحزم والتروّي وأمثالها وكالاختلاف في الحنان وعاطفة الحبّ وما شابه. فالرجل غالباً، لا دائماً، متروّ أكثر من المرأة، وهي تملك عواطفَ جيّاشة أكثر ممّا يتوفّر هو عليه. ونذكرُ بها أشرنا إليه قبل قليل، وهو أنّ هذا الاختلاف تابع للحكمة الإلهية، فلولا هذا التمايز العاطفي بين الرجل والمرأة لما قامت للأسرة قائمةٌ. وكيف تستقرّ الأسرة دون عاطفة الأمّ الجيّاشة التي تفدي ابنها بروحها؟! أو تستقرّ الأسرة دون تروّي الرجل وتردّه قبل الإقدام على اتّخاذ قرار يتعلّق بأسرته؟ والمقصود من التمايز الكيفي هو الخصائص المرتبطة بالمرأة بما هي امرأة وبالرجل بما هو رجلٌ، فقد زوّده الله كلّاً منهما بعواطف تختلف في نوعها وكيفيّتها عن العواطف التي زوّدها الآخر. ومن أبرز أمثلة ذلك اختلاف كلّ من الرجل والمرأة في نظره إلى الآخر، فالرجل بطبيعته في علاقته مع

ليس لها بعدٌ قيميٌّ، ولا تؤدّي بأيّ وجهٍ إلى رفعة المرأة أو الرجل أو دناءة مقامهما، ولا تؤدّي بالتالي إلى تقسيم النوع الإنسانيّ إلى مرتبتين.

إنّ أكثر هذه الاختلافات الحقوقيّة والقانونيّة ينشأ نتيجة طروء عناوين خاصّة على الرجل أو المرأة جرّاء موقعهما اللّذي يأخذانه داخل الأسرة، ومن هذه العناوين: أب، أمّ، زوج وزوجة، أخ وأخت، عمّ وعمّة، وهكذا... وليست هذه الاختلافات مترتبةً على عنوان الرجولة أو الأنوثة. وما يؤكّد هذا المدعى هو أنّ اختلاف الرجل والمرأة في الحقوق ميدانه ساحة الأسرة. هذا ولا ينفي وجود بعض الاختلافات الجزئيّة المترتبة على عنوان الرجولة والأنوثة.

ينشأ أكثر الأسئلة والاعتراضات على حقوق المرأة في الإسلام من النظرة الجزئيّة، وإلاّ فإنّ النظر إلى نظام حقوق المرأة إلى جانب الأنظمة

الأخرى ذات البعد الاجتماعيّ والسياسيّ والأخلاقيّ.... سوف يساعد على تقديم الجواب عن الأسئلة المثارة.

في البحث عن نظام حقوق المرأة في الإسلام لا بدّ من الالتفات إلى نقاطٍ رئيسيّة ثلاث، هي:

- إنّ الهدف من القوانين المرتبطة بالمرأة، كما سائر القوانين، هو الأخذ بيد الإنسان للوصول إلى السعادة والقرب من الله تعالى. وهذا ما يبرّر اهتمام الإسلام بعفّة المرأة وطهارتها. ومن هذا الاهتمام ينشأ الاختلاف في بعض الحقوق والتكاليف.

- يهتمّ الإسلام بشكلٍ واسعٍ بالأسرة، حيث إنّها المهّد اللّذي يحتضن حياة الإنسان في مرحلة طفولته، وفيها يكتسب أهمّ العناصر المكوّنة لهويّته وشخصيّته. وقد نظّم الإسلام رؤيته الحقوقيّة والقانونيّة على ضوء هذا الاهتمام ما أدّى في بعض الأحيان إلى

شيء من الاختلاف بين الرجل والمرأة في بعض التفاصيل القانونية.

- إنَّ الاختلاف المشار إليه بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات يستند إلى منهج واقعي حكيم، ولا يستند إلى التحكُّم والظلم أو التمييز. وبعبارة أوضح: إنَّ الاختلاف بين الرجل والمرأة يُعطي كلاً منهما دوراً خاصاً به في المجتمع وموقعاً كذلك. ومن الطبيعي أن تترتب على الأدوار المختلفة حقوق وواجبات مختلفة. فكما أنَّ اختلاف القوانين يكون ظلماً مع وحدة الواقع، كذلك وحدة القوانين مع اختلاف المواقع. والإسلام يُعارض الظلم بكل أنواعه. ومن هنا فإنَّه في العناصر المشتركة قد شرع للرجل والمرأة أحكاماً متطابقة، وميَّز بينهما في جهات الاختلاف.

### فلسفة اختلاف الموقع والدور الاجتماعي

ويبقى بعض الأسئلة الجديرة

بالبحث مثل: ما هي الاختلافات الطبيعية التي يجب أن يترتب عليها اختلاف الموقع والدور الاجتماعي وبالتالي اختلاف الحقوق والقوانين؟ أو كيف يترتب التمييز القانوني والحقوق على الاختلاف الطبيعي؟ ويمكن الإجابة عنها باختصار كالآتي:

١. هذان سؤالان، وغيرهما، يكشفان، بعد الاعتراف بأصل الاختلاف، عن الحاجة الإنسانية العميقة إلى مصدر تشريعي غير إنساني وهو الله سبحانه عن طريق الوحي والأنبياء، فإنَّ الإنسان قد يعلم بوجود اختلاف في الدور بين الرجل والمرأة، ولكنه لا يدرك ما يناسبه، لو ترك له اختيار القوانين المناسبة لموقع كل من الرجل والمرأة. ومن هنا، فإننا سوف نتواضع إلى أقصى حدود التواضع ونقر بأنَّ اختلاف موقع الرجل والمرأة لا بدَّ من أن يؤدي إلى اختلاف حقوق وقانوني بينهما دون أن ندعي

التكليف يوَلِّد حقاً كذلك، ولا ينبغي توهّم الانفصال بينهما؛ بحيث يكون لشخصٍ ما حقوقٌ لا تُقابل بواجبات، فالتمكين حقٌّ للرجل وواجبٌ على المرأة، وفي مقابل هذا الأمر نلاحظ أنَّ النفقة حقٌّ للمرأة وواجبٌ على الزوج.

وإنَّ الحرمان من الحقِّ يقابله الإعفاء من الواجبات التي كان لا بدَّ من ثبوتها على تقدير ثبوت الحقِّ. والالتفات إلى هذه النقطة الجوهرية سوف يُزيل توهّم الظلم والتمييز بين الرجل والمرأة، تعالى الله عن ذلك. وهذا التوازن بين الحقوق والواجبات هو أحد مظاهر الحكمة والعدالة الإلهية. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة بأخصر العبارات وأبلغها؛ حيث قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(٣١)</sup>.

القدرة على معرفة سائر التفاصيل أو القدرة على اكتشاف الجزئيات أو تبريرها جميعاً. ونشير إلى أنّه يُشترط في تأثير الاختلافات الطبيعيّة على مستوى القانون، أن تكون هذه الاختلافات دائمةً وعامةً وثابتةً.

٢. على ضوء ما تقدّم يتّضح سرّ اجتماع أكثر نقاط التمايز القانونيِّ والحقوقيّ بين الرجل والمرأة في البيئة الأسريّة، وذلك أنَّ الرجل كما المرأة يأخذ كلّ منهما موقعاً خاصّاً في الأسرة يُميّزه عن موقع الآخر ولا يمكن أن يحلَّ محله بأيّ وجهٍ من الوجوه. وربّما يُفسّر هذا الأمر النهي الإلهي عن تمني الرجل ما فضّل الله به المرأة والعكس<sup>(٣٠)</sup>.

٣. الملازمة والترابط بين الحقوق والواجبات، وبين الحرمان والإعفاء من جهةٍ أخرى، أي: أنَّ من يُعطى حقّاً -رجلاً كان أو امرأة- لا بدَّ من أن يُطالب بتكليف بإزائه، كما أنَّ

## الفعالية الاجتماعية للمرأة بنظر الإسلام

تُطرح الكثير من التساؤلات حول قضية عمل المرأة وحضورها الاجتماعي الفاعل، اعتماداً على أن الدين قد حفظ لها قوتها وحاجاتها المادية، وأنه لم يشأ أن يجعل من المرأة كائناً محتاجاً، ففرض على الرجال تأمين نفقاتها وأسرتها، ليكون بذلك قد وضع عنها عبئاً ثقيلاً، وتبعاً لهذا المنطق يصبح موضوع عمل المرأة مسألةً اختياريةً محضةً، والواضح أن هذه النظرة الضيقة، لا تستند على رؤية موضوعية ومتكاملة إلى وظيفة المرأة في الحياة كشريك للرجل تتناصف معه إدارة المجتمع، وتؤدي دوراً كبيراً في تشييد أركانه.

والصحيح هنا، أنه يجب النظر إلى قضية فاعلية المرأة في المجتمع وفي مختلف الوظائف والمواقع على أنها تشكل بُعداً خاصاً من أبعاد الحضور

الاجتماعي الفاعل لها، وأداءً طبيعياً لدورها ووظيفتها العامة في الحياة، وهي لا تنطلق بالضرورة من السعي لتأمين الحاجات المادية فحسب، بل إن دوافع المرأة نحو العمل كثيرة ومتعددة، كالحاجة إليها في وظائف يجب أن يؤديها خصوص المرأة في المجتمع الإسلامي، أو أداء الوظيفة الطبيعية للمرأة في ما يخص النساء، بل حتى لو كان عملها من باب تحقيق الطموح والذات فهو من الأمور الراجحة والمقبولة والضرورية، لأن المرأة بهذا تعيش الأمل الذي يعطيها الثقة بالنفس، والمثابرة والقوة في حضورها الإيجابي في المجتمع، ما ينعكس استقراراً على الشخصية، وعلى مجتمعتها الخاص والصغير المتمثل بالزوج والأسرة، بل قد يكون محرّكاً للإبداع عند المرأة في مجالات عملها المختلفة كما أثبتت التجربة.



## خاتمة

- إن قضية موقع المرأة في المجتمع ودورها وحقوقها قد خضعت لتجاذباتٍ حادةٍ في القرون الأخيرة، وخلص الغرب إلى تصوّرٍ خاصٍّ لهذا الموضوع، واختار لنفسه طريقاً محدّداً وشاملاً نسبياً على هذا الصعيد، وذلك على الرغم ممّا مرّ به هذا الموضوع من مراحل وخلافات وما دخله من إرهاباتٍ ومخاضاتٍ. لكنّ القرن العشرين كان بمثابة نوع من اكتمال الصورة - غريباً - لهذه الإشكالية التي بلغت الغاية في التعقيد. لكن القرن العشرين نفسه كان، على صعيد العالم الإسلامي، مختلفاً جداً، ذلك أنّه شكّل قرن تفجّر الجدل حول هذه المقولة الشائكة، وُخلقت نتيجة ذلك اتجاهاتٌ وآراءٌ ومدارسٌ كثيرةٌ ومتنوعةٌ، بلغت درجة التباين الحادّ.

- بغضّ النظر عن الفلسفة التي قامت على أساسها الحركة النسوية

(الجندر)، وعن الغاية والأهداف التي رسمتها لنفسها، فإنّها حقّقت تغييراً اجتماعياً واضحاً وقوياً في قيم المجتمعات والشعوب وثقافتها، إذ لم يكتف دعاء هذه الحركة بتياراتها وألوانها المتعدّدة في كل العالم بطرح النظريات والصدق بالشعارات ومواجهة أفكار الآخر الدينية وغير الدينية. بل تمكّن هؤلاء من خلال المؤتمرات الدولية والتغلغل في المؤسسات التربوية والإعلامية وغيرها من الحضور بفاعلية في المحافل الأممية، والتحرك لسن الشرع الدولية، وتعديل الكثير من قوانين الدول بما ينسجم مع ثقافة الجندر وتطلّعاته، ولم يقتصر ذلك على قوانين الأحوال الشخصية والعمل والتعليم ونحوها... بل سرى إلى تفاصيل وجزئيات الحياة والإدارة، كالكتابة على تذاكر الطيران وغيرها من الوثائق الرسمية كلمة الجندر بدل الجنس للإشارة إلى الذكورة أو الأنوثة.

بال مسلمين لعقود من الزمن، وأغفلهم عن الأفكار والثقافات الكثيرة الوافدة إلى مجتمعاتنا ومؤسساتنا تحت عناوين مدنية براقية، ولكن تعود إلى مرجعية واحدة وهي الجندر.

- بناءً على رؤيتنا الإسلامية، إننا نرى أن المرأة قلب المجتمع، ومركز حياته وبقائه، فكما أن القلب في الجسم البشري مركز حياة، وديمومة بقاء واستمرار، كذلك المرأة قلب المجتمع، فإذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع. والمرأة تمثل نصف المجتمع من الناحية العددية، وتلد وتربي النصف الآخر منه، فتكون بمثابة كل المجتمع ومدرسة تربية له، وتعكس عنوان حضارته، وقوته ومقدار تقدّمه ورفعته، وكذلك إذا فسدت المرأة تكون مصدر فساد المجتمع وضياعه. وقد عبر أحد عظماء هذا الزمان عن ذلك قائلاً: «المرأة هي رمز تحقق آمال البشرية، وهي المربية

- من أخطر الآثار الناشئة عن الجندر، والتي انعكست على حياة المجتمعات الغربية أولاً وبدأت بالتسلّل إلى مجتمعاتنا المحافظة ثانياً، ما يرتبط بحرف دور المرأة في تشكيل الأسرة الطبيعية المنسجمة مع فطرة الإنسان وخلقها، وتربيتها، وتحسينها من الرذائل، عن مساره الفطري، ففتحت العلاقات بين الذكر والأنثى وأصبح الإنجاب خارج إطار الأسرة أمراً طبيعياً ومشروعاً، بل وفتح الباب القانوني للعلاقات المثلية (الزواج المثلي) الذي يلغي كلياً فكرة الأسرة... وفي الواقع إنهم قتلوا الروح في البناء والروابط الأسرية التي تشكّل المرأة (الزوجة والأم) ركنه الأهم والأساس.

- لم يعد من حجة ولا مبرر للمفكرين والمثقفين المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومواقعهم، بالتلهّي بقضايا المرأة المسلمة من الناحية الفكرية والحقوقية وغيرهما مما شغل

«رجل»، إذ الرجولة ليست من لوازم إنسانية المرأة.

- لعلّ من أبرز الإشكالات التي عانت منها الاتجاهات الفكرية الإسلامية هي مرجعية الغربي، أي أنّ فريقاً كان يرى الأمثلة في الأنموذج الغربي، فكانت الرؤى والقراءات تُصاحب هذه الأمثلة على الدوام أو غالباً، لكنّ فريقاً آخر كان يتموضع في مكانه، والمرجعية العكسية التي تدفعه إلى هذا التموضع هي الغرب نفسه. لكنّ المفكر الإسلامي الذي يريد تقديم صياغة حقوقية وقيمية متكاملة لموضوع المرأة لا يحقّ له من ناحية منهجية ومعرفية أن يتماهى والغربي في مشروعه، حتّى لو كان مشروعه من أسلم المشروعات، وهو أمرٌ، مع الاعتراف بعوامة بعض فروع الثقافة اليوم، يؤول في ما يؤول إليه، إلى إلغاء أو تشويه الخصوصيات الفكرية والثقافية للحضارات والأمم.

للنساء والرجال العظام، فمن أحضان المرأة يتسامى الرجل، وحضن المرأة هو الموضع الذي يتربّى فيه النساء العظام والرجال»<sup>(٣٢)</sup>.

- لقد اضطرب المعيار الاجتماعيّ في تقييم المرأة وتحديد منزلتها الاجتماعية في عصور الجاهلية القديمة أو الحديثة؛ أمّا الدّين الإسلاميّ فقد لحظ في تشريعاته المرأة وأعطاها حقوقها كافّة، فقد حفظ الحقوق المعنوية والمادية للمرأة، وساواها في الحقوق مع الرجل بما ينسجم مع طبيعتها وتكوينها كأثى. وترتبط فلسفة هذه التشريعات في الدّين الإسلاميّ بقضية إنصاف المرأة كإنسان ذي تكوين جسديّ ونفسيّ يختلف عن الرجل، وبالتالي فإنّ الإنصاف والرحمة يقتضيان وجود نوع من التفاوت والتمايز في التشريعات على مستوى الحقوق والواجبات بين المرأة والرجل، وهو ما يُحقّق للمرأة شأنها المتعالي والرفيع، «كإنسان» لا ك

## الهوامش:

- [١] يقصد بالنوع الاجتماعي (Gader) مجموعة من السلوكيات والمفاهيم مرتبطة بالإناث والذكور ينشئها وينشرها المجتمع، وأن كل المجتمعات الثقافية تحول الفروقات البيولوجية بين الإناث والذكور إلى مجموعة من المفاهيم حول التفرقة والنشاطات التي تعتبر ملائمة.
- [٢] تعريف الجندر في وثيقة الأمم المتحدة: الباب الخامس، الفقرة ٢، ١٥ تحدد أهداف الوثيقة كالتالي: «تدعيم الأسرة بشكل أفضل وتدعيم استقرارها مع الأخذ بعين الاعتبار تعدد أنماطها».
- تعريف الجندر في الموسوعة البريطانية Geder Identity: هو شعور الإنسان بنفسه كذكر أو أنثى، ولكن هناك حالات لا يرتبط فيها شعور الإنسان بخصائصه العضوية، ولا يكون هناك توافق بين الصفات العضوية وهويته الجندرية. إن الهوية الجندرية ليست ثابتة بالولادة، بل تؤثر فيها العوامل النفسية والاجتماعية بتشكيل نواة الهوية الجندرية وتتغير، وتتوسع بتأثير العوامل الاجتماعية كلما نما الطفل.
- تعريف الجندر في منظمة الصحة العالمية: هو المصطلح الذي يفيد استعماله وصف الخصائص التي يحملها الرجل والمرأة كصفات مركبة اجتماعية لا علاقة لها
- بالاختلافات العضوية.
- [٣] Sigificace of Geder: Theory ad Blackswell، reserach about Differece Publishers، ١٩٩٧، ١٢٢pp، ١٢٥.
- [٤] نقلاً عن حمدي عبد الرحمن حسن، المشاركة السياسية للمرأة، خبرة الشمال الأفريقي، القاهرة، مركز دراسات المستقبل الأفريقي، ٢٠٠١، ص ٩.
- [٥] حلمي، كاميليا، رئيس اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل والدكتور مثنى أمين نادر الكردستاني - باحث دكتوراه في العقيدة والفلسفة، موقع اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، الجندر... المنشأ - المدلول - الأثر. بتصرف.
- [٦] يراجع: مهريزي، مهدي، فقه المرأة (دراسات نقدية ومنطلقات التجديد المنهجي)، ص ٣٤، ط ١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٨ م.
- [٧] مطهري، مرتضى، نظام حقوق المرأة في الإسلام، ص ١٨٤.
- [٨] النيهوم، الصادق، الحديث عن المرأة والديانات، ص ٤٩، مكتبة الينهوم، سلسلة الدراسات (١).
- [٩] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا... النساء: ١﴾، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ

[٢٢] يُستفاد هذا المعنى من توجيه الخطاب إلى

الإنسان دون تقييده بالرجل والمرأة

[٢٣] ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾

يوسف: ٥٢؛ فاطر: ٦؛ الزخرف: ٦٢.

[٢٤] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يوسف:

٥.

[٢٥] كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ

وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ

وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ

فُرُوجَهُمُ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا

وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

الأحزاب: ٣٥.

[٢٦] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ

إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي

مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا

فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا

وَكُتِبَ عَلَيْهَا كُلُّ صَاحِبٍ عَلَى نَفْسِهِ وَتَرَى

[٢٧] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ

وَأَمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا

صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ

شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾

التحریم: ١٠.

[٢٨] مطهري، مرتضى، نظام حقوق المرأة في

الإسلام، ص ١٤٥ — ١٤٦، مؤسسة الإعلام

الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥.

مِنْهَا زَوْجَهَا لْيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ الأعراف: ١٨٩.

[١٠] الذاریات: ٥٦.

[١١] النساء: ١٢٤؛ التوبة: ٧٢؛ الأحزاب: ٣٥؛

الفتح: ٥٦؛ الحديد: ١٢؛ يس: ٥٦؛

المؤمنون: ٨؛ البقرة: ٢٢١.

[١٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ

مِنْهَا زَوْجَهَا الْأَعْرَافُ: ﴿١٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ

لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم: ٢١.

[١٣] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

سَاجِدِينَ﴾ الحجر: ٢٩؛ سورة ص: ٧٢.

[١٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

التين: ٤.

[١٥] ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا

تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ

وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل: ٧٨.

[١٦] ﴿فَاقِمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي

فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الروم: ٣٠.

[١٧] ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا

الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب:

٧٢.

[١٨] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

وَتَقْوَاهَا﴾ الشمس: ٨٧.

[١٩] البجائية: ١٣؛ إبراهيم: ٣٣.

[٢٠] البقرة: ٢٣٩؛ الأنعام: ٩١؛ العلق: ٤ و٥.

[٢١] الرحمن: ١-٣.

[٢٩] مطهري، مرتضى، نظام حقوق المرأة في

الإسلام، ص ١٧٣.

[٣٠] ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى

بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ

نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ

اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ النساء: ٣٢.

[٣١] البقرة: ٢٢٨.

[٣٢] روح الله الموسوي الخميني، صحيفة

الإمام، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام

الخميني، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ط ١، ج ٧، ص

٣٤١.





أ. د. كاظم كريم رضا الجابري  
أكاديمي عراقي

## الجنـدرة ودورها في تـد مير المجتمعات

### أهمية البحث

مما لا شك فيه من ان الثورة التكنولوجية التي أصبحت سمة العصر فيها فوائد كثيرة للبشرية قللت من خلالها الاعتماد على الأعمال اليدوية والتفكير حتى ان (الروبوت) صار يؤدي اعمال منزلية داخل البيت وان مواقع التواصل الاجتماعي تنشر الجديد من الفكر التكنولوجي وانه يصل الى المتلقي بدقائق... وغيرها من الفوائد العظيمة ولكن للتكنولوجيا ومن يقوم بإدارتها مساوئ كثيرة فقد

قتلت التفكير المنطقي وقتل التلفزيون وقتل التعلم في المدارس وقتل الاخلاق والسلوك الطيب الكومبيوتر وقتل الساعة وقتل المصباح والمجلات والكتب وقتل العلاقات الاجتماعية بين الناس والعلاقات الزوجية وغيرها، ونشر الرذيلة بالموبايل منها العلاقات الجنسية خارج اطار الزواج والابتزاز واليوم ينشر مفاهيم الجنـدرة والمثلية وغيرها، والبحث الحالي محاولة لتسليط الضوء على النتائج العلمية المخيبة للأمال والتي جرت العالم الى

- الشذوذ والرذيلة وتحليلها وكشف  
خفايا الهدف من نشر مفاهيم المثلية  
والجندرة بصورة التحليل المنطقي  
والعرض التاريخي هدفه توعية الناس  
للابتعاد عن الانجرار وراء مفاهيم  
حرية المرأة او تمكين المرأة او النوع  
الاجتماعي للصورة الجميلة للجندرة  
والتصدي بكل اتينا من قوة لمواجهة  
التيارات المنحرفة التي تستهدف  
شبابنا وصغارنا وحتى كبارنا، وإن  
التيارات الشاذة او البراقة ليست من  
اجل الثقافة السليمة او نتائج بحوث  
منضبطة وانما لها اهداف تدمير  
المجتمعات وخلق تقارب عقلي مع  
الثقافة الغربية وكأنها مفتاح الجنة.
- آمل أن اكون قد قدمت شيئاً مفيداً  
لأمتنا وشعبنا وابنائنا
- أهداف البحث**
- يهدف البحث الحالي التعرف على:
١. ما مفهوم مصطلح الجندر؟
  ٢. لماذا ظهر هذا المفهوم في هذه
- الفترة الزمنية، ومن وراء؟
٣. هل فعلاً كمفهوم جاء كله من  
تطور العلوم الانسانية والاجتماعية؟  
أم ان له اهداف معينة؟
  ٤. ما الهدف من وراء إشاعة  
وانتشار مفهوم الجندر، ولماذا هذا  
الدفاع عنه.
  ٥. لمحة تاريخية عن نشأة هذا  
المفهوم.
  ٦. هل فعلاً ان التنشئة الاجتماعية  
والاسرية هي الاساس في تشكيل  
الهوية الجنسية؟
  ٧. رأي الاسلام بهذا الموضوع؟
  ٨. ما رأي العلم في هذا الموضوع؟
  ٩. لماذا تصر الأمم المتحدة على  
نشر هذا المفهوم واصدار قرارات  
متلاحقة عن مفاهيم تمكين المرأة  
(قانون سيداو) والمثلية الجنسية  
والجندر وغيرها من المفاهيم الشاذة  
ومن يقف وراء هذه القرارات.

## مفاهيم حول الشذوذ الجنسي

أ- الجنـدر (النوع الاجتماعي) او الجنوسة: وهو ما يسمى بالتحول الجنسي من الذكر او الانثى وبالعكس والمراد بها التلاعب بالأسس الفطرية للحياة الانسانية.

ب- الخنـوثة او خنثي الجنس: هو انسان يولد ولديه اضطراب جيني او هرموني تؤد بالفرد الى تقمص الجنس الاخر.

ت- المثلية الجنسية: وهو مفهوم قديم يسمى (باللواط او السحاق) انتشر في الآونة الاخيرة واصبح له علم وشعارات، ووجود حكومات ومسؤولين في الكثير من الدول الغربية اصدرت قوانين تجيز الزواج رجل برجل وامرأة بامرأة.

ث- قانون تمكين المرأة (سيداو): والذي اباح للمرأة الحرية المطلقة غير المقيدة اخلاقياً ودينياً بممارسة العلاقات الجنسية خارج الدين

والاعراف، ويحق للمرأة الاجهاض والطلاق وتبني الاولاد بدلاً من الرجل.

## تـحـديـد مـفـهـوم الجنـدر Gender

هذا المفهوم لم يكن معروفاً بشكله الحالي والذي يدافع عنه كبار السياسيين والاعلاميين ورجال الاقتصاد وتصرف عليه اموالاً طائلة ومحرم على اي شخص التقرب الى علم المثلية الجنسية او حرقه، ان المقصود بالجنـدر او النوع الاجتماعي هو عملية الغاء الفوارق بين الذكور والاناث وهو حرب على الفطرة او العامل البيولوجي وان الاختلافات بيئية اجتماعية في الادوار وهو مصطلح غربي مادي وراءه اهداف سياسية واقتصادية هدفها تدمير العالم، ويعتقدون بأن الذكورة والانوثة نوع واحد نافين بذلك أصـل الخـلقة ونافين قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿١٣﴾ (الحجرات: ١٣).

والجندر هو اتباع النزوات المتطرفة بطرق شاذة كأن تتزوج امرأة بامرأة ورجل برجل، فالمرأة لا تكون امرأة الا ان المجتمع هو الذي يعطي الدور وبإمكان المجتمع ان يحول دورها الى رجل وبالعكس.

فقد اشارة الباحثة آمال قرامي في اطروحة الدكتوراه عن الجندر بأنه كلمة اجنبية Gender تترجم الى الجنوسة لأنه مرتبط بالذكر والانثى، فاختاروا مصطلح النوع الاجتماعي للتعبير عن مصطلح الجندر، واخرون اختاروا مصطلح التشكيل الثقافي والاجتماعي للجنس. واخرون مصطلح (العنصر) للتعبير عن العلاقات بين الذكر والانثى والشائع هو الجندر.

علم الجندر هو من العلوم

الانسانية والاجتماعية وهو جزء من علوم الانثروبولوجيا، تحول الى علم يدرس وينشر عبر وسائل الاعلام وفتحت له اقسام في بعض الكليات في امريكا واوروبا، وحتى في بعض الدول العربية، اخذت هذه الاقسام تمنح شهادة الماجستير والدكتوراه.

فقد اشارة الكاتبة الفرنسية الشاذة (سيمون دي بوفار) ان المرأة لا تولد امرأة وانها تصبح هوية الشخص تحدده الثقافة وان الذكر والانثى سواء وانها سواء وان البيئة تصنع الادوار، وهي بذلك تحاول ان تنفي قول الله تعالى ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ (آل عمران: ٣٦) ليس تفضلاً وانما الذكر في هذه الآية هو القيامة في سدانة بيت المقدس وليس الذكر الذي تمتته والددة السيدة مريم العذراء، لان الذكر سيقوم بفعل وظيفة وهي من واجبه، وهو فعل شيطاني هدفه تدمير العالم وهدفه الغاء مفهوم الرجال قوامون على النساء، وكل ما يتعارض مع

مفاهيم الدين الاسلامي وقيمه السماوية الحميدة هول من همل اناس هدفه شيطنة البشرية واطهار الشيطان الذي يحاول ان يتربص بالإنسان في دفعه الى الظلالة والكفر.

ان فكرة الجنـدرة تقوم على ان النظام الاجتماعي يعطي للذكر السيطرة والقوة وكل شيء، وتعطي المرأة دور التابع ورقيقة ورومانسية وهو برأيهم ليس نظام عادلاً الامر الذي يخلق الصراع بين الذكر والانثى (Gender Confelct)، فالمرأة عندما تستقل وتعطي حرية مطلقة وهي نظرتهم الى المرأة فان العدالة الاجتماعية تسير باتجاه نظرية النوع الاجتماعي (الجنـدر) وتكون الادوار متساوية ولا يظلم فيها احد، ويستدلون على ذلك بأن حوالي ٤٠٪ من نساء العالم العاملة نسبة العلماء والقادة ومدراء الادارة والزعامات بمختلف اشكالها وهي قليلة برأيهم، اما اليوم وبعد انتشار مفهوم الجنـدر

فالأدوار ينبغي ان تكون متساوية ولا تحتاج المرأة الى قوة الرجل بسبب انتشار التكنولوجيا الحديثة والمتطورة والتي تسنح للرجل والمرأة بالعمل بنفس المهن وحتى الصعبة منها، فإمكان المرأة تتزوج امرأة او تحويلها الى امرأة بفعل هرمونات او مواد كيميائية وان الرجل يمكنه ان يتزوج رجلاً وهكذا هي الحياة بالنسبة لهم.

تُعرف الهوية الجنـدرية ( Gender Identity) على انها المفهوم الشخصي الذي يحدده الفرد لنفسه كذكر او انثى او بشكل نادر لكليهما معاً وهو يرتبط بمفهوم الدور الجنـدري ( Gender Role) والذي يعرف بانه مجموعة المظاهر الشخصية الخارجية التي تعكس الهوية الجنـدرية، فالدور الجنـدري يشكل في اغلب الاحوال التعبير الخارجي للهوية الجنـدرية، فانخراط الطفل في نشاطات تعتبر بصورة تقليدية غير متوافقة مع جنسه يشكل امراً مهماً ينبغي ملاحظته خلال

فترة نمو الطفل.

## أهداف نشر مفهوم الجندرة

ان الاهداف المعلنة وغير المعلنة فهي جاء بناءً خطط موضوعة من جهات هدفها تدمير العالم وهذا يظهر على ما تقوم به الماسونية ورأس المال الخبيث ويقوم الرؤساء بتنفيذ هذه الاهداف ومنها:

١. محاربة الدين الاسلامي الذي أصبح يشكل خطراً يهدد الدول الغربية وامريكا.

٢. تفكيك الأسرة والمجتمعات الاسلامية وجعلها تسير بركب المجتمعات المفككة اسرياً.

٣. ضرب القيم الاخلاقية والانسانية سواء كانت الواردة في الاديان السماوية او قيم الدين الاسلامي الحنيف.

٤. انها حرب ثقافية واجتماعية على الاسلام والمسلمين ومحاولة التقليل من الفوارق بين الجنسين اللذان ولدا بالفطرة وليس بالتنشئة الاجتماعية كما

ويشير تعريف آخر بان الجنس او الجندر يشير الى السمات البيولوجية والفسيولوجية التي تميز الرجال عن النساء، فهو يتجذر في الاعراف (aljazera. net) ان الفرق بين المفهومين (الجندر والجنس) هو ان الجندر هو تعريف الشخص لذاته على انه انثى او ذكر او ثنائي الجنس (Intersex)، اما الجنس هو ما يحدده الاعتماد على الاعضاء التناسلية او الاعضاء التناسلية المحتمل امتلاكها سواء كان ذلك تبعاً للنمط الظاهري او الجيني يتضح عند الولادة ذكر ام انثى، اما ثنائي الجنس (خنثي) فغالباً ما يولدون باعضاء جنسية مبهمه، او غير واضحة لدى اي وليد جديد تُعمَّم حالة الوليد واختيار احد الجنسين بهدف تبسيط التفاعلات الاجتماعية. (ibelieveinsci).



وسيمون وغيرهم). اراد كتابهم مثل (موني وكنزي  
انجاب طفل واحد بصعوبة. وتصيح غير قادرة على الانجاب او

٥. اقامة نظام حكومة العالم الخفية التي تدعو اليها الماسونية والصهيونية.  
٦. الوصول الى المليار الذهبي من سكان العالم، وهي فكرة استعمارية لقتل اكبر عدد ممكن من سكان العالم، ابتدأت بنشر الكثير من الامراض الفتاكة مثل (كرونا وانفلونزا الطيور والساـرس... وغيرها) من الامراض. فقد اشارة دراسة الى الدول الغربية قد تخسر او يتناقص سكانها بسبب الجنـدرة او المثلية الى نسب محددة في البحث مثلاً امريكا قد تخسر (٥٠) نسمة من سكانها بحلول عام ٢٠٣٠ بسبب

٨. الدعوة الى ازالة الفوارق الطبيعية بصفة عامة بين الذكور والاناث وتغيير ادوارهم.

٩. اتهام المجتمعات الشرقية (العربية والاسلامية) بالتخلف الجنسي واضطهاد المرأة في تلك المجتمعات (article).

١٠. التشكيك في الكثير من ثوابت المجتمعات الاسلامية بشكل

١) الزواج المثلي والجنـدرة، فلا انجاب في هذه العلاقات.

٢) ان المرأة وبسبب عزوفها عن الانجاب والزواج الشرعي وعدم رغبتها في الانجاب قد تتأثر بيولوجياً

في الغرب، بدأت من العصور الوسطى مروراً وصولاً للنظرية المعاصرة، تقول راوين كونيل أن نظريات الجندر العلمية والاجتماعية هي حديثة نشأة في الغرب، حيث شكل هذا المصطلح موضعاً للنقاش بين المجموعات النسوية المختلفة في الغرب وحتى في مجتمعاتنا العربية والاسلامية على مدار العقود الماضية.

في العصور الوسطى كانت العلاقة الأخلاقية ما بين الرجال والنساء والإله مرتبطة بشكل مباشر بنقاشات علماء اللاهوت والفلاسفة عن الجندر، ومع بداية عصر التنوير كان الإطار الذي تقام فيه النقاشات هو إطار أخلاقي علماني حيث بدأت تآكل الاعتقاد بأن الله قد وضع طريقاً محدداً للرجال والنساء حتى يسلكونه والنقاشات كانت تدار في إطار أكثر علمانية، وظهر في ذلك الجدل والتشكيك حول التبرير الأخلاقي للعلاقات الجندرية القائمة بين

خاص وتغير صورة الناس عن قيم الدين الاسلامي وجعلهم تابعين ومنبهرين في الثقافة الغربية.

## لمحة تاريخية لمصطلح الجندر

لقد صاغ عالم النفس الأمريكي (روبرت ستولر) وذلك للتفريق بين العوامل الاجتماعية والنفسية للأنوثة والذكورة في المجتمعات وبين العوامل البيولوجية الطبيعية للفروق الجنسية مع الافراد. وهو النوع الاجتماعي الجنوسة او الجندر بالانكليزية (Gender) مجموعة الصفات المتعلقة والمميزة ما بين الذكورة والانوثة (Wiki) في الفصل الثاني من كتابها الجندر (Gender) تحدثت الكاتبة راوين كونيل (R. W. Connell) في كتابها (Gender and power: Society, the person and sexual politics) السلطة والجندر الفرد والمجتمع والسياسات الجنسية عن تاريخ تطور بحث ودراسة الجندر

الرجال والنساء والتي يحتل فيها الرجال المرتبة الأعلى.

ففي عام ١٩٧٢ وبعد قيام الثورة الفرنسية ظهر جدل كبير حول حقوق المرأة بين أيما نويل الكاتب البريطاني والكاتبة الفرنسية ماري وولستونكرافت، حيث طرحت ماري وثيقة اثبات حقوق النساء وان النساء لسن عاطفيات وغير عقلانيات، كما شددت بقوة على دور المجتمع والظروف القمعية التي تنشأ فيها الفتيات، وان شخصياتهن لم ترجع الى أسباب التكوين الطبيعي للنساء ولكنها أرجعتها لمعاملة النساء على أساس أنهن كائنات تابعة لا تكثرث سوى بأناقته وجاذبيته. وفي القرن التاسع عشر تحديداً عام ١٨٤٨، عُقد مؤتمر (سينيكا فولز) يناقش ويطالب بحقوق النساء الاجتماعية والمدنية والدينية، في مدينة نيويورك بعد ان كان الرجل رجل السياسة والاجتماع والاقتصاد وتسلم المسؤولية، أما المرأة

معزولة في المنزل والطبخ وتربية الأطفال والتنظيف، ولا يحق لمن التصويت في الانتخابات في الولايات المتحدة (ويكي جنـدرة).

وفي انكلترا كانت النقابات العمالية التي تشكلت في القرن التاسع عشر تفرض عضوية النساء بها، وكان عملهن بأعمال بسيطة كإدارة المنزل او صناعات نسيجية وغيرها من اضطهاد النساء، وكانت الشيوعية الالمانية كلارا زيتكن (1857-1933) Clara Zetkein) بضرورة تطوير الأفكار الاشتراكية تتضمن تحليل القهر الذي يقع على نساء الطبقة العاملة وكيف يمكنهن التحرر منه، وبضرورة إنهاء الانقسام الجنسي في العمل.

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مع زيادة الحريات وظهور دعوات تدعو الى وضع تشريعات جديدة لتجريم المثلية

اما فرويد صاحب نظرية التحليل النفسي الذي تعمق في مجال التحليل النفسي فهو يرى في نظريته الحفاظ على البنية الأبوية القائمة والدفاع عن مكوناتها الأيديولوجية ومبادئها، ولكنه في مقالاته الثلاثة ثلاثة اوراق حول نظرية الجنسية ١٩٠٥ طرح مفهوم فطرية ثنائية الميل الجنسي كمدخل لفهم المثلية الجنسية وأن جميع البشر برأيه يولدون بميل جنسي ثنائي وأن ذلك الميل الثنائي يتحول لميل أحادي في إطار تنشئة الفرد بينما يتحول الميل الجنسي الثنائي لحالة كامنة بداخله، وان الميل الجنسي المثلي ينتج عن صدمات نفسية قد يتعرض لها الفرد اثناء حياته، ولكن مع هذا فإنه يرى عدم وجود نمط ثابت وواحد للشخصية الجنسية كما ظهر في (أوديب والكتر) Oedipus complex

لقد ظهرت تيارات متعددة خاصة في ثلاثينيات القرن الماضي تدعو الى

الجنسية من خلال تعريف المثلية الجنسية والسلوك المثلي كمرض طبيًا، بدأ المختصون في علم الاجتماع والنفس الكتابة لتحليل وفهم المثلية الجنسية كسلوك وفهم كارل اولريتش (Karl Ulrichs 1895-1825) أول نظرية علمية للجنسانية وعد الجنسية أنها جزء من الطبيعة الإنسانية التي يولد بها الفرد، وان الرجل ينطلق من فكرة أنه يحمل عقل الأنثى التي تميل الى الرجال وان الاشخاص الذين يحملون صفة الانوثة والذكورة وهي من القواعد الطبيعية، ولكن رغم ذلك هناك بعض الاستثناء وان الاشخاص الذين يحملون الاعضاء الجنسية الذكورية يميل الى النساء ولكن برأيه هناك بعض الاستثناءات وان العقل هو الذي يحدد الانجذاب الجنسي وليس شكل الاعضاء الجنسية او التكوين الجسدي فهو يرى فهو يرى ايضاً أن الرجل الذي ينجذب للرجال يحمل عقل.

المساواة بين الرجل والمرأة والنظر في  
المواقف المقيدة للنساء اجتماعياً والتي  
تؤثر على نموهن واخراجها من البيت  
واعطائها فرصة للتصويت والترشح  
في الانتخابات واعطائهن حقوقهن  
كاملة اسوة بالرجل ومن ابرز من  
نادى بهذا الاتجاه الفيلسوفة الامريكية  
(جيسي تافت - Jessie Taft 1960-  
1882) والتي طورت نظرية اجتماعية،  
فهي تقول انه ينبغي ان تكون النساء  
منغمسات في ثقافة تتوقع منهن ان  
يكن مشاركات او فاعلات منذ  
صغرن (Jho. R). وفي تلك انتجت  
الكثير من الابحاث من قبل علماء  
النفس والاجتماع حول الفروق  
الجنسية بين الرجال والنساء بيولوجياً  
ونفسياً واجتماعياً والمقصود به الدور  
الرجولي والنسائي (Sex Role)  
وأصبحت هذه البحوث تؤثر في  
مجالات البحث الاكاديمي.

بعد سقوط الامبراطوريات  
العديدة بعد الحرب العالمية الثانية

كالمانيا وايطاليا واليابان وظهور قوى  
عظمى مارقة تعتقد بأن كل الموجود  
على الكرة الارضية ينبغي ان يكون  
تحت سيطرتها (القوى الوحيدة  
العظمى) الولايات المتحدة الامريكية  
وظهور تكتل ادبي، بدأت هذه الدول  
بالبحث عن الوسائل المختلفة  
للسيطرة على شعوب الدول النامية،  
فبدأت تستخدم وسائل لا اخلاقية  
كالقوة العسكرية المتطرفة او استخدام  
اسلحة محرمة دولياً كاليورانيوم  
المنضب الذي استخدم في العراق  
وافغانستان وغيرها من الدول، من  
هنا بدأ السقوط الاخلاقي فأخذوا  
ببحوث عن فلسفات وراء نظرية تبيح  
المحظورات، فهذا جون بول سارتر  
نشر في كتب ومقالات عديدة على  
الحرية المطلقة للفرد وعدم وجود  
خالق وسميت نظريته بالوجودية  
يقول سارتر (ان وجود الانسان هو  
الاصل وليس قبل وجوده الا العدم)  
وهي البداية التي ظهرت في اوربا من

انكار كل شيء والايان بالحرية المطلقة للفرد والحرية الشخصية في قانون حقوق الانسان والذي الغى المواثيق والاتفاقات الدولية في حقوق الانسان والمرأة تحديداً والذي نفى هذه الحقوق في الدين الاسلامي.

نادى جون بول سارتر (١٩٠٥-١٩٨٠) وزميله جون دي بوفوار في كتابهما الى ان الانسان بحاجة الى الحرية الكاملة بالاضافة الى المسؤولية الكاملة امام نفسه وامام الآخرين، اما الكاتبة والمفكرة الفرنسية سيمون دي بوفوار (١٩٠٨-١٩٨٦) فكانت شاذة ومنحرفة تبنت احدى الفتيات ومارست معها الجنس، اشتغلت فترة في التدريس بالمدرسة وبعد ورود شكاوي عن اخلاقها السيئة وتحرشها بالفتيات منعت عن التدريس عام ١٩٤٣، اهم نتائجها كتاب (الجنس الثاني) The Second Sex عام ١٩٤٩، وكانت تعد الرجل الخصم اللدود لها وللمرأة، وقالت في كتاباتها

(ان الامومة خرافة ولا يوجد هناك غريزة الامومة وانها ثقافة المجتمع هي التي تضع هذه الغريزة وفي عرف الرجال انه شيء مذكر، فهو يمثل الجنس الانساني، اما المرأة فهي الجنس الاخر)، وتقول ايضاً (حتى اتفه الرجال واكثرهم حناكة يرون انفسهم شبه آله امام أية امرأة) (دي بوفوار ١٧٩٧) وهي بذلك اسست لفكر مضاد للدين والذكورة وأعطت المرأة الحرية المطلقة تمارس مختلف الانشطة والأعمال حتى اللااخلاقية منها وبإمكانها الزواج من امرأة، كما فعلت عند ممارستها الجنس مع الفتاة التي تبنتها وتعد هذه مرحلة متقدمة من السقوط الاخلاقي، حيث أصبح لها اتباع هي و(سارتر) سموا بالوجوديين نسبة الى الفلسفة الوجودية التي لا تعترف بالاديان والقيم الاجتماعية للمجتمع واصبح لهذه الحركة قوة بدأت تؤثر على رؤساء الدول الاوربية وامريكا حتى وصلوا الى نشر هذا



وقد وضعت فرضياته ونظرياته على شكل قواعد وقوانين رغم انها ضد الأطفال وجرائم ضد الطبيعة الانسانية، الا ان مؤسسات اقتصادية ضخمة اخذت تضخ الاموال الهائلة من اجل اجبار أو اقناع رؤساء الدول والمؤسسات الاعلامية والمتنفذين في العالم الغربي من اجل نشر هذه النظرية الفوضوية وعملوا لها معاهد ومناهج دراسية تدرس في مدارس التعليم الاساسي صعوداً الى الجامعة هدفها تفكيك الأسرة والمجتمع وهدم كل ما هو اخلاق وقيم انسانية ومن ابرز الداعمين لنشر هذه الافكار (عائلة روكفلر اليهودية) التي تؤسس للدولة العالمية الواحدة (حكومة العالم الخفية)، وايضاً اسرائيل التي لا تسمح بنشر فكرة الجنـدرة أو المثلية في داخل الكيان الصهيوني وتسهم بنشرها على المستوى العالمي وهي تحاول اليوم بنشرها في البلاد الاسلامية، إذاً (مكنزي) يعد الأب الروحي

المفهوم في اروقة الامم المتحدة حتى اصدر القرار الاخير المشؤم الذي يعترف بمفهوم أو مصطلح النوع الاجتماعي (الجنـدرة) وقد تم تكريم سارتر من قبل جامعة اورشليم العبرية بمنحه عام ١٩٧٦ شهادة الدكتوراه، في عام ١٩٥٦ قام (الفرد جالرس كنزي) بعدة تجارب على البشر وكان مختلاً عقلياً في جامعة جون هوب هكنز على مجموعة من الأطفال بمختلف الاعمار من الذكور والاناث بممارسة الجنس مع بعضهم وكانت تجربة مرعبة ومخيفة، فيها صراخ ومحاولات هروب من التجربة فكان يدفع الأولاد ممارسة الجنس مع الأولاد والاناث مع الاناث والكبار مع الصغار والذكور مع الاناث وهكذا من اجل اخراج نظرية الجنـدرة فكان يرى ان (الطفل شهوانياً ولا يتضرر بزنا المحارم) فهو يرى بأنك لست ذكر وانت لست انثى، ويرى ايضاً بأن السلوك المثلي سلوك عادي.

والنظريات واثبت بطلانها، ولكن التيار الشاذ اقوى من كل الاصوات القليلة، نجد ان الكثير من المؤسسات الاجتماعية والتربوية المؤطرة باطار انساني تدعو الى تعليم وتدريب الأطفال تحت سن الثامنة على الاستخدام الامن لممارسات الجنسية في المدارس والمؤسسات التربوية الاخرى المعنية بالتربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية، وهذا الرئيس (اوباما) الرئيس الامريكى دعى في احدى خطبة الى تعليم الأطفال الثقافة الجنسية امام الكثير من دعاة المثلية الجنسية والجنسانية ودعى الى تعليم وتدريب الأطفال بصورة عملية لمثل هذه الممارسات، حتى ان الكثير من هذه المؤسسات تشجع الفتيات دون سن الثامنة لممارسة الجنس الامن باستخدام طرق مختلفة تدربوا عليها والتثقيف على ممارسة العادة السرية.

والمؤسس لفكرة الجنندرة، يقول ان الأطفال بمساعدة الكبار من اصحاب الخبرة يمكنهم ان يستمتعوا بالأفعال الجنسية منذ ولادتهم وكان (مكنزي) يستند في نظريته بالإضافة الى التجارب التي قام بها الدكتور (غرين) مغتصب الأطفال الذي كان يزود (مكنزي) بالبيانات والمعلومات عن النشاطات الجنسية للأطفال الذين يعتدي عليهم، وكان للقائد العسكري النازي (بيدوفيل) الذي كان يعتدي على الأطفال الهولنديين المحتله وكان يدعي بانه تحرش وليس اعتداء، فقد اعتمد مكنزي على مجموعة البيانات التي احتفظ بها (بيدوفيل).

رغم كل ما قدموه المهوسون بالجنس والشواذ والذين يحاول طمس الحقائق ونشر الافتراء والاكاذيب التي يدعون بانها علمية، ظهر الكثير من المؤسسات البحثية ومؤسسات المجتمع المدني في امريكا والغرب قد دحظت هذه الافكار والمبادئ

## تطور حركة المثليين والجنـدرة (النسوية)

ما حدث من ممارسات خاطئة وظهور تيارات تدعوا الى المثلية الجنسية وتحرير المرأة، وظهور النسوية كحركة ايدولوجية تبناها الكثير من السياسيين الكبار في الولايات المتحدة مع حركة المثليين ادى الى توجيه الكثير من المهتمين بالجنوسة (الجنـدر) والمثلية بحجب واهية كالتحرر وتحرير المرأة والديمقراطية غير المنضبطة والتي لا تؤمن بالأسرة والاتجاه الى الشذوذ واشباع الرغبات الجنسية بطرق مخالفة للطبيعة الانسانية وخلق الله سبحانه وتعالى، ظهر جيل جديد في سبعينيات القرن العشرين من المنظرين والمنظرات المتحررين من كل شيء من القيود الاجتماعية والأسرة والدعوة الى تماسك المجتمع وانهم قد يكونون أولاد غير شرعيين لذلك اثرت في اتجاهاتهم واصبح تيارهم اقوى من التيار الاجتماعي المحافظ لتكوين

الأسرة والعلاقة بين الرجل والمرأة والبدء في تكوين استراتيجية بدأت ترسخ بين أوساط الشباب من الذكور والاناث واصبحت نظرية الجنـدر استراتيجية، فارتفع نسبة البحوث حول الادوار الجنـدرية/ الجنسية ارتفع من ٥, ٠٪ من نسبة المقالات المنشورة في مجلات علم الاجتماع سنة ١٩٦٩ الى ١٠٪ سنة ١٩٧٨ (Connell, 1987) وفي عام ١٩٧٥ انشأت مجلة بحثية بعنوان (الادوار الجنسية/ الجنـدرية) وانقسمت الابحاث الى قسمين هما:

١. المجال المهتم ببحث التنشئة الاجتماعية للفرد، ويعد (جوزيف بليك) من اهم من اهتم في هذا مجال الرجولة، حيث بحث وحلل وانتقد الكتابات البحثية الكاملة حول دور الذكور منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر حدد مكونات نموذج (الدور الاجتماعي للذكور) وانتقد الكثير من التظليل الملاحظ في البيانات

التقليدي حتى يصبحوا أكثر حساسية  
(Page, 1999).

شكلت نظرية الأدوار الاجتماعية  
مركزاً أساسياً للإصلاح النسوي  
الذي قدمته الدول، فبدأت بكتابة  
تقارير تستهدف رصد وتحليل أوضاع  
الفتيات في التعليم والعمل والصحة  
والاقتصاد وغيرها من المجالات  
التنموية وإيجاد الحلول لها وأكدت على  
أهمية المدارس والمناهج في نشر مفاهيم  
وقيم تساعد في تكوين وعي الأفراد  
وعلاقة الأدوار الجنسية بتنشئة  
المعلمين، وتطوير التحليلات المرتبطة  
بالجنس والنظام الجنسدي، والأشكال  
المختلفة بين الانوثة والذكورة وتبنت  
الحركات النسوية الأكثر تحرراً اتجاه  
يتخطى الأدوار الجنسية (الجنسدية)  
فقد قامت الكثير من المجموعات  
النسوية بتقديم مفهوم اضطهاد النساء  
باعتباره نتيجة لامتلاك الرجل سلطة  
على النساء ومن أجل تحرير النساء  
لابد من تحدي وكسر تلك السلطة،

والتفسيرات المتلوية في أغلب  
الأبحاث والتي ينتج عنها نتائج  
مغلوبة وذكورية ومعادية للمثلية  
الجنسية ومنحازة طبقيّاً واقترح  
نموذجاً (للأدوار الجنسية) كنظرية  
جديدة انتقد فيها الباحثين  
السوسيويولوجيين الزاعمين بأن  
عنف الذكور هو ميل متأصل فيهم  
بيولوجياً (Pleck, 1981).

٢. العلاج النفسي المرتبط بالتعديل  
الجنسدي، بمعنى تعديل بعض  
السلوكيات المرتبطة بجنس معين، مثل  
تبعية النساء وعدم قدرتهن عن التعبير  
عن ذاتهن والعنف وتبلد المشاعر عند  
الرجال، تمت العلاجات من خلال  
تدريبات على التعبير للنساء وهو نوع  
من أنواع العلاج السلوكي، الذي  
يساعد النساء على التعبير عن أنفسهن  
وتفضيلاتهن (Marsha & Egan, 1979)  
(وعلاج نفسي للرجولة) في  
نفس الوقت وكان التركيز على العلاج  
الرجولي لكسر الدور الرجولي

ولم يلقى هذا التحليل قبولاً واسعاً في الأوساط الأكاديمية بينما تم تبنيه وتطويره في الحركات الاجتماعية (genderiyya. xyz).

وهكذا استمرت الكتابات وتحليل البحوث وانتقاد سلطة الرجل على المرأة ودور خط التحليل المرتبط بالسياسات والاقتصاد ومحاولة ارساء نظام اقتصادي مجندر مبني على الاستغلال والتحكم والسيطرة والنضال الاجتماعي، فقد ظهرت حركات مضادة للأسرة النووية من منظري حركة تحرر المثليين والذي اكدوا على ان الغالبية العظمى من البشر هم بالطبيعة مغايرين جنسياً ورفعوا شعاراً (كل رجل مغاير هو هدف لتحرر المثليين) وقد تبع الكثير من الباحثين هذا الخط ومنهم (جنيس التمان) يهودي في استراليا في كتابه عن المثليين (Homosexuality oppression and Liberation) قدم فيه قهر وتحرر اضطهاد المثليين

باعتباره ممارسة تمثل جزء من نظام اجتماعي سلطوي اكبر وربطه مع اضطهاد النساء وهو أول من كتب واهتم في كتابه (Homosexual) (Altman, 1972) بالمثلية الجنسية. وفي بدايات حركة تحرير المثليين رأى بعض المنظرين ان الذكور المثليين قد حادوا أو ابتعدوا عن الرجولة ولكن هذا التفسير أقل مصداقية مع انتشار المثلية الرجولية وهكذا تراكت الكتابات والدعوات والمنظمات والسياسيين الداعمين للمثلية الى ان اصدرت الامم المتحدة قراراً يدعو ان للمثليين في التشريعات المحلية والدولية الحق ولهم ان ينظموا قوانين تنظم حقهم في زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة.

تعد مدينة سان فرانسيسكو من المدن المشهورة بالشذوذ الجنسي عند الذكور، وهناك جماعات تدعى (البيدوفيلين) لا زالت تعمل في امريكا وتدعو الى اعتماد المثلية الجنسية

نظرية طبقها عملياً على الطفل (بروس) فهو يرى بان الناس يولدون محايدين جنسياً وان الثقافة والتربية والمجتمع هو الذي يحدد سلوكهما ذكر ام انثى وقد تبع في افكاره لـ (كنزي) وطور نظريته الجندر (النوع الاجتماعي) للدلالة على الهوية الجنسية وان الأطفال يولدون بدون جنس، فاليئة الاجتماعية هي التي تحدد الهوية الجنسية وتعطي جنس الطفل والدور من خلال معاملة الأسرة والمجتمع على ان هذا ذكر وتلك انثى وان الجهاز البيولوجي (الذكورة والانوثة) ما هو الا تشريح للجهاز التناسلي ولا علاقة له بخصائص الفرد (الطفل) الجنسية.

في عام ١٩٦٥ ولد الأطفال بروس وبرلين في كندا وذهبوا الى ختان اطفالهم ومن سوء حظ (بروس) بانه فقد عضوه الذكري فشاءت الاقدار لان يقعوا فريسة بيد الشيطان جون موني وريث مكثري والمنحرف حاول

حجزه من التكوين الاجتماعي ولديها مجلات ورواد واتباع تسعى لنشر الجندرة والشذوذ، إذ يعتقدون بان الأطفال لا يتضررون من الممارسات الجنسية، وهذه الجماعة على صوتهم في امريكا وتغلغلوا في الجهات العليا الامريكية لنشر الرذيلة والشذوذ وزنا المحارم وغيرها من الممارسات اللاأخلاقية وفعلاً بدأت الكثير من المدارس في بعض الولايات تعليم الأطفال وتعليمهم عملياً على كيفية ممارسة الجنس.

يعد (جون موني John Money، 1921 - 2006) الأب الروحي لنشر مفهوم الشذوذ والجندرة، فهو عالم نفس امريكي يعمل في جامعة هوبكنز الامريكية، وهو يتبع الفلسفة الوجودية لسارتر إذ يعتقد (ان فكرة حرية المرأة والوجودية كفلسفة للحياة توجه بصورة عملية). فقد استفاد من ابحاث (كنزي) وبدأ بيلور فكرة الجندرة والشذوذ وصاغها على شكل



ويلعب مع الذكور وكانت تتباهى حالات من الهستيريا والانفعال الشديد بسبب الوضع النفسي الجديد الذي لا يتناسب مع وضعه البيولوجي الاصيل، وكان (موني) لإتمام تجربته كان يجمع الاخوين (بروس وبريان) ويطلب منهم خلع ملابسها حتى يتعرف كل واحد منهما على جنس الاخر من خلال مشاهدة الاعضاء التناسلية محاولاً في ذلك تحويل الهوية الجنسية بالتربية والتنشئة الاجتماعية التي تقوم عليها نظريته وكانت النتائج تأتي معكوسة حيث أصيب (بروس) بالاكتئاب واخبر والده بأنه سيتحرر لو اجبر على لقاء (جون موني) ثانية واستمر بالرفض واخذ يمارس نشاطه الطفولي على انه ذكر وهذه الطبيعة الحقيقية للخلق رافضاً نظرية التنشئة اهم الطبيعة (نظرية موني) (Nature more important than Naturey) (فالذكر ينشأ بالطبيعة أو الجانب

ان يقنع والد الطفل بان الطفل يولد ويمكن تحديد جنس الطفل وانه من الممكن تحويل جنس بروس وتحويله الى فتاة وفعلاً اقتنع الوالدان بهذه الفكرة، فبدأ موني بتجربته الشهيرة التي نشرت في كتابه (البائس) (man & women, Boy & Girl) وقد استطاع موني باستئصال العضو الذكري (لبروس) واطلق عليه اسم (بريندا) فكان يقنع عائلة الطفل بإمكانية تعديل جنسه بحسب البيئة الاجتماعية، وهكذا تم تحويل بروس من ذكر الى انثى، كان موني يهدف الى التأكد من الفكرة التي يؤمن بها ويحاول تطبيقها على عائلة (بروس) فقد اجريت عمليات تحويل جنسي (لبروس) وتم تحويل عضوه الذكري الى انثوي وتم تغيير اسمه الى (بريندا) الا ان بروس كان يرفض ممارسات البنات كلبس ملابس الفتيات ومعاملة الوالدين على انه انثى (بريندا) وكان يتصرف على انه ذكر

الالهية بأبعاده المختلفة وشكله وتكوينه في كل الجوانب النفسية والجسدية والعقلية والانفعالية والعاطفية والادراكية وغيرها، فالتكوين والتربية السليمة هو استجابة لحدود وقوانين التكوين الالهية للخلق، في قوله تعالى عندما عصى الشيطان الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا مُرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خَسِرَانًا مُبِينًا﴾ (النساء: ١١٩) وأول من الله هو ابليس وهو مخرث انه يغير خلق الله ووضع الشيء في غير وضعه لعن الله الذي اتبع هواه من الرجال والنساء وحول جنسه من الانوثة الى الذكور وبالعكس.

وبالعودة الى (موني) (وبروس) واللعب التي قام بلعبها (موني) وحاول التكتم على الكثير من اسرار التجربة ومحاولة اثبات نظريته بأساليب ملتوية فقد كان يتبجح وينشر المقالات تلو المقالات حول

البيولوجي والتنشئة تعطيه الهوية الذكورية وهكذا للفتاة فكان الطفل بروس يعيش مأساة في المدرسة وينظرون اليه وكأن مسخ ومهرج ولا يسمح له بدخول حمام الفتيات والذكور وكان يتبول خارج المدرسة، وقد ذكر القرآن آيات عديدة انكاراً للفعل الشاذ لقوم لوط واليوم للجنردة أو المثلية الجنسية بقوله تعالى ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ \* وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (الشعراء: ١٦٥-١٦٦). فتغير خلق الله من المحرمات والتي لا يمكن ان يكتب لها النجاح، لان فطرة الله لا يمكن تغييرها في قوله سبحانه وتعالى ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠) محاولة (موني) المسخ تغير خلق الله لن يكتب لها النجاح وستعرض تلك المجمعات الى الهلاك كما حدث لقوم لوط، فالفطرة الانسانية هي خلق الانسانية وتكوينها

علمية تثبت كذبة موني في الجنردة  
وبإمكانه تحويل الانسان وتغير هويته  
الجنسية.

لقد اثرت تجارب (موني) على  
الطفلين وتركت اثار نفسية سيئة  
اصيبا على اثرها بالهلع، فقد انتحر  
(براين) بسبب المأساة التي واجهت  
اخيه وتأثرت علاقة الاخر بزوجه  
وانتحر (ديفيد) هو الآخر.

لقد نجح جون موني في التأسيس  
لنظريته ونشرها في الأوساط العلمية  
رغم كذبه واسس قسم لعلم  
الاجتماع، وكذبت (اوبرا) في مقابلات  
شخصية تلفزيونية مع متحولين  
وشواذ جنسياً كذبت موني عام  
٢٠٠٠، ورغم ذلك فقد اصبح علم  
يدرس ولم يعاقب موني بل تمت  
مكافئته واتهم الوالدان (موني)  
بانتحار أولادهما وهم المسبب في  
ذلك، وهلك موني عام ٢٠٠٦ الى  
جهنم وبئس المصير انه من شياطين

نظريته ولكنها في الاخير باءت  
بالفشل العلمي ولكنه نجح في ادخالها  
في عقول المرضى والحاquدين على  
الأسرة والانسانية وانتشرت هشيم  
النار في أوساط الشباب والكبار  
الامريكيين. ذهب (بروس) الى  
المستشفى واعلن بانه سينتحر من على  
سطح المستشفى إذا استمرت التربة  
مع (موني). واخبراً وبعد صراع مرير  
عاناه (بروس) اعترفت الأسرة  
(لبروس) بسن (١٤) بانه ذكر وكانت  
الام مخطئة واخذت تكره نفسها،  
حيث تم زراعة عضو ذكري  
(لبروس) وعاد الى طبيعته الانسانية  
وتم ازالة الثديين الذين تكونا بسبب  
الهرمونات وسما اسمه ديفيد ريمر  
(Daived Remer) واعيد ديفيد  
حاليه الانسانية لطبيعته وهويته  
الذكورية وتزوج من امرأة تدعى (جين  
فونتان) عام ١٩٩٠ وعاشا حياة  
زوجية كذكر وانثى وفي عام ١٩٩٧  
نشر الكاتب جون كلنغتون أوراق

٢. المؤتمر العالمي الثاني الذي انعقد في كوبنهاغن عام ١٩٨٠.

٣. مؤتمر عقد في نابروبي عام ١٩٨٥ اكد على المساوات بين الرجل والمرأة على الصعيد الدستوري والقضائي وفي صنع القرار.

٤. مؤتمر القاهرة الذي انعقد عام ١٩٩٤ وظهر لأول مرة مصطلح الجندر على شكل وثيقة للمساواة بين الرجل والمرأة وهي محاولة تغيير صورة رواد هذا المفهوم بعد ان فشل في العالم الاسلامي وحدد باسم اخر (النوع الاجتماعي).

٥. وفي بكين ١٩٩٥ عقد مؤتمر صدرت منه الوثيقة النسوية المتطرفة وقعت عليه ١٨٩ دولة بإعلان تمكين المرأة ومساواتها بالرجل وتمحور في (١٢) بنداً كلها تخص المرأة.

لقد رصد حيتان الرأسالية (ابطال الجندر) ومنهم الصهاينة والماسونية العالمية الملايين من الدولارات من

الانس وصنعه مدمر للبشرية التب بدأت تقطف ثمار نظرية موني الفاشلة، وبدأت شيئاً فشيئاً هذه النظرية تدخل عالمنا العربي والاسلامي بعناوين براقة وقد اقيمت دورات لتدريب متدربين لنشر هذا المفهوم (النوع الاجتماعي) وبالتعاون مع (أيركس) من معلمين وتقام ورش تدريبية تحت مسميات مختلفة والهدف واحد واصدار دليل مرجعي لتثبيت هذه المصطلحات والمفاهيم الاساسية للجندرة ومنحت شهادات في الدكتوراه في الجندرة فضلاً عن عقد مؤتمرات دولية من أجل نشر وتثبيت هذه المفاهيم نذكر منها:

١. المؤتمر العالمي الذي عقد عام ١٩٧٥ في مكسيكو ستي دعا فيه الى المساواة بين الرجل والمرأة ودعا الى تطبيق هذا المؤتمر عملياً، والذي عقد في المكسيك وتم الاتفاق على ثلاثة محاور رئيسية هي المساواة في التعليم وفرص العمل والخدمات العلمية.

اجل نشر وتثبيت هذا المفهوم باستخدام النظام المشوش والتوجيه الاعلامي المحترف مقابل ملايين الدولارات لبيع مجتمعاتهم والأسرة في العالم والاديان السماوية وقيمهم الاخلاقية، ان كان هناك مستقبل لبلدانهم والمجتمعات الانسانية العالمية واهلاك طبيعة الناس واصبحوا مندوبين لبيع الفضلات الجنسية والفكرية للجنرد. لكن الارادة الالهية اقوى من كل هذه الافكار المضللة والمسيئة والتي تستهدف الشريعة الاسلامية الحققة، لا بلدانهم قد سقطت منذ زمن والله سبحانه وتعالى يرد عليهم في قوله ﴿يَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الانفال: ٣٠). والمتتبع لأصل من يحاول نشر هذه الفكرة تجده اما يهودي منحرف يكتب كتابات من اجل (حكومة العالم الخفية) أو من المرضى نفسياً والشاذين أو المعتدى عليهم جنسياً والذين يريدون في كتاباتهم التعبير عن

اسقاطات أو ارهاصات تعرضوا لها في تربيتهم والتي لم تكن في عائلة منسجمة ولا يعرفون ابائهم. ان الدين الاسلامي والشريعة السمحاء هي دين التوازن الطبيعي بكل اشكاله وتنوعه، انسان حيوان نبات وحتى الحجر خلقهم الله سبحانه وتعالى بشكل متوازن لا يسمح بالإخلال بهذا التوازن الذي يؤثر على حركة البشر والكون برمته وان غضب الله آت ولا يمكن لأي قوة ان تردده، وما نراه من كوارث طبيعية بعيدة عن سيطرة البشر رغم التكنولوجيا (هزات ارضية، زلازل، تغير في المناخ، شحة في المياه (الجفاف)... الخ) تفنى مدن وتدمرها بلحظات أو رمش العين ولا يستطيع هذا المخلوق العاجز ان يقف امام ارادة الله سبحانه وتعالى وان الله واجب الوجود. الم يكن الكفار والشواذ في قارات

وحماية حقوق الشذوذ والسعي لقبولهم في المجتمع (genderspeak) اما الحركة النسوية وبعد الستينيات من القرن الماضي نادت بشعار مؤداه ان المرأة تمتلك جسدها وهذه الدعوة تقتضي الدعوة للإباحية الجنسية، وقد خلقت هذه الظاهرة امهات غير متزوجات والتبرج الشديد والتعري (Shook, 2010)، اما قانون سيداو فجاء هذا المصطلح في المادة الخامسة من القانون، طالبت هذه المادة بتغيير الانماط الاجتماعية والثقافية لدور كل من الرجل والمرأة بهدف تحقيق القضاء على التحيزات والعادات العرفية، صدر من الامم المتحدة في تموز من عام ٢٠١٠ تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة تشكيل وكالة جديدة للأمم المتحدة للنساء وتدعى (كيان الامم المتحدة للمساواة بين الجنسين وتمكين النساء) أو اختصاراً (الامم المتحدة للنساء) وبدأ عمل الوكالة ٢٠١١.

العالم وبلدان كثيرة يبحثون عن نشر البلاء والابتلاء وهو علة الوجود والانسان المؤمن بالله مطالب بتسخير قدراته لنشر الفضيلة والنجاح وتجاوز المكر السيء والذي يغير طبيعة الله ووجوده في الكون، إذ ليس من الهين كما يدعي اصحاب نظرية (الجنדר والمثلية الجنسية) ان يكون الجندر هوية الانسان والمجتمع، فقد بني اصحاب هذه النظرية افتراضات واهية منافية لطبيعة الخلق الانساني وتحت ارادات اجتماعية واقتصادية وسياسية واستعمار لعقول الناس تحت ظروف معينة على التكوين الفيزيولوجي للإنسان الطبيعي لبحوث مهلهلة من اناس تلبسهم الشيطان لا علاقة لها بحرية المرأة والرجل أو التربية والتنشئة الاجتماعية والنظر الى قيمة كل من الذكر والانثى نظرة اخلاقية.

اعترفت الامم المتحدة في تقرير اعدته لجنة المرأة التابعة للأمم المتحدة عام ٢٠٠٤ اعترافاً رسمياً بالشذوذ



## النظريات والاتجاهات الحديثة في الحياة الجنسية للإنسان

ان ظهور افكار انسانية وعلى مد التاريخ تغلفت بأغلفه متعددة منها التطور العلمي والتكنولوجي ومنها انساني واجتماعي ومنها طبيعة المراحل التي تطور فيها الانسان، وفي الاعم الاغلب ان اغلب هذه النظريات والاتجاهات ظهرت على يد منحرفين وشواذ جنسياً قد يكون اظهار هذه النظرية أو تلك هو اشباع للرغبات والحاجات والعقد التي كان يعاني منها اصحاب هذه النظريات أو ان بعظها ميسس وراءه دوافع سياسية واقتصادية ويتبنى هذا الاتجاه منظمات أو مؤسسات. يهودية أو الماسونية التي تسعى لتخريب النظام الاجتماعي لدول العالم، فمثلاً (بروتوكوت حكماء صهيون) لم تنشر بالصورة التي يتوقع منها وما نشر منها في مطابع خاصة تعمل لنشر الدعوة ولا تعمل لأرباح البيع والشراء (ليفين) وقد

عقد زعماء الصهيونية عقدوا ثلاثة وعشرين مؤتمراً منذ عام ١٨٩٧ وكان اخرها المؤتمر الذي عقد في القدس في ١٤ اب ١٩٥١ للبحث في مسائل كثيرة منها ما تخص احتلال فلسطين والخطط الموضوعة بهذا الاتجاه واخرى تتعلق بهذا الموضوع، المهم ان حوالي ٠٠ من اعلى حكماء صهيون اجتمعوا في مدينة بال السويسرية عام ١٨٩٧ وكانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية وقرروا في خطتهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود ولهم اصابع (الماسونية) في قيادة العالم تحت مسمى (جكومة العالم الخفية) وهذا اقتضى اتخاذ: -

١. الحروب المحلية والداخلية وقتل الكثير من الناس.

٢. نشر الكثير من الامراض لتدمير البشرية، ومنها (كرونا، والسارس، والانفلونزا بأشكالها.

٣. الحروب العالمية (الحربين

الجنسية الذي يسمح بزواج الرجل من الرجل والمرأة من المرأة وقانون الجندرة الذي ينبغي وجود الهوية الجنسية للانسان المولود، ويعدها اجتماعية وبإمكان المرأة ان تصبح رجل والرجل يصبح امرأة وكما مر بنا من تجارب (كنزي وموني). وقد ظهرت احدى وثائق حكماء صهيون وهي مؤامرة عالمية مشؤومة هو جر العالم الى التفكك والاغلال المحتوم (ليفين، ٢٠١٧: ص ١١).

ان التيارات والنظريات التي ستتكلّم عنها لاحقاً والتي حدثت في العصر الحديث عصر التكنولوجيا الذي اطلق الحريات على مصراعيها لاسباب تكون سياسية، اقتصادية، أو انها جاءت من جملة معطيات العلوم الحديثة والتي عمل عليها الكثير من المنظرين الشاذين وهو انعكاس لشخصياتهم وانها اصبحت مبالغ فيها من خلال الاموال الطائلة التي تصرف من اجل نشر ثقافة الجندرة من

العالمية الأولى والثانية، والحرب الحالية بين روسيا واوكرانيا وحروب فيتنام والكوريتين) وغيرها من الحروب، فقد قال (الصهيوني سيبكار ذو بلوزول) في مؤتمر عام ١٩١٣ تستطيع الماسونية ان تفتخر بانها صنعت الثورة الفرنسية.

٤. تدمير الاسلام باسم الاسلام من البدع الاخيرة (الدولة الاسلامية) المتمثلة بداعش واخواتها والتي دمرت العراق بشراً واقتصادياً كذلك افغانستان وسوريا والان الحرب الداخلية في السودان وليبيا وقد تكون هناك دول اخرى مرشحة لهذا التدمير وخاصة الاسلامية منها.

٥. اخيراً وليس اخراً البدع الشاذة في اصدار الامم المتحدة لقرارات لفعل الضغط من قبل الصهيونية على متخذي القرارات في الامم المتحدة وانها قرارات (سيداو الذي يعطي الحرية المطلقة للمرأة... وقانون المثلية

والسلوكيات الذكورية والانثوية حسبما يشاء.

٢. نظرية تنقض تكامل الذكر والانثى في الحياة كما تقتضيه الفطرة الانسانية بادعاء ان الميول الشاذة (المماثلة) هي ميول طبيعية وان الاقتران الشاذ بالمماثل يمثل خياراً للزواج على زواج الذكر والانثى (السيستاني).

لقد استندت هذه النظريات على نتائج تدعى بالعملية لكل الوجودية (دي بوفوار) و(كنزي) و(جون موني) وما تلاه من نتائج بحوث والتي اطلقت العنان للمرأة والرجل بالتصرف بالهوية الجنسية واختيار ما يفكر به الرجل والمرأة من نوع الجنس الذي يختاره وان لا اثر للطبيعة أو خلق الله في التكوين، والخلق، وانكار الجانب البيولوجي والمهرموني والتأكيد على التربية الدينية بادعائهم بانها هي التي تكون الهوية الجنسية، فأصبحت

خلال وسائل اعلام ضخمة ومعروفة التأثير على الناس وان زعيم اكبر دولة في العالم الرئيس الامريكي بايدن يظهر امام مجموعة من الشواذ وخلفه علم المثليين، وهذا التسويق الضخم هو انتكاسة للطبيعة الانسانية وللخلق وهي تنكر لأبسط مبادئ حقوق الانسان في الحياة والحرية والتشارك بين الرجل والمرأة في مسألة تكوين الأسرة والانجاب. والنظريات هي:

١. نظرية محور معنى الذكورة والانوثة: فإذا رأى الذكر جسدياً أنه انثى كانت هويته الجنسية انثى سواء احتفظ بخصائصه الجسدية الذكورية ام سعى الى تغييرها، فله ان يتأنث ويظهر ويتصرف ويتزوج كأثنى تماماً ويكون بين الاناث في اجماعهن وعلى الأسرة والمجتمع ان يتقبله ويتعامل معه رغم خصائصه الذكورية وهكذا الحال مع الانثى، بل يجوز ان يختار الشخص ان ذكرًا أو انثى في آن واحد. أو يكون حالة وسطى بمزيج من المظاهر

زواج الذكور بالذكور والاناث بالإناث وتغير جنس الانسان امراً قانونياً، وان على الدول تعديل قوانينها ليتماشى مع القانون الدول ومسايرة قوانين التي تدعو الى الشذوذ، حتى ان الكنيسة التي تقوم بإجراء الزواج هي الاخرى عدلت من قوانينها وأصبحت تسمح بإجراء الزواج المثلي في اروقة الكنائس، لا بل ان بعض كبار القساوة انحرفوا جنسياً وكذلك المعابد اليهودية وبدأوا بتطبيق الجندرة والمثلية الجنسية، ولم يعد المثليين والمتحولين جنسياً جريمة يعاقب عليها القوانين بعد اليوم، لا بل ان من يصرح أو يتكلم أو ينشر كلاماً خلافاً لذلك يحاسب ويحال الى القضاء وقد يعاقب بعقوبات شديدة وقد ينبذ من المجتمع ويحارب نفسياً، فالرئيس الامريكي (بايدن) ومن على منصته الرسمية اعلن للعالم اجمع بشرى اصدار تشريعات جديدة تحمي الحريات الشاذة في امريكا والغرب

خيارات مقبولة في امريكا والدول الاوربية بحيث ان الامم المتحدة تدخلت في بنود وثيقة الامم المتحدة في حقوق المثليين والمثليات تحت عنوان (الناس يولدون احراراً ومتساويين الميل الجنسي والهوية الجنسية في القانون الدولي) في ١ اب ٢٠١٢ جاء في مقدمة الوثيقة بقلم (نافي بيلاي) مفوضة الامم المتحدة السامية لحقوق الانسان: (ان مسألة توسيع نطاق الحقوق التي يتمتع بها الجميع لتشمل المثليات والمثليين وثنائي الميل الجنسي ومتغيري الهوية الجنسية ليس بالمسألة المتطرفة ولا المعقدة، وتركز هذه المسألة على مبدأين اساسيين يقوم عليهما القانون الدولي لحقوق الانسان ( ohchr. org) وبذلك اصبحت التشريعات الدولية والمحلية للكثير من البلدان تؤكد بأن الشذوذ والانحراف عن الطبيعة البشرية اصبحت حاجة بشرية لا بد من احترامها وحمايتها وصار

سبحانه وتعالى والمجتمعات  
الاسلامية والعربية التي تقضي  
بتشكيل اسرة من الرجل والمرأة وان  
لكل منها دور في الحياة وتربية وتنشئة  
الأطفال وحضانتهم وعملهم يتكامل  
بعضهم مع البعض الاخر في هذا  
المجتمع الصغير، من خلال فهم كل  
جنس لخصائصه النفسية وقدراته  
واستعداداته ومهامه في الأسرة  
والمجتمع الاسلامي والعربي والأسرة  
هنا الحصن الاخير للنظام الاجتماعي  
والمهددة من الخارج والداخل:

١. من قبل منظمات دولية تدعي  
بحقوق الانسان وان المنظمة الدولية  
داعمة لهذه المنظمات لا بل اصدرت  
قرارات بهذا الشأن تحرض وتحرك  
منظمات نسوية في الداخل لدفعها الى  
التصادم مع الحكومات بحجة حقوق  
المرأة.

٢. من الداخل: هو وجود منظمات  
نسوية تعمل بالعلن والخفاء (عربية)

على وجه التحديد وقد يفرض على  
الدول الاسلامية والعربية فرضاً.

ان الهدف من نشر المفاهيم الشاذة  
والم منحرفة هو تدمير الأسرة  
والمجتمعات وخلق نوع جديد من  
الأسرة وفقاً لمفاهيم الجنـدرة، فقد  
صنفت الامم المتحدة (١٢) شكلاً أو  
نمطاً من الاسر، ومنها اسر الجنس  
الواحد اي اسر الشواذ وتشمل ايضاً  
النساء والرجال الذين يعيشون معاً بلا  
زواج والنساء اللاتي ينجبن الأطفال  
سفاحاً ويحتفظن وينفقون عليهم  
والأطفال يسجلون باسم المرأة ويطلق  
على هذا التشكيل اسم الأسرة ذات  
العائل المنفرد وتسميها الامم المتحدة  
(الام المعيلة) وهو تغير في شكل  
الأسرة يأتي متوافقاً مع النسق  
الجنـدري، تغير الانماط الوظيفية للاب  
ونقلها للام.

ان هذا المفهوم يتناقض مع مفهوم  
الأسرة الطبيعية والتي خلقها الله

الوظائف الفيزيولوجية للمرأة ولهذا من حقها الاجهاض.

### الاسلام والجندرة

ان الرسول الكريم محمد ﷺ والذي لا ينطق عن الهوى انه الا وحي يوحى قد أعلى وقبل اكثر من (١٤٥٠) سنة ما يحدث الا ان من تغيرات باتجاه وعن الشرور والفتن التي سينشرها الشيطان بقوله ﷺ (ما من عام الا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم) وان على الأسرة ان تنتبه الى هذه الاعوام وتهتم اكثر من أي وقت مضى لتحصين الأولاد من الشرور القادمة من الغرب بالاسلام وبقيمة والا فأن التيار كبير والاعصار قادم بقوة.

اما القرآن وهو دستور العالم ودستور الاسلام والذي لم تغب عنه شاردة أو واردة في الكون، كيف لا وهو كلام الله الخالق البارئ المصور والذي يعلم خائنه الانفس وما تخفي

استشراء مفهوم مقبول (النوع الاجتماعي) في نسيج هذه المنظمات بشكل داعم أو غير داعم تحاول تثبت هذا المفهوم في عقول الناس والنساء المسلمات تحديداً.

وبالعودة الى (سان دي بوفوار) التي اصدرت كتابها (الجنس الاخر) عام ١٩٤٩ والذي يعد دستوراً مؤسساً للحركة النسوية في العالم، ذهبت فيه الى الرجل يمارس على المرأة سطوة عاطفية، مما يجعلها تعاني من اضطهاد عميق وفي انها بتحويل الرجل من انسان واقعي الى رمز شبيهة بالالهة وتعتقد ان المرأة لا تولد امرأة لانعدام قدر بيولوجي أو نفسي أو اقتصادي يقضي بتحديد شخصية المرأة كأنثى في المجتمع تقول (سيمون) بأن الامومة خرافة ولا توجد غريزة امومة وانما ثقافة المجتمع هي التي تضع هذه الغريزة، فهي وظيفة اجتماعية ومن الاشكاليات الحمل والرضاعة وغيرها من



فما تؤدّيه المرأة قد لا يستطيع الرجل من القيام به كالإنجاب وهو رد على الجنـدرة التي تنعدم فيها الأدوار وان البشرية ستخف يوماً ما بسبب تناقص الولادات والانجاب لان زواج الشذوذ خارج الطبيعة الانسانية وخارج خلق الله، ان بعض الدراسات اشارة الى نفوس الولايات المتحدة قد ينقص بحدود (٥٠) مليون في عام ٢٠٠٠ وكذلك الحال في الدول الاوربية للأسباب التالية:

١. الزواج المثلي رجل برجل وامرأة بامرأة وعدم وجود أنجاب أو ولادات.. من اجل اشباع الشهوات والنزوات الشاذة.

٢. اما المرأة الطبيعية، فبسبب موانع الحمل والحالة النفسية بعدم الرغبة في الانجاب وعدم القدرة على تحمل تربية الأطفال تحول الجانب البيولوجي الى عنصر خامل وان المرأة تصبح غير قادرة على الانجاب وقد يصل الحد الاقصى

الصدور، فخلق الله سبحانه وتعالى ان تكامل الانسان في الذكور والانثى هي إحدى الجوانب الفطرية للحياة الانسانية وان الأسرة تتشكل من الذكر والانثى والزوج هو المرحلة الطبيعية من الحياة الطبيعية للإنسان وبمقتضاه يتم توزيع الادوار، فللذكر مواصفات نفسية وجسمية ووجدانية وسلوكية تتكامل مع الانثى في عواطفها وسلوكها النفسي والجسمي والانفعالي لتكون النفس الواحدة التي خلقها بقوله سبحانه وتعالى ﴿وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ اَزْوَاجًا﴾ (فاطر: ١١).

فالله سبحانه وتعالى لم يخلق البشرية عبثاً أو فوضى (حاشا الرب الجليل) وانما خلقهم ليعمروا الحياة ويبنوا الأسرة والمجتمع حيث تساوى فيه المرأة والرجل في القيمة الانسانية لانهما من خلق واحد هو الطين، وان الفوارق الجسدية والنفسية من اجل الادوار لكل منهما في الحياة

للإنجاب الى طفل واحد.

لقد حذر الله سبحانه وتعالى عباده بعدم تغير الخلق وعدم الانصياع الى افكار شياطين الجن والانس وعدم الانجرار وراء الفكر المغلف بالعلم والشهوات والنزوات التي تحول الانسان الى نوع من انواع البهائم وغلق الباب امام العقل الراشد والانساني والابتعاد عن الفطرة الانسانية والفهم الصحيح للحياة والتي وردت في قوانين وشريعة الدين الاسلامي والميل للتعقل والهدى والرشد والحكمة والموعظة الحسنة في قوله تعالى ﴿وَلَا تُرْنَهُمْ فَلْيُبَيِّتْ كُنْ آيَاَنَ الْأَنْعَامِ وَلَا تُرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ (النساء: ١١٩) وقد اكد الدين الاسلامي من خلال رسالته للبشرية والقيم التي وردت في القرآن والقيم والقواعد التي طلب من الناس الالتزام بها من اجل:

أ- استمرار الخلق واستمرار

الايان بالله ورسله، والخلق هو الجانب الطبيعي الانساني التي ارادها الله والفوارق بين الرجل والمرأة نفسياً وجسدياً لا يعني التقليل من قيمة المرأة في قوله تعالى ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ (آل عمران: ١٩).

ب- خلق الفطرة السليمة لدى الانسان وعدم تغيير هذا الخلق وقسم الادوار الطبيعية والانسانية لكل من الذكر والانثى في قوله ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠).

ان حقوق المرأة محفوظة في الاسلام كما للرجل من حقوق وهو اوضحناه من الدور الذي انيط لكل منهم، فقد منحها الحرية وفق ضوابط وليس الحرية المغلقة الفوضوية التي يسعى الغرب الى نشرها، رغم ان المرأة مستعبدة في الغرب وتحاول بالشذوذ الجنسي التحرر من هذا الاستعباد، فالإسلام اعطى حق الارث والتملك وحققها في الحياة والعدل والانصاف

للأمم علي وقد بكى الامام عليها بكاء  
الطفل حيت توفت فكانت تمارس دور  
الواعظة والمرشدة والمربية للنساء من  
اجل تحبيب الدين الاسلامي في قلوب  
المسلمات وكانت تتكامل مع دور الامام  
على الذي خارب الكفر في سيفه ولم  
يذكر التاريخ اية قضية حصلت بين  
الزهراء وزوجها لا بل هي الناصحة  
والمربية للرسول الكريم فكان كل ما  
تضيق به الحال يلجأ يتأبط حضنه  
للاستكانة والراحة، وهذه امثلة اخرى  
لزينب التي تحملت المصائب والبلاء  
قبل واثناء وبعد استشهاد الحسين عليه السلام،  
فكانت المرأة الصابرة المجاهدة الأم  
والاخت، فقد قادت السبايا من العراق  
الى الشام بجلد وجر المرأة المحتسبة  
المجاهد ولم يظهر وجهها أو ظلها حتى  
في الشمس.

ان الله سبحانه وتعالى يقوم في آية  
تكامل المرأة مع الرجل في قوله تعالى  
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ  
أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ

وادارة المنزل وتربية الاولاد وغريزة  
الامومة (حب الطفل) والتي ينكرها  
الفكر الغربي رغم ان الأوائل من  
علماء النفس الامريكان اكدوا على  
غريزة الامومة، امثال فرويد  
وسكز وثورندايك وغيرهم.

ان اهتمام الاسلام بالمرأة ومساومتها  
مع الرجل جاءت من اجل ان تتكامل  
الأسرة في ادوارها كي تنتج المجتمع  
المتناسك الخالي من العيوب التي  
يرفضها الاسلام وان المرأة جزء من  
كيان الرجل تقوم على المشاركة الحقيقية  
في بناء الحياة والتعاون بين الرجل والمرأة  
والعلاقة تقوم على المودة والمشاعر  
الانسانية الحققة التي أوجدها الله  
سبحانه وتعالى في قلب المرأة والرجل  
وعدم تغليل احدهما على الاخر، فهذه  
خديجة الكبرى ساهمت مع الرسول  
الكريم صل الله عليه وسلم في نشر  
الدين الاسلامي وضحت بمالهها  
وتجارتها من اجل الرسول وهي ام  
فاطمة الزهراء الزوجة الوفية والصالحة



بَيِّنْكُمْ مَوَدَّةَ وَرَحْمَةٍ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم: ٢١).

هذا هو خلق على الفطرة السليمة القائمة على التكامل والمحبة، ماذا خلق شياطين الانس والجن والذين يريدون تغيير خلق الله وهو النهاية الحتمية للعالم والتي تعجل بظهور المهدي ﷺ والتي تعجل بنهاية الدول الغربية وامريكا اذ يريدون بهذه الافكار تدمير القيم الانسانية الاخلاقية، اذا كانت هناك اخلاق، ان التكامل البشري بين الذكر والانثى يظهر بأبهى صورة متمثلاً في الآية الكريمة ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨) ترى الجانب الاخلاقي بارزاً في هذه الآية الكريمة وهو المعروف الذي ينبغي ان يسود بين الرجل والمرأة حيث حدد الواجبات والحقوق المتبادلة بينهما بالمعروف والاحسان والتفاهم تشارك فيها مع الرجل لخلق الأسرة الكريمة المتبادلة الادوار والتي تقوم على قواعد

الدين الاسلامي السباح في العمل والمشاركة الوجدانية في التربية وادارة المنزل والعطف المتبادل بينهما والحنان الذي يعطى للأطفال في تربيتهم، فليس للذكر حق التسلط والسيطرة كما هو مشاع أو متعارف في الموروث الاجتماعي عند العرب والذي جاء الاسلام لتصحيح ذه النظيرة في قوله تعالى ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (النساء: ٣٢) وهذه الآية هي ابداع ما ذكر الله من العدل والانصاف بين الرجل والمرأة، فهما متكافئان في كل شيء، فليس من حق المرأة أو الرجل احتكار حصة الاخر، فالقرآن حدد الارث لكل من الذكر والانثى، وهي تنسجم مع الطبيعة الانسانية التي خلقها الله في البشر.

اما الزواج والطلاق فقد حدد بموجب قوانين حتى لا يختلط على الانسان الناتج الذي ينتج من هذا الزواج وان لا يكون الأولاد حرام



فالطلاق مرتان فلا يحل له ان يتعدى حدود الله لأنه يعد من الظالمين، ويكون الزواج وفقاً لشرعية الله والطلاق أيضاً يتم وفقاً للقانون الالهي يدخل فيه التراضي والمعروف وعدم الاعتداء على النساء، فكيف للزواج المثلي الذي يريد ان يعتد شرائع الله والله منهم براء وسينتقم منهم انشاء الله.

اما الرضاعة فهي مسمار النعش الذي يدق في الشواذ جنسياً والذين يرون بأن الأمومة هي ليست غريزية، فان الله سبحانه وتعالى حدد مدة الرضاعة لحولين كاملين وهو ما يؤكد على علاقة الحب بين المولود ووالدته والكسوة والرضاعة على الوالد شريطة عدم التكليف الا حسب القدرة والسعة في قوله تعالى ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ (البقرة: ٢٣٣).

ان الله سبحانه وتعالى يحذر الانسان من الافساد في الارض وتغيير شريعته والذين يحاولون ادخال العلم المزيف في عملية التطوير والتطور في قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ \* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١١-١٢) والعقاب ظاهراً في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٩)، ان خلق كل شيء واحسن خلقه وصنعه وجعل في الارض انهاراً لحاجة الانسان اليها في ترحاله وشربه وسقيه للحيوانات وكل شيء حيا وان الامر له، فلا يحق للبشر تغيير خلق الله ومن يتعد حدود الله سيغضب عليه سبحانه وتعالى ويدمره في الارض قبل جهنم السموات كما يحصل الان من زوابع واعاصير وسابقاً تسونامي ولاحقاً لا



قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ  
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ  
وَحَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ  
وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ  
وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ  
نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ  
مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ  
تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ  
وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ  
وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٣)  
خلافًا لما ورد في هذه الآية فإنه يعد  
شذوذ وانحرافاً وفسقاً عن القواعد  
التي وصفها الله سبحانه وتعالى للبشر.

### العلم والجندرة

من خلال قراءتنا للذين يدعمون  
العلماء في مجال بحوث الجندرة وجدنا  
ان تاريخهم مليء بالأحقاد على  
الانسانية والانحرافات والشذوذ  
العقلي والجنسي والنفسي ويعانون من  
مشكلات نفسية انعكست على

ندري ماذا يخفي لنا الله من عقوبات،  
ان القوانين الجائرة التي تبناه الانسان  
في تغيير خلقه في الجندرة والمثلية  
وقانون سيداو فقال الله سبحانه  
وتعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا  
قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ﴾ (البقرة: ١١٧).

لقد صدر في الكثير من البلدان  
الاوربية والولايات المتحدة وبعض  
الدول الاسيوية قوانين ظالمة بحق  
الانسان والبشرية، اجاز فيه الزنا  
بالمحارم والعياذ بالله وهذا الذي يحدث  
بسبب دعوة العلماء المزيفين الذين  
يدعون العلم والمعرفة والذين يحثون  
لتغيير خلق الله امثال (هوني وكنزي  
ودي بفوار وغيرهم) والذين يدعون الى  
السقوط الاخلاقي وحرف العلم عن  
طريقه الصحيح والاتجاه بالبشرية نحو  
الفسق والشذوذ وبالتالي سيؤثر على  
التوازن السكاني في العالم وقد اشار  
القرآن الى طبيعة العلاقات الانسانية بين  
البشر وفقاً لقواعد والى نوع الزواج في



تخريب نظام المجتمع العالمي وخلق  
الفوضى الاجتماعية والاخلاقية وفي  
هذا المجال نذكر: -

١. ان العلوم تتطور بتطور  
المجتمعات (العلوم الصرفة  
والانسانية)، فما كان صالحاً في الامس  
لا يصلح لتطبيقه في المجتمعات اليوم  
فبعد دخول تكنولوجيا المعلومات  
والانسان الآلي استغنى الكثير من  
الاطباء والاختصاصات الاخرى الى  
الاستخدام اليدوي والعقلي المنفرد  
لمعالجة المشكلات، فكيف الحال  
بالعلوم الانسانية هي الاخرى اصابها  
الضرر بسبب التغيرات السريعة في  
السلوك الانساني نتيجة لاستخدام  
مواقع التواصل الاجتماعي.

٢. ان العلوم الانسانية وكما اسلفنا  
عرضه لأخطاء بشرية أو انحراف  
الباحث وتحيزه نحو نتيجة أو اتجاه  
معين وخلق الظروف البحثية المناسبة  
من اجل تبرير هذه النتائج وعليه فان

دراساتهم وبحوثهم في مجال الجنـدرة  
ومحاولة تجنيد نتائج بحوثهم لخدمة  
حاجاتهم النفسية، فضلاً عن ان هناك  
منظمة تعنى بتدمير البشرية وعقله  
ساهم بطريقة أو بأخرى اما بالتشجيع  
أو الدعم المادي لإجراء مثل هكذا  
بحوث لأغراض ربحية لتسويق نتائج  
هذا لأغراض الكسب المادي، وفي  
ضوء ذلك تم تجنيد الكثير من علماء  
النفـس والاجتماع والتشريح لهذا  
الغرض، وربما ليس فقط الجانب  
الربحي وانما تنفيذاً لمبادئ الصهيونية  
العالمية في محاربة الاسلام الذي بقي  
صامداً امام هذه التيارات المنحرفة  
والفكر الصهيوني الساعي الى السيطرة  
على العالم من خلال تجنيد رؤساء  
الحكومات ومتنفذين في السياسة  
والاعلام العالمي، بينما سيكون رموز  
حكومة النظام المنتشرين عبر العالم...  
عملائهم في اقوى مراكز اتخاذ القرار  
فهم يستخدمون الغاية تبرر الوصول  
في الوصول الى اهدافهم من اجل

(سيمون دي بوفوار) المنحرفة والشاذة والتي كانت تكره الرجال فكانت كل كتاباتها خارج الحدود الاخلاقية وانها كانت تعتدي جنسياً على الطفلة التي تبنتها.

ان التكوين الانساني يبدأ بالتشكيل من خلال اتحاد الحيمين بالبويض لتكون بيضة مخصبة تجمع العناصر الوراثية التي ورثها الانسان من اهله واجداده حتى الجد الرابع حيث تضعف العوامل الوراثية حيث تشكل خلال فترة الحمل الاعضاء البشرية كافة ومنها الجنسية حيث تبدأ الهوية الجنسية بالتشكل وراثياً وقد ورد في القرآن الكريم الآية الكريمة التي تؤكد على الفطرة وتشكيل الهوية منذ تكوين البيضة الملقحة في قوله تعالى (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) (الروم: ٣٠) وجهزه بقواعد الادراك والفهم وقدرته على التمييز في هويته الجنسية، فالإنسان عند خلقه يتأثر بعاملين اساسيين هما: -

الكثير مما ورد من نتائج وبحوث (موني وكنزي ودي بوفوار) تعتمد على ما خفي مما يحملونه من انحرافات سلوكية شاذة كامنة في العقل الباطن وانعكاس ذلك على خطوات اجراء البحوث التي قاموا بها أو تحريف النتائج أو التصميم التجريبي لتجاربه ولذلك نتائج بحوثهم مخيبة للفكر الانساني الصحيح وحتى العينات التي اختاروها كانت بصورة تعسفية بعيدة عن المشاركة بالرغبة في المشاركة في التجربة كما هو الحال في الطفل (بروس) الذي اجريت عليه التجربة بصورة تعسفية أو نتائج تجربة (كنزي) الذي كان يجبر العينات على ممارسة الجنس بصورة لا اخلاقية أو خارج حدود القانون الاخلاقي لإجراء التجربة بيث وكما اشارة المصادر الى ان افراد العينة كانوا اطفالاً قاصرين يحاولون الهرب من المختبر أو ان الصراخ والتذكر كان بادياً على افراد التجربة، وكذلك الحال بالنسبة الى

## ١. العامل الوراثي:

العامل الوراثي يطلق عليها بالفطرة الانسانية ولا دخل للإنسان في تشكيلها وهي تشكل حوالي ٧٥٪ من بناء الشخصية الانسانية، وباندماج الحيمين الذكري بالبويضة الانثوية تتشكل البيضة المخصبة والتي تنقل الصفات الوراثية من الاهل الأم الأب ثم الاجداد الاربعة ثم الاجداد الثمانية والاجداد (١٦) وهنا تقريباً يضعف العامل الوراثي الى ما بعد هذه التشكيلة.

حيث تتشكل الصفات الوراثية كلون الشعر أو البشرة والاستعدادات والقدرات العقلية وهكذا تتشكل العوامل الوراثية والتي لا دخل للفرد في تشكيلها، الا اللهم عندما تتعرض المرأة اثناء الحمل الى عوارض خارج الجانب الوراثي كتناول الادوية ذات السموم الضارة بالجنين أو تعرض المرأة لأمراض قد تنتقل الى الجنين أو

امراض وراثية قد يحملها احد الزوجين ربما يحدث خلل في الكثير من اعضاء الجسم ومنها الاعضاء التناسلية أو قد يكون لرغبة الأم في الحمل والانجاب تأثير على تشكيل اعضاء الجسم وربما سيؤثر على العوامل النفسية والسلوكية والجانب العاطفي والوجداني للطفل والذي اكدته الكثير من الدراسات في مجالات علم النفس والطب والتشريح، فجانـب الخلق والتكوين ثابت غير قابل للتغير أو التعديل الا اذا تدخل الانسان وغير الخلق بفعل الهرمونات أو مواد كيميائية ومع هذا فأن هذا التغير أو التعديل يأتي عكس الطبيعة البشرية، كما يحصل الان في الجنـدر عند حقن الطفل أو الكبير بهرمونات ذكـرية أو انثوية لتغير خلق الله ومع هذا تبقى العوامل المشكلة للجنس تؤثر على هكذا نوع من البشر.

وفي مجال الهرمونات يبدأ بالتشكيل عند الطفل قبل الولادة حيث تفرز

تشكيل السلوك ولكن له تأثير يكاد يلعب دوراً أكثر من عامل الوراثة (٧٥٪) وخاصة في جانب تشكيل السلوك والاستعدادات العقلية ونمو الذكاء ومؤثرات قوية لتشكيل السلوك الانثوي والذكوري ولكن لا يتغير الجانب البيولوجي اما ممارسة السلوك الجنسي الانثوي أو الذكري ولكن عندما يعيش طفل (ذكر) مثلاً في وسط عائلة كل اطفالها اناث والم الأب تحبباً بالذكر يعاملونه معاملة الاناث، فأن ذلك سيشكل لديه سلوكاً انثوياً ولكن لا يلغي الهوية الاصلية (الذكورية أو الانثوية) فقط في جوانب سلوكه وتصرفه سواء كان انثى أو ذكر وهذا ما يحذر منه الاسلام في تربية الأبناء فترية ذكر تقوم على الذكورة والانثى انثى والعزل بينهما، فالسلوك اليومي للفرد يتأثر بفعل عوامل التعامل معه فالقدرات العقلية والذكاء والاستعداد والجانب العاطفي والانفعالات كلها تنمو

افرازات هرمونية تحدد الهوية الجنسية للطفل قبل الولادة (ذكر وانثى) والتي ستؤثر على سلوكه الحياتي لاحقاً فالذكر يتصرف بسلوك ذكري في الالعب والقوة وحتى الصوت وغيرها من مؤثرات السلوك وهكذا بالنسبة للانثى حيث تميل الى العاب الاناث واللعب مع الفتيات.

ان افرازات هرمون التستوستيرون يحدد الهوية الجنسية للجنين حيث تستمر افرازات الهرمونات الذكورية والانثوية عملها في منح التمايز بين الذكر والانثى، فهناك تمايز لا دخل للإنسان في تشكيل هوية الذكر أو الانثى وانما يأتي نتيجة عوامل بيولوجية معقدة تجري في جسم الانسان تبدأ من لحظة الاخصاب الى مرحلة الرشد (القزويني).

## ٢. العامل الثاني هو الجانب المكتسب

يشكل هذا العامل حوالي ٢٥٪ من

وتتشكل بفعل العوامل البيئية والاجتماعية ولكنها لا تلغي هذه القدرات والاستعدادات فضلاً عن الهوية الجنسية باقية عند الذكر والانثى في قوله تعالى (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى) (آل عمران: ٣٦).

ان نظرية الخلق الالهي تقوم على التربية السليمة وحسب الهوية الجنسية ليصبح الانسان عضواً مفيداً ونافعاً لنفسه وللبيئة المحيطة، فهو يأخذ ويعطي ويتعامل مع محيطه وفقاً لهويته الجنسية، فالبيئة السليمة الاسلامية تقوم بتهذيب الدوافع السلوكية الفطرية غير المهذبة وتكيفها لتجعلها مهذبة تتمشى مع ما يريده الله سبحانه وتعالى في خلقه وحسب الادوار التي خلقها لكل واحد منهم، والاسلام لم يعطل أو يمنع حرية المرأة أو ممارستها الأعمال في الحياة اليومية فلا الحرية المنفلتة والفوضوية هي السلوك الطبيعي للإنسان وما يحصل من تغيير في خلق سيؤدي الى نتائج وخيمة

ومنها تدمير الأسرة وخلق ضوابط وقواعد من السلوك الاجتماعي المهدد للبشرية والمجتمعات وقد تكون نهاية هذه المجتمعات بهذا التصرف والسلوك اللاأخلاقي، فالدوافع الفطرية الشاذة والرغبات والدوافع الجنسية غير المهذبة يمكن تعديلها بالتنشئة الاجتماعية السليمة حتى لا تنتهي بالتجاوز على حريات الآخرين أو الاضرار بهم والاعتداء على الخصوصيات التي خلقها الله للبشرية، فالإسلام وكما اسلفنا اعطى للرجل حق مثل حظ الانثيين ولم يخس في اعطاء الحريات المنضبطة لكل من الرجل والمرأة، وان العوامل المكتسبة في التربية ليس لها دلالات بل القبول بها بحسب القانون الفطري يتوقف على شرطين: -

١. عدم مجافاتها مع الحاجات الفطرية ومع القانون الفطري، لأنها قد تقود الى عدم الصحة والسلامة النفسية.

مع المرأة والرجل مع الرجل وهذا  
يذكرنا بقوم لوط عليه السلام واليوم ينتشر  
تحت عنوان المثلية الجنسية والذين  
يحاولون نشره وصياغة قوانين دولية  
ومحلية وحتى الأمم المتحدة اصدرت  
قوانين تحمي المثلية الجنسية.

تشير بحوث مجالات علم النفس  
والطببة التشريحية الى ان الأطفال  
يولدون بالفعل مع شعور كامن  
اساسي بالهوية الجنسية، اما الهوية  
الجندرية عندما يقوم الفرد بسلوكيات  
مغايرة لجنسه بسبب مؤثرات خارجية  
فتحدث عندما تُعبّر الهوية الجندرية  
عن نفسها لاحقاً في حياة الطفل  
بشكل لا يتوافق مع جنسه البيولوجي  
وهنا تحدث العوامل الخارجية اثرها  
على تشكيل الهوية الجنسية المغايرة  
لتلك العوامل فينشأ ما يسمى بالجندر  
الذي يغير من هويته الجنسية بفعل  
عوامل اما اجتماعية مقصودة أو حقنه  
بهرمونات مغيرة للجنس، وفي دراسة  
قامت بها (ساندرا بيم - Sandra

٢. ان لا يكون الايفاء بها خلاف  
الحكمة لعدم ملائمتها مع الصلاح  
الانساني ولأنها توجب ابتلاء الآخرين  
فيتنافى الصلاح الانساني العام  
(السيستاني).

فالفوارق الجنسية طبيعية في خلق  
الله وان الاختلافات التي قد تظهر  
لأسباب خارجة عن تكوين الخلق  
وهي تندرج تحت الآتي:

١. اضطراب في الشخصية الجنسية  
بسبب خلل هرموني أو نتيجة عوامل  
خلقية اثناء الحمل وهي حالات قليلة  
ولا يمكن تعميمها على الانسانية  
فميل الذكر الى السلوك الانثوي أو  
يشعر بانه خلق خطأ فيميل الى سلوك  
انثوي وهو ما يسمى (بالمخنث) أو  
خنثي التكوين (أو ثنائي الجنس)  
والذين يولدون بأعضاء جنسية مبهمه  
أو غير واضحة.

٢. ميل الاشخاص الى الرغبة في  
ممارسة الجنس مع نفس جنسه فالمرأة



## الاستنتاجات

- في ظل النظام العالمي الجديد وهيمنت دولة واحدة على مقدرات العالم والرافضة للدين بكل اشكاله والدين الاسلامي تحديداً الذي بقي صامداً امام هذه التيارات المنحرفة والشاذة، فهذه الدولة بدلت ثوب العسكرية باستخدام القوة باستخدام طرائق تغير ثقافة وقيم الشباب وحرّفهم عن دينهم وقيمهم.

- هناك توجهات خبيثة لتغيير مصطلح الجنـدرة الذي وجد رفضاً لدى الكثير من الشعوب بسبب ما يحويه من مفاهيم مدمرة للمجتمعات بمصطلح آخر والذين يعتقدون بأنه أكثر قبولاً لدى المجتمعات الاسلامية (النوع الاجتماعي) والذي يعطي نفس معنى الجنـدرة وذلك لتميريه على الشعوب الاسلامية.

- ظهور بعض المؤسسات الاجتماعية في الدول العربية

(Bem) وجدت في احدى نتائجها من ان الأطفال في عمر بين الثالثة والخامسة من العمر ومعظم الأطفال يعتقدون ان التغيرات الخارجية في الملابس والشعر لا تشكل تغييراً في الجنـدرة (الجنس) وما ان بدأوا بالتفكير في الجنس (الجنـدرة) كصفة مستقرة سيدخلونه ضمن هويتهم الخاصة وان الأطفال يشعرون بالحماسة اكثر عندما يتواصلون مع اخرين من نفس مجموعته أو جنسه، وغالباً ما يصبح صارماً في التقيد في القوالب النمطية الجنـدرية (الجنسية) وكمثال على ذلك يفضل الأطفال في تلك الاعمار اللعب مع افراد جنسهم (جنـدراهم) كما يفضلون النشاطات والالعاب المرتبطة بشكل نمطي وتقليدي مع هذا الجنس (الجنـدرة) (I believe insci) وهذه النتيجة تؤكد حتمية الخلق الإلهي في تشكيل الهوية الجنسية وانها تعكس الرفض الحقيقي للعلماء الحقيقيين عن الهوية الجنسية للطفل.

في العالم وأول من روج لزواج المثليين ولكن في داخل اسرائيل تمنع زواج المثليين، وبإمكان الإسرائيليين عقد الزواج خارج الكيان الصهيوني والعودة الى اسرائيل.

- حكومة العالم الخفية التي يدعوا اليها الصهاينة والماسونية العالمية، تستخدم وسائل كثيرة لتدمير العالم فزواج المثليين مثلاً يسهم في نشر الفايروسات كفايروس الايدز وما شاهدناه من انتقام بعن فيروس الكرونا من تدمير هائل ورعب كبير في المجتمعات العالمية وما رافقه من وفيات ملفقة للنظر، وفيروسات اخرى (السارس) والانفلونزا بكل اشكالها وهذه تسمى بفرضية الإبادة الجماعية والتي بناها عراب السياسة الامريكية (هنري كسنجر) ونشر هذه المعتقدات الشاذة.

- يتم نشر الافكار بأساليب نفسية مؤثرة باستخدام اساليب الايحاء أو

والاسلامية وتحديداً النسوية بتبني هذا المصطلح ومحاولة نشره بصورة واعية أو غير واعية اعتقاداً من لدن البعض بانه يركز على الحرية وحرية نساء خاصة، وفي الحقيقة يدعوا الى تدمير الطبيعة البشرية وخلق الله سبحانه وتعالى.

- ان الانحراف السلوكي والشذوذ الجنسي ليس وليد اليوم في الدول الغربية فقط ظهر كتاب ومؤلفين وفلاسفة في القرون الوسطى امتداداً الى العصر الحالي، فقد انتشرت المثلية الجنسية والجندرة بشكل طبيعي في البلدان الغربية وامريكا وعد من الأمور المتعلقة بالتطور الاجتماعي وسنت له قوانين في الكثير من بلدان العالم ومنها امريكا واصبح الجندر يمارس حياته مثل باقي البشر وبصورة طبيعية.

- ان الكيان الصهيوني هو مصدر البلوى وأول من نادى بحقوق المثليين وأول من شجعت على انتشاره

التقمص للتأثير على عقول الشباب وخزن المعلومات في الجهاز العصبي بصورة غير مباشرة وبالتالي تحويل حقيقة الجنـدرة المسيئة لأخلاق المسلمين الى واقع ومفهوم يتداول وينشر بصورة واعية أو لا واعية.

- التركيز على مظلومية النساء وان الرجال يضطهدونهن وبهذا الاسلوب تتم المطالبات بالحريات الشخصية للنساء ومطالبة الحكومات بتشريع قوانين لحماية المرأة وهذه استجابة لقانون (سيداو) الذي اقتره الأمم المتحدة والحريات المطلقة كما يطالبون حتى يصل الى التصرف اللامسؤول والانجرار وراء الافكار والمفاهيم السائدة في الغرب عن الجنـدرة والمثلية الجنسية وغيرها من المفاهيم التي تؤكد على الحرية المطلقة للمرأة، في حين ان الاسلام انصف واعطاها كامل حقوقها ولم يجرمها من شيء.

- الجنـدرة والمفاهيم الشاذة الاخرى

هي محاولة لتغيير خلق الله وعدم الاعتراف بالجانب البيولوجي لتكوين الهوية ومحاولة جر العالم الى مفاهيم خاطئة وهي ان التربية والمجتمع هو الذي يخلق الهوية وان الأطفال يولدون محايدون وهذا سيخلق مشكلة امام الاطباء في تحديد المولود الجنسية.

- لقد قامت الماكنة الاعلامية الضخمة بتوجيه الضربات تلة الضربات للعلماء والدعاة ومحاولون تشويه صورهم في اذهان الناس بأساليب الكذب المعهود والدعاية الرخيصة والافتراءات مثلاً (مايكل برانت) في كتاب تدمير الاديان الالهية ركز على قضيتين مهمتين أولها المراجع والعلماء وخلق فبركة أخبار ومفاهيم مفبركة عنهم ومحاولة تسفيهم وجعلهم على كل لسان وهو ما نراه من كلام عن المراجع لدى بعض الشباب المسممة افكارهم، والقضية الثانية تخريب أو تسميم افكار الناس والشباب بالتحديد عن المسيرة الحسينية

- الجندر كما يدعي الكتاب ومن يروجون لهذه الفكرة هي مساواة بين الرجل والمرأة بل هي تدمير للبنى الاجتماعية والأسرة تحديداً وخلق انماط اسرية جديدة ينقطع فيها النسل والتكاثر (اسرة الشذوذ)، فهم يرون في كتاباتهم من ان الذكر والانثى وما يتبع ذلك من فروق طبيعية، هي مصطنعة بفعل العوامل الدينية والاجتماعية والثقافية وهي من صنع البشر.

- الكتاب والباحثين الذين اجروا دراسات في مجالات الجندرة والمثلية الجنسية كانت تبداً على نتائج دراساتهم الحماسة والغلو والتطرف في شرعنة الميول الشاذة ومحاولة اثباتها بأية وسيلة، كما حصل عند جون موني مثلاً الذي كان يعاني وسيمون دي بوفوار من مشكلات نفسية وعقد وامراض انعكست على بحوثهم وكان التطرف واضحاً على نتائج دراساتهم رغم ان اجراءات التجارب لدى كنزي وموني كانت فاشلة، المهم هو

(الكربلائية) وهو ما نجده في كل عام من ظهور جماعات هنا وهناك تحاول الاساءة الى الزوار والمواكب أو لبس الملابس المنحلة بالأخلاق والشرف واداء اللطم بطريقة مسيئة للمسيرة الحسينية ولكن (هيهات من الذلة) قالها الحسينية وردوا على اعقابهم فالمراجع والمسيرة العاشورائية تتطور وتكبر ويكثر الشباب وكبار السن والأطفال الى التجمع الكبير يوم الاربعين.

- تابعت وقرأت ان اغلب المنظرين في مجال الجندرة والمثلية الجنسية اما يهودي متطرف ينشر هذه الافكار ببحوث فندت قسماً منها في موضوعات سابقة للدعوة الى حكومة العالم الخفية أو يهودي أو غير يهودي شاذ جنسياً استغل من قبل رأس المال الغربي والامريكي لإجراء هكذا بحوث ونشرها والدعوة لها امثال (مكنزي واتيمان وموني والشاذة الفرنسية دي بوفوار) والذين تم تكريمهم من قبل الكيان الصهيوني.

نفسياً وقيماً والمعدة من خبراء في مجالات علم النفس والحرب النفسية والاجتماع اعداداً جيداً بعد دراسات حاجات المتلقي ومناطق الضعف في شخصياتهم والتركيز عليها بالأخبار الكاذبة والمضللة.

### التوصيات

الزمان صعب والعالم يتغير ويحاول التأثير على كل ما هو صحيح وخاصة الأطفال والاجيال القادمة بأساليب الاغراء والملتوية وتجنيذ علماء النفس والأعمال الشاذين منهم لإعادة تربية الاجيال المسلمة وتصوير الغرب وامريكا انها جنة الله في الارض وهذه المغريات قوية وتحتاج الى تحدي ومواجهة اقوى من هذا التحدي ونكران الذات وبذل الجهد المضني والسيطرة على العواطف والانفعالات الانسانية واعادة بناء الشخصية الانسانية حماية لمجتمعنا واطفالنا ومستقبل ديننا الاسلامي الحنيف

اثبات النوع الاجتماعي واثار التربية في تكوين الهوية الجنسية وان الأطفال يولدون محايدون وهذا ضرب للفطرة الانسانية والسلوك الفطري المتميز للذكر والانثى.

- التركيز على اظهار الغريزة الشاذة والمتطرفة على انها السلوك الحقيقي للإنسان، متناسين تهذيب وتربية هذه الغرائز وتحويلها الى فعل ايجابي وسلوك سليم، وهو ما اكدت عليه الدراسات في علم العلم والتربية.

- محاولة أعلاء الاصوات الشاذة على الاصوات المؤمنة بحقيقة التكوين الانساني وان كلام الاخيرة اصبح ضرب من الخيال ولا سامع ولا مجيب بسبب قوة الاصوات الشاذة الممولة دولياً ومن رؤساء الأموال الضخمة التي تضخ من اجل تخريب العالم واستبدال العولمة الشاذة بالمواطنة الحققة، فوسائل الاعلام بمختلف اشكالها وقوة تأثيرها والبرامج المؤثرة

ونوصي بالآتي: -

١. الأم والأب هما المسؤولان الأول في تكوين شخصية الطفل وبنائها، فإذا صلحت العائلة صلح الأطفال وبالتالي المجتمع، وهذا يحتاج مجاهدة النفس والتضحية والايثار والعمل الدؤوب في التربية حماية لأبنائنا وهذت يتطلب:

أ- حماية الطفل من مواقع التواصل الاجتماعي المنحرفة التي تغذي الطفل فكرة الانحراف والمثلية والجندرة بصورة غير مباشرة وعرضه في البرامج وبالتالي ستصبح فكرة الجندرة من الافكار العامة والشائعة والمقبولة اضافة الى تعليم الطفل اساليب السرقة والقتل ورفض سلطة الأسرة وتشكيل السلوك العدواني لدى الطفل.

ب- حماية الأطفال من الاقران المسيئين وهي مرحلة مهمة من مراحل نمو الطفل تحتاج متابعة ومعرفة ما

يدور من الأسرة في عالم الرفقة، لان الرفقة السيئة قد تعلم الطفل السرقة والمخدرات وربما اللواط والعياذ بالله، فالأب والأم مطالبين بمعرفة نوعية الاقران.

٢. للمؤسسة الدينية دور مهم في تكوين وخلق الشخصية المسلمة وعدم الاكتفاء بالمحاضرات الدينية وانما فتح مراكز اشبه بالملة سابقاً في المناطق وخاصة الشعبية منها مع منح محفزات مادية أو معنوية لجذب الأطفال الى هذه المراكز مع وضع مسؤولين مخلصين مضحين يخافون الله ورسوله لهم هيبته واحترامهم وتقديرهم لكي يكونوا دعاة ورسول لبناء الشخصية المسلمة لان الاسلام وعلماء النفس يؤكدون على مرحلة الطفولة المبكرة (خذهوهم صغاراً) لان القيم والمفاهيم والمبادئ الاخلاقية السليمة تبدأ بالتكوين في هذه المرحلة وتميل للثبات في مرحلة المراهقة وبهذا نخلق حصناً بتقوية الضمير لدى



الطفل والشباب يمكنه مواجهة التيارات المنحرفة لا بل والصدام معها.

٣. المدرسة هي المسؤولين المهم بعد الأسرة تحتاج فضلاً عن المواد الدراسية الى برامج توعوية لتنمية وترسيخ القيم الاخلاقية وان تكون هذه البرامج عملية من خلال دروس التربية الرياضية والتربية الفنية أو دروس التربية الوطنية وغيرها وخلق المواقف الاخلاقية المناسبة لكل فئة عمرية وان تكون ادارة المدرسة حريصة على تطبيق هذه البرامج ومراقبة تأثيرها على التلاميذ والطلبة.

٤. لوسائل الاعلام دوراً مهماً وكبيراً فضلاً عن المؤسسات الاخرى المعنية بحماية المجتمع والأسرة والافراد دورها خلق الوعي الفكري ومخاطبة عقول البشر لخلق الوعي الفكري وان يفهم الناس حقيقة الدعوة الى الجندرة والاسباب

والنتائج وان تكون واضحة بشكل طوعي شعوري ولا شعوري في ذهن أو عقل المواطن، فهو انتصار حقيقي للإسلام والمجتمع على مواجهة هذا التحدي الكبير وبالتالي الرفض القاطع لكل المشاريع الجندرية المباشرة وغير المباشرة.

٥. الاسلام اقلا بالفروق بين الذكر والانثى ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ (آل عمران: ٣٦) من حيث الخلقة والطبيعة والادوار، فالرجل يقوم بأعمال صعب على المرأة القيام بها وهكذا بالنسبة للمرأة وهناك ادوار مشتركة وان اعمالهم اختيارية وان المرأة يمكن ان تكون عالمة أو اديبة وشاعرة وغيرها من الانشطة الحياتية وهنا يأتي دور المجتمع والاسلام والسلطة ورجال الدين والتربية بتثيت هذا المفهوم في عقول الناس ذكراً أو انثى بالوسائل التي ذكرناها.

٦. الجندرية هدفها الدين والدين

جاء في القرآن وان كنا لا نحتاج الى اثبات لأنه كلام الله سبحانه وتعالى ولكن لإثبات حقيقة الذكورة والانوثة والتي هي جزء من الهوية الفطرية للإنسان والتي نادى بها الاسلام من خلال كلام الله والرد القوي على الافكار الشاذة القادمة من الغرب وامريكا، لتحليل الشخصيات الذكورية والانوثة وتأکید ما ورد من خصائص الشخصية الذكورية والانوثة في نظريات الشخصية والاختلافات النفسية بينهما.

٨. اجراء دراسات علمية تهتم بالضمير الاخلاقي للإنسان والقيم التي تحرك السلوك الانساني وتثبيت العلاقات الانسانية القائم على تكوين الأسرة والمجتمع وبعيداً عن الاقترانات الشاذة تؤكد على الرؤية الفطرية للإنسان في جوانب نموه المختلفة العقلية والخلقية والادراكية والنفسية.

٩. تشكيل مؤسسات أو جمعيات أو اقسام في العتبات المقدسة ووزارة

الاسلامي خاصة لأنه الوحيد القادر على مواجهة هذه التيارات المنحرفة بمؤمنيه وعلمائه والدعاة وغيرهم، فبرامجهم الشاذة (العولمة اللادينية) جعل الناس يتذمرون ويهربون من الدين الاسلامي وهو ما نجده على لسان المشككين في الدين وفي الثورة الحسينية الذين يحاولون ايجاد قاعدة لهم وهؤلاء هم الفساد والشاذين الذين باعوا ضمائرهم للأجنبي وعليه فأن السلطات الرسمية (الأمنية) مطالبة اليوم اكثر من اي وقت مضى بحماية المجتمع والأسرة والوطن والدين من هؤلاء الاشرار واحالتهم الى القانون لينالوا جزاءهم العادل.

٧. تكليف لجان من الخبراء في مجالات علم النفس والاجتماع والتشريح والفلسفة لإجراء دراسات علمية مضبوطة الاجراءات والتصميم والمنهج العلمي السليم لموضوع (النوع الاجتماعي) وفقاً للخطط الاسلامية ومنهجه لإثبات ما

الداخلية والاعلام والدفاع والتربية... وكل المؤسسات المعنية ببناء الانسان تقوم بدراسة وتحليل الكتب والاخبار والدعاية وعكسها وتحويلها الى اخبار ايجابية ببرامج نفسية معدة لهذا الغرض ويكون اعضاءها من خبراء علم النفس والاجتماع.

١٠. علينا التركيز على المحافظة على الأسرة والتعليم والمرجعيات، بتقوية النظام التربوي ومساندة الأسرة في تكوينها وتقديم الخدمات المناسبة لها ولضمان بقاء الدين والاخلاق ينبغي التركيز على الحفاظ على المرجعيات والعلماء والقادة والمصلحين الدينيين والاجتماعيين وان يكون هؤلاء مصدر قوة وهام لبقاء المجتمع وتكامله مع الأسرة.

١١. ان تقوم الدولة بكل مؤسساتها ومؤسسات المجتمع المدني بخلق فرص التكافؤ الاجتماعي بين الرجل والمرأة واعطاء المرأة والرجل الدور المناط بكل منهما وفقاً لتعاليم الدين الاسلامي

السمحاء بعيداً عن الاعراف والتقاليد المنافية لتعاليم الدين والتي تؤثر سيطرة الرجل بالقوة على المرأة وتعنيفها وزوجها في المناصب السياسية والقيادية ومراكز اتخاذ القرار والذي يتناسب مع قدراتها النفسية والجسدية والاخلاقية.

١٢. تعزيز التنشئة الاجتماعية والمساواة بين الجنسين والعدالة في الأسرة والتربية وعدم تفضيل احدهما على الاخر والابتعاد عن الفكر الجاهلي ﴿وَإِذَا بُنِيََ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾، انما هما جنسان خلقهما الله لتكوين اسرة.

١٣. تنشيط الدور الايجابي للمرأة والرجل وعلاقتها لا ترتبط في الانجاب وتكوين العائلة فقط بل في الادوار المشتركة والمسؤوليات المتبادلة في تكوين وادارة الأسرة والعائلة، وان الكون قائم على ثنائية المرأة والرجل والله سبحانه وتعالى خلق الذكر والانثى ولا يستطيع الكون ان يقوم على جنس واحد وتغيير خلق الله.

## المصادر

- القرآن الكريم
١. جون بول سارتر، (١٩٤٣)، الوجود والعدم، ترجمة عبد الرحمن، الناشر غاليمار، ص١٦.
٢. حسو، عصمت محمد، (٢٠٠٩)، الجندر والابعاد الاجتماعية والثقافية، دار الشروق، اطروحة دكتوراه، الاردن.
٣. حمود، عبد الحليم، (٢٠٠٨)، كواليس الدعاية الامريكية، دار الهادي، بيروت.
٤. السيستاني، محمد باقر (بدون سنة طبع)، تكامل الذكر والانثى، بحث غير منشور.
٥. سيمون دي بوفوار، (١٩٩٧)، الجنس الاخر، دار اسامة للنشر.
٦. شيريب شبيريدوفتش، (٢٠١٧)، حكومة العالم الخفية، الماسونية واصابع قيادة العالم، دار خطاب للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، طذ.
٧. القزويني، محسن (بدون سنة طبع)، الجندر وما وراء القناع، بحث منشور
- https://ar.m.wikipedia.org-wiki.
٨. ليفين، اوسكار، (٢٠١٧)، بروتكولات حكماء صهيون، تقديم عباس محمود العقاد، ط١، خطاب للنشر والتوزيع، عمان.
9. Dennis Altman, (1972), Men and Masculinity: Gay Liberation and Queer Theory, Scince, frank.org.
10. Pleck, Joseph, (1981), Myth of Masculinity, overview, Mit press.
11. Marsha M., and Linehankelly J.
- Egan, (1979), Assertion Training for Women.
12. Patricia P., (1999), Masculinity in crisis,, ? National University of Ireland.
13. R. W. Connell, (1987), Gender and Power: Society the Person an sexual Politics, Stanford University.
14. Shooks, Jhon R., (2010), The Dictionary of modern American Philosophers. pp. 2374-2376.
15. https://genderiyya. xyz.
16. https://midad. com→artucle.
17. https://genderiyya. xyz→ Wiki.
18. https://www. ibelieveinsci. com.
19. https://www. ohchr. org/ar/Publications/Special issue. Puplication/born-free-and equal-Sexual-Orientation and gender-identity
20. https://www. genderspeker. com /magnus - hirschfeld-1868-1935/ «magnus hirschfeld (1868-1935) The Father of Transgenderism», genderspeker. com.

أ. د حكمت عبيد الخفاجي  
جامعة بابل / كلية علوم القرآن

## الاتجاه الاتباعي في التفسير قراءة في المفهوم والسياق التاريخي والمرتكزات والمناهج دراسة تحليلية نقدية

وآراء شاذة نتيجة القراءة الخاطئة أو الضيقة أو غيرها، وأنَّ صفة الإبداع لا يجعله اتجاهاً معصوماً فيما أنتج، بقدر ما يعطيه ميزة التمسك بالأصالة مع الأخذ بما تفرزه المعاصرة من مناهج ورؤى لا غنى عنها.

والاتجاه الثاني في منظومة الدراسات القرآنية المعاصرة، وهو الاتجاه الإتباعي، والذي نعرض له في محاور ثلاثة:

يمكن القول إنَّ هنالك اتجاهين في الدراسات القرآنية المعاصرة: الاتجاه الإبداعي، هذا الاتجاه الضارب في تاريخ الجهود القرآنية للمسلمين بدءاً من القرن الأول الهجري وحتى اللحظة الرَّاهنة، وهو خط أصيل في الأُمَّة من حيث ارتباطه المعرفي بمصادره وتراثه وخصوصياته، إلَّا أنَّ ذلك لا يعني بأيِّ وجه أنَّ هذا الاتجاه يخلو من عثرات وأخطاء وسقطات

أشكال:

أ - تسليمية: حيث يسلم القاصر طواعيةً؛ ليفكر المُتَّبِعُ مكانه في المورد الذي يجب أن يفكر فيه هو بنفسه.

ب - استنساخية: وهي اختيار القاصر بمحض إرادته أن ينزل نتائج غيره - كما هي - على واقعه.

ج - الآلية: وهو الانسياق وراء الآخر من دون أن يشعر؛ لشدة تماهيه مع غيره.

وبما أن الإِتِّباع يقضي ضرورة إلى وجود مُتَّبِع - بالفتح - فلا بد من التعرف عليه ولأهم مرتكزاته، فنقول: إنَّ المُتَّبِع هو المنهج الغربي الحداثي، وليس المناهج المعاصرة، وهنا يكمن الفارق الجوهرى - كما تقدّم - فيما بين المعاصرة والحداثة، «فالْحَدَاثَةُ ترتبط بأسباب التاريخ الحضاري والثقافي للمجتمع الغربي، في حين أنَّ المعاصرة لا يجب فيها مثل هذا الارتباط».

الأوّل فيها ببيان المفهوم وسياقاته

التاريخية والواقع الراهن.

فيما يعرض المحور الثاني لأهم مرتكزات الاتجاه الاتباعي

والثالثة: أهم مناهجه المتبعة.

## المحور الأوّل: الاتجاه الاتباعي قراءة في المفهوم والسياق التاريخي

من الواضح أنَّ الإِتِّباع هو: الإقتفاء لغةً، والسير خلف الشيء اتِّباع، وهو لا يحمل دلالات سلبية، فإنَّ الإِتِّباع ديدن في الإنسان، ولكن الإشكال ينشأ من المُتَّبِع، ومنه يوسم الإِتِّباع بالسلبى أو الإيجابى.

ولئلا نذهب بعيداً عن المراد من الاتجاه الإِتِّباعي في الدّراسات القرآنية المعاصرة نقول: إنَّه اتجاها ظهر عند جماعة من المفكرين المسلمين يقتضي ويتبع أثر الحداثة الغربية وما انتجته من معارف، ويعمل على قراءة كافة معارفه طبقاً لها، ولهذه التَّبعية ثلاثة



وأما السمات البارزة في المنهج الغربي الحداثوي فهي ذات تظهر فلسفي أيديولوجي تختزله ثلاثة نقاط رئيسة:

أ - نظرية المركزية الأوروبية: لهذه النظرية أبعاد مختلفة نقف عند بعدها الفلسفي؛ إذ من خلاله يقرر هيغل (Friedrich Hegel) ليكون أول المبشرين بها؛ فهو الداعي لإلغاء وشطب الفلسفة الشرقية من تاريخ الفلسفة؛ لأنها ممتزجة بالدين، وتاريخ الفلسفة عنده لا يشمل تاريخ الأديان، فهي خط نهائي لحركة تصاعدية ابتدأت بالفن والدين انتهاءً بالفلسفة بصورتها العقلية الخالصة — غير الممتزجة بالدين — وبالتحديد الفلسفة الأوروبية منذ عصر النهضة، ويفضي هذا الكلام لمقولة عنصرية ضدّ الفلسفات الشرقية ومن ضمنها الإسلامية، ومن هنا فإنّ مقولة «أوروبا هي المركز العقلي في هذا العالم»<sup>(١)</sup> في حقيقتها ذات طابع

سياسي، ولا فلسفي.  
ب - النظرية العرقية: وتسعى هذه النظرية لتفسير الظواهر الفلسفية والفكرية على أساسٍ عنصري عرقي بحث، وأبرز روّادها: (رينان، وجوتيه، وشمويلدز)، متأثرين في هذا المسعى لما عرف عند علماء اللغة المقارنة من تقسيم للأجناس إلى: آرية وسامية؛ فالأوروبيون والهنود - الذين ألحقوا بالغرب؛ لتشابه اللغات - شكّلوا مجتمعين الجنس الآري، وباقي الشعوب المختلفة جنس السامي.

هذه النظرية لم تبقَ ضمن إطارها اللغوي، بل وُظِّفَت من قبل (رينان) لتعطي طابعاً آخر مضمونه: إنّ الاختلاف غير مقتصر على اللغة، بل يتعداه ليشمل القدرات العقلية من حيث المرتبة العلمية والحضارية، إذ يصرّح رينان: أنّ الجنس السامي أدنى من الجنس الآري، والروح السامية فيها البساطة والسّذاجة ويظهر من

خلال المعتقدات التي تؤمن بها مثل التّوحيد، عكس نظيرتها الآريّة فهي تمتاز بالكثرة والتعقيد<sup>(٢)</sup>.

وهذا يدل على أنّ الساميين لا أثر فلسفي خاص بهم، بل يتبعون لليونانيين، ولذا، فالفلسفة الإسلامية هي يونانية منقولة الى العربية، وتابع جلّ تلامذة رينان مسلكه هذا، أمثال: ليون جوتييه، وبريهيه وغيرهم.

ج - المنظور اليوناني للفلسفة: تقوم النظرية على أنّ كل فكرة جيدة في العالم وليدة اليونان والرومان بتأثير مباشر أو غير مباشر.

وفي خضم هذه الثلاثية المحكّمة في الفكر الغربيّ الحدائّي يتمّ انتاج المناهج والآليات لمعالجة كافة المعرفة الإنسانية، لتتطابق مع هذا الثلاثية بشكلٍ أو بآخر. وإلا فكل منتج معرفي خارج هذا النسق المنهجي، فلا يعدّ فكراً، وفي أحسن أحواله لا يعدو كونه «فكراً بدائياً» يتّسم بصفة الفكر

إمّا مجازاً أو تسامحاً.

وبإيجاز فالمنهج الحدائثي يقوم على ثلاث ركائز في قبال ثلاثة تضاده:

١ - العقلانية الغربية التجريبية في قبال كل فكر أو معرفة تنهج مسالك العقل الميتافيزيقي.

٢ - الفكر نتاجٌ غربي، في قبال كل فكرٍ إنساني آخر مدّعى.

٣ - أصالة الفلسفة الغربية في الفكر الإنساني، في قبال وجود فكرٍ إنساني غير آخذٍ منها.

وفي خضم هذا، يمكن التساؤل عن أسباب ظهور اتجاه اتّباعي للمنهج الحدائثي الغربي، البعيد كل البعد عن البنية الإسلامية؟

يمكن ارجاع الأسباب إلى نوعين:

أ - أسباب داخلية، تعود إلى مجموعة من النكسات المعرفية والاقتصادية والاجتماعية التي تمرّ بالأمة العربية المسلمة، وهزّالة الحلول، في مقابل نهوض حضاري

يقابله في الغرب وتطوّر على كافة الأصعدة، وهو ما ولّد قناعة راسخة عند كثيرٍ من المفكرين الإسلاميين أنّ الحل يبدأ من الغرب وإلى الغرب، لا بمراجعة الذات، ولا بإعادة إحياء التراث برؤية نقدية يتم تصحيح ما فسد منه من الأطر السليمة، بل الحل في استنساخ التجربة الغربية في النهوض استنساخاً حرفياً.

ب - أسباب خارجية، تكمن في السياسات الغربية في التوجّه إلى الشرق وقراءة تراثه، وخلق منهج مختلف ومغاير للتعرفّ على الشرق والإسلام عن ما هو متعارف، منهجٌ يستطن التشكيك في كل الثوابت الإسلامية القائمة، وهو ما يعرف بالمنهج الإستشراقي، فمنه ظهرت البدايات الأولى للقراءات المغايرة للقرآن مع نودلكه، وكذا تفسير الوحي بالحالات العصية مع غوستاف لوبون وغيرهم، وقد وجد هذا المنهج رواجاً وقبولاً عند كثيرٍ من

المفكرين المسلمين.

كما أنّ السبب الخارجي الآخر هو الإستغراب، أي ما يعرف بالرحلة العكسية بتوجّه الشباب المسلم للغرب والتّعرف عليه، والدراسة والأخذ عنه، ولاحقاً الذهول أمامه، ومن ثم العودة أخرى إلى الواقع الإسلامي للترويج له.

### المحور الثاني: أهم مرتكزات الاتجاه الاتباعي وأهم مناهجه المتبعة

بعد التّطرّق إلى السياق التاريخي لتبلوّر الاتجاه الاتباعي في الدّراسات القرآنية والفكرية بشكل عام، لا بدّ من الحديث عن أهم المرتكزات الفكرية المنهجية لهذا الاتجاه، ويمكن رصدّه في ثلاث خطط فيما يرتبط بالدّراسات القرآنية<sup>(٣)</sup>، بل وفي الفكر الإسلامي بشكل عام:

١ - التّأسيس

٢ - التعقيل

### ٣ - التاريخية

١ - التأسيس: وهي بالأساس تستهدف رفع عائق القدسية عبر نقل الآيات القرآنية من الوضع الإلهي إلى الوضع البشري، وذلك من خلال عدّة عمليات منهجية نذكر منها:

١ - حذف عبارات التعظيم من القرآن الكريم التي يستعملها الجمهور؛ مثل: (القرآن الكريم) و(صدق الله العظيم).

٢ - استبدال مصطلحات جديدة بأخرى مقررّة، كأن يستعمل مصطلح (الخطاب النبوي) مكان مصطلح (الخطاب الإلهي).

٣ - المماثلة بين القرآن والنبي عيسى عليه السلام؛ فكلاهما كلمة الله سبحانه، وبما أن المسلمين ينفون عن عيسى عليه السلام الطبيعة الإلهية، فكذلك القرآن بنفس اللّحظ تُنفى عنه الطبيعة الإلهية.

هذا التطبيق لهذه المناهج يجعل القرآن نصّاً لغوياً مثله أي نص بشري،

ويترتب على هذه المماثلة اللغوية عدة

نتائج، منها:

أ - السياق الثقافي للنص القرآني: فالنص القرآني نصّ منتجٌ وفقاً لمقتضيات الثقافة التي ينتمي إليها، ولا يفسّر إلّا في ظلّها.

ب - الوضع الإشكالي للنص القرآني: حيث يصير النص القرآني نصّاً إجمالياً وإشكالياً يفتح على احتمالات متعددة، يقبل تأويلات غير متناهية، ولا ميزة لتأويل على غيره.

ج - عدم اكتمال النص القرآني: حيث يصبح (نصّاً غير مكتمل) لا يرفع احتمال وجود النقص، ولا ينفي الزيادة.

٢ - التعقيل: هذه الخطة تستهدف أصلاً رفع الغيبية، عبر التعامل مع الآيات القرآنية بكل وسائل النظر البحث التي توفرّها المنهجيات والنظريات الحديثة، ويتم هذا التعامل بواسطة عمليات منهجية

خاصة نذكر منها:

أ - نقد علوم القرآن: بزعم أن علوم القرآن تشكّل وسائط معرفية متحجرة تصرفنا عن الرجوع إلى النص القرآني ذاته، كما أنّها تحوّل دون أن نقرأ هذا النص قراءة تأخذ بأسباب النظر العقلي الصريح.

ب - التوسّل بالمناهج المقررة في علوم الإنسان والمجتمع: معتبرين مقتضيات القرآن البحثية لا تختلف عن مقتضيات غيره من النصوص، ومن هذه المناهج (علم التاريخ) و(علم الاجتماع) و(علم الأناسة).

ج - إطلاق سلطة العقل: فلا توجد آية قرآنية تمنع من اجتهاد العقل، بل لا توجد حدود مرسومة يقف العقل عندها!!.

وبالمحصّلة: يؤدّي تطبيق هذه العمليات المنهجية التعقيلية إلى جعل القرآن نصّاً دينياً مثل أيّ نص ديني آخر، توحيداً كان أم وثنيّاً، وترتب

على هذه المماثلة نتائج، منها:

- تغير مفهوم الوحي: حيث يقضي هذا التأويل المعقول للوحي حمله على معنى: «الموهبة التي يختص بها الإنسان» نبياً كان أم عبقرياً.

- عدم أفضلية القرآن: فإنّ ما ثبت من الأحكام للتوراة والإنجيل يثبت للقرآن أيضاً، ولا أفضلية للقرآن على هذين الكتابين في أيّ جانب، حتّى فيما يتعلق بالحفظ من التبديل؛ فكما دخل التبديل على الكتابين يمكن دخوله على القرآن!!.

- تجاوز الآيات المُصادمة للعقل: فكل ما يُصادم العقل في النص القرآني من قضايا وأخبار لا يعدو كونه شواهد تاريخية على طور من أطوار الوعي البشري، وينبغي إبقاء هذه القضايا في سياقها الأصلي، وعدم تعديّة مدلولاتها إلى مداليل تعتبر متفوقة عليها عقلياً!!.

٣ - التاريخية: تستهدف هذه الخطة

أساساً رفع (عائق الحكمية) المتمثل في اعتقاد أن القرآن جاء بأحكام ثابتة وأزلية، ويتم هذا الرفع عبر وصل الآيات بظروف بيئتها وزمنها بسياقاتها المختلفة، ويتم هذا الوصل بواسطة عمليات منهجية، منها:

أ - توظيف المسائل التاريخية المسلم بها في تفسير القرآن: فهناك مسائل اشتغل بها قدماء المفسرين تكشف عن ارتباط بعض آيات الأحكام بالوقائع التاريخية، ومن هنا، وجد أهل القراءة الحديثة في هذه المسائل ضالتهم في تحصيل المشروعية لممارسة النقد التاريخي على هذه الآيات، بل مبرزين تناقض المفسرين بالإقرار بوجود التاريخية، والقول بوجود الأزلية.

ب - تقليل عدد آيات الأحكام: يرى الحديثون أن آيات الأحكام تمثل نسبة محدودة متأثرة بالأوقات الخاصة التي نزلت بها، حتى إن أكثرها قد تجاوزها التاريخ، ودعوا إلى الاقتصاد

على أقل عدد ممكن من هذه الآيات. ج - تعميم الصفة التاريخية على العقيدة: فالتاريخية تدخل أيضاً آيات العبادات؛ إذ أن هذه الآيات تابعة للمستوى المعرفي في العصر الذي نزلت فيه، ولما كانت مرتبة وعيهم دون مرتبة الوعي النقدي، لزم أن تكون بعض هذه التصورات ذات صبغة أسطورية.

وبالنتيجة يؤدي تطبيق هذه العمليات (المنهجية التاريخية) إلى جعل القرآن نصاً تاريخياً مثله مثل أي نص تاريخي، وتترتب على هذه المماثلة نتائج، منها:

- إبطال المسألة القائلة بأن القرآن فيه بيان كل شيء: فالنص القرآني لا يتضمن تمام التشريع الإسلامي، وآية إتمام الدين والنعمة لا تدل إلا عن تمام التنزيل !!.

- الدعوة إلى تحديث الدين: حيث جاء الحديثون بتصور غريب للإيمان؛





المعاصرة والانتقال إلى عرض نماذج مختارة والتطرق لحيثاتها بشكل مفصل.

### أولاً: المنهج الهرمنيوطيقي

الهرمنيوطيقا كلمة يونانية الأصل استعملت في عهد أفلاطون، ذكرها أرسطو في كتابه الأرغانون في حديثه عن بنية القضية وأقسامها، واستخدمت الكلمة بعد ذلك وحتى فترة متأخرة دون أن تتحول إلى علم قائم بذاته إلى القرن السادس والسابع عشر، وهو المعروف بـ (عصر النهضة) إذ تحولت إلى علم ومشروع نظري.

أمّا اشتقاقها: فقليل من (هرمس): وهو الإله اليوناني الذي يمثل الناطق الرسمي للآلهة ولسانها، ومؤسس الخط واللغة حسب اعتقاد اليونانيين، ومن هنا فقد اشتقت الهرمنيوطيقا بمناسبة اللغة وما يمثلها هرمس من اللغة والنطق نيابةً عن الآلهة<sup>(٤)</sup>.

إذ يعتبرون أنّ الإيمان يورث التوتر في النفس لإثارته الأسئلة، وتضعف الحالة الإيمانية بالممارسة التعبدية، لاقتضاءها أداء طقوس محددة، فبقدر ما يتخلّص الفرد من أشكال التدين الموروثة يكون نهوضه بمقتضى التحديث!!.

### المحور الثالث: وأما أهم المناهج في الاتجاه الاتباعي الحداثي هي:

- ١ - المنهج التأويلي الهرمنيوطيقي
- ٢ - المنهج الألسني النقدي
- ٣ - المنهج التاريخي
- ٤ - المنهج الأسطوري
- ٥ - المنهج البنيوي
- ٦ - المنهج التفكيكي

وهي المناهج الرئيسة التي سيتم بيانها وعرضها بشيء من التفصيل، ليتهاي بذلك الحديث عن كافة الاتجاهات في الدراسات القرآنية

المنهج الأصولي الاجتهادي وتقنيته بشكل واضح، ومن هنا كانت الولادة الفعلية للهرمينوطيقا في الغرب على شكل كتابة مدونات أولية، ولم تقف هذه المحاولات عند النص الديني، بل تعدّته إلى كلّ نصٍ قانونياً كان أم أدبياً... الخ<sup>(٦)</sup>.

ويعتبر دان هاور (Johann Conrad Dannhauer)، أول من وضع كتاباً حمل عنوان (الهرمينوطيقا) سنة ١٦٥٤، وهو التاريخ الذي اعتبره غادامير المرحلة التي تميّز بين التأويل اللاهوتي والتأويل القانوني. ومن ثمّ تتالت الدعوات في الشأن ذاته<sup>(٧)</sup>.

## ٢. ماهية الهرمينوطيقا وأقسامها

قبل الخوض في تعريف الهرمينوطيقا لا بدّ من الإشارة إلى ملحوظة الفيلسوف الأمريكي ريتشارد بالمر (Richard Palmer)<sup>(٨)</sup> — أحد الكتاب المعاصرين في موضوع الهرمينوطيقا

ويناقش الباحثون هذا الرأي ويذهبون إلى أنّه لا يعدو كونه مجرد نظرية وفرضٍ غير مسندٍ بالأدلة.

## ١. التسلسل التاريخي

وتعتبر الحقبة الزمنية السابقة على القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين حقبة (ما قبل تاريخ الهرمينوطيقا)، وقبل ذلك لا وجود لها كنظرية مستقلة، فالهرمينوطيقا في القرنين السادس والسابع عشر اقتصرت على الممارسة، ولجوء علماء الغرب لتفسير النص الإنجيلي من خلالها، وهو نوعٌ من أنواع الفعل الهرمينوطيقي، مما يدلُّ على وجودها عند كبار العلماء المسيحيين، أمّا تحوُّلها إلى علم قائم بذاته فإنّه لم يكن إلّا في عصر النهضة، وهو المقصود بتاريخ ما قبل الهرمينوطيقا وبعدها<sup>(٩)</sup>، ففي القرنين السادس والسابع عشر ظهرت بوادر أوليّة لكتابة منهج في تفسير الإنجيل بعملية مشابهة لتبلور

ـ؛ في كتابه (علم الهرمينوطيقا) إذ يشير إلى التباس هذا المفهوم وعدم وضوحه، وهو الأمر الذي استدعاه لإفراد فصل كامل لتعريفه، على الرغم من أن الكتاب لم يكن معنياً بمسألة تعريف المفهوم.

ومن خلال مراجعة لترجمة المفهوم إلى العربية، يتضح انصرافه إلى معنيين: التأويل (تأويل النص) والتفسير (تفسير النص)، على الرغم من كون المصطلح تاريخياً لم يقتصر على ذلك<sup>(٩)</sup>.

بعد هذا، يمكن استعراض التعاريف التي قدّمها (ريتشارد بالمر)، وهي ستة، بالإضافة لتعريفين آخرين:

أ - العلم المعني بتفسير الكتاب المقدّس وهي (الهرمينوطيقا البدائية)، ويلاحظ فيه عدم شمول الهرمينوطيقا لغير النص المقدّس مثل (الشعر مثلاً)، ويدلّ هذا المعنى على أن العلم ولد من رحم الكنيسة بصيغتها البروتستانتية

التجديدي الإصلاحي<sup>(١٠)</sup>.

ب - فن فهم الكلام المقول والمكتوب فهماً وقولاً فهماً كاملاً تاماً - وهو تعريف جان مارتن كلادينيوس المتوفى ١٧٥٣ م -، ويرتكز على قواعد خاصّة تشبه قواعد المنطق تستخدم في فهم كافّة الكلام مقولاً ومكتوباً<sup>(١١)</sup>.

ويلاحظ هنا: اتساع الدائرة من الكلام المقول ليشمل المكتوب أيضاً، ولا يقتصر على الكتاب المقدّس فقط، ولكنّه - كلادينيوس - ضيق سعته التطبيقية حين قصر استخدامه في مرحلة إلتباس النصوص المعقّدة<sup>(١٢)</sup>.

ج - مجموعة من القواعد المنظّمة والمنهجية التي تهدف إلى رفع سوء فهم النص - وهو تعريف (فريدريك شلاير ماخر) المتوفى ١٨٣٤ م -، وهذا التعريف يؤسس لأصل مفاده: «أصالة الخطأ في فهم النص»، فقد اعتبر شلاير ماخر أن أي نص - ديني أو غيره - يُعرض على إنسان فإن

التعريف؛ إذ أُخذ الفهم - الفهم المطبق - كارتكاز لموضوعه الهرمينوطيقا.

و- علم عمل الفهم في علاقته بتفسير النص - وهو لـ (بول ريكور) صاحب كتاب (من النص إلى الفعل)، وهي نظرية للقواعد الحاكمة على التفسير؛ أو بعبارة أخرى: هي تأويل لنص خاص أو لمجموعة من العلامات التي تُعتبر بمثابة النص<sup>(١٥)</sup>.

ز - حركة التأمل الفلسفي الألماني والفرنسي بدءاً بـ (شلاير ماخر، وديلتاي) وانتهاءً بـ (غادمار وتوبتي كور)، فالهرمينوطيقا - حسب (ريتشارد بالمر) صاحب التعريف - قبل (ديلتاي) اقتصرت على النص، ومعه تطوّرت لتصبح منهجاً معرفياً في العلوم الإنسانية، وصولاً إلى (غادمار) لتصل إلى شكلها الفلسفي، حيث انتقلت لتحليل عملية فهم سير العقل نحو النص<sup>(١٦)</sup>.

ومن الملاحظ أن تفسير

احتمال الخطأ في الفهم وارد؛ وذلك للطبيعة التكوينية للإنسان، ولذا فإن الهرمينوطيقا تكون لاجتناب هذا الخطأ وسوء الفهم<sup>(١٣)</sup>.

د - العلم المتكفّل بتقديم منهج معرفي في العلوم الإنسانية، وهو - فيلهم دلتاي المتوفى ١٩١١ م -، وقد لاحظ صاحب التعريف مشكلة في العلوم الإنسانية وهي: التشعب والفوضى على العكس من تلك العلوم الرياضية والتجريبية المعروفة بدقّتها، لذا طرح الهرمينوطيقا كمنهج لضبط العلوم الإنسانية<sup>(١٤)</sup>.

والملاحظ هنا: الاتّساع والخروج عن دائرة النص والتأويل، فمدرسة ديلتاي تختلف عن المدرسة السائدة في الهرمينوطيقا والتي يغلبُ محورُها حول النص والتأويل.

هـ - تعلّم الفهم، - وهو تعريف للفيلسوف (بوبر) -، وقد اختلفت موضوعه الهرمينوطيقا بناءً على هذا

النص الديني، وكذلك بقيّة النصوص<sup>(١٨)</sup>.

ب - العامة: وتعني الإيمان بوجود قواعد حاكمة في فهم النص بشكل عام ولا تمايز بين نص وآخر.

ج - الفلسفية: وهي دراسة الفهم وتحليله تحليلاً فلسفياً كاملاً.

#### ٤. الأفكار الهرمينوطيقية لأبرز روّادها في الغرب

يمكن القول إنّ الحركة التأويلية قد بدأت في أواخر القرون الوسطى، وما لاشكّ فيه أنّ بروز هذه الحركة كانت في القرن التاسع عشر والأكثر بروزاً في القرن العشرين، كما أنّ المدرسة التأويلية بصورتها المنظّمة كانت مع (شلاير ماخر)، ومن هنا فلا بأس باستعراض نتاج عدّة مفكرين لهم الأثر الكبير في الحركة التأويلية.

١- شلاير ماخر ( Friedrich Schleiermacher): ولّد الفيلسوف واللاهوتي الألماني

الهرمينوطيقا بعملية الفهم وتحليلها أمر يشوبه التعقيد والتداخل مع بقيّة العلوم؛ لدورها في الوصول إلى فهم معيّن إزاء موضوعة محددة.

هذه التعاريف الثمانية يلاحظ فيها اتجاهات ثلاثة:

الأول: اتجاه النص مطلقاً

الثاني: منهج معرفي للعلوم الإنسانية

الثالث: فلسفي بحث تحليلي يتّجه نحو تحليل الفهم

#### ٢. أقسام الهرمينوطيقا

تنقسم الهرمينوطيقا إلى ثلاثة أقسام<sup>(١٧)</sup>:

أ - الخاصة: ويقصد بها العلم المعني بتفسير النص، على شريطة أن يكون مقولاً أو مدوّناً، ولكلّ نصّ خصائصه الذاتية، وليست على نسق واحد؛ فلا يمكن تطبيق ذات القواعد الهرمينوطيقية المستعملة في الأدب مع

الأولى: كانت الهرمينوطيقا قبل شلاير ماخر مقتصرة على النص المقدس (التوراة والإنجيل)، لكن معه تبدل الحال؛ إذ حاول أن يحلل عملية فهم النص، دون التقيّد بنص مقدّس، بل دعا إلى إرساء قواعد لعملية الفهم بشكل عام لأي نص، وتحليلها فلسفياً بنوياً، فالخطوة الأولى عند (ماخر) تكمن بالانتقال من النص المقدس إلى كل النصوص وتحليل الفهم.

الثانية: ذهب (ماخر) إلى أنّه من غير الممكن فهم قصد المتكلّم ومراده من خلال النص فحسب، إذ لا بدّ من عنصر آخر تتم به عملية الفهم وهو: عنصر (فهم المتكلّم)، فقبل البدء بتحليل النص يجب التوجّه للمتكلّم نفسه، وإلا فالإقتصار على النص يعني الركون إلى الدلالة الناقصة في الفهم.

- والمقصود من (فهم المتكلّم) هو: التعرّف على السياق التاريخي والأوضاع الاجتماعية والسياسية وكذلك الحالة الشخصية (غني -

فريدريش دانييل شلاير ماخر بفروكلاف (سيليزيا) في ٢١ نونبر ١٧٦٨م من عائلة بروتستانتية. تعلّم بالمدرسة الإكليريكيّة للإخوة المورافيّين في باري، ودرس في جامعة هال من سنة ١٧٨٧ إلى سنة ١٧٨٩م، ولم يخف تبرّمه وضيقه من عقلائيّتها، وهو ما أدخله في متاهة وحيرة انتهتا به إلى انتباز العقائد الدينيّة كافة واعتبار كلّ تدخّل للعقل في مجال الإيمان نوعاً من الانحراف. ومع ذلك، اجتاز في سنة ١٧٩٠م ببرلين الامتحان اللاهوتي لختام الدراسة ورُسّم قساً، ثم عُيّن واعظاً مساعداً (١٧٩٤) فمرشداً روحياً (١٧٩٦) في مستشفى المحبّة ببرلين. ذاع صيته نتيجة مؤلّفه (خطب في الدين) الذي أثار سجالات واسعة ومؤاخذات جمّة، تولى شلاير ماخر الإجابة عنها في كتابه (مناجاة النفس) سنة ١٨٠٠م.

- الهرمينوطيقا عند شلاير ماخر، وتتلخص نظريته بعدّة نقاط:



فقير) للمتكلم<sup>(١٩)</sup>.

فعملية الفهم - عند ماخر - تتم بشرطين:

دراسة النص، وفهم المتكلم (في ظرفه التاريخي). ومن دون هذين العنصرين فإنَّ أي فهم سيكون ناقصاً. الثالثة: إنَّ الاتجاه الهرمينوطيقي قبل ماخر ينحصر في النصوص الملتبسة وذات التعقيد، إلّا أنَّ ماخر وسَّع من هذا الأمر ليجعل دائرة الهرمينوطيقا صالحة لكافة النصوص المعقَّدة وغيرها، والنص أعم من المقروء والمكتوب.

الرابعة: هناك اتجاهان في الغرب إزاء الفهم:

أولهما: القائل بأنَّ النص لا يمكن أن يفهم، وإذا أريد ذلك فعلى القارئ أو المتلقّي للنص أن يعلن موت المؤلف، ولا يعير اهتماماً لما يقصده، بل يكتفي أن يكون هو والنص وما يمكن أن يفهمه أو يفسّره حتى وإن

كان هذا الفهم غير مقصودٍ لصاحب

النص الأصلي.

ثانيهما: مدرسة إمكان الفهم، وشلاير ماخر من أتباع هذه الاتجاه، فعلى الرغم من إيمانه بوجود تمايز بين الأنا والهو، وهو نوع غربة بين الطرفين، والذي بموجبه لا يمكن القول: إنهما (لا يفهمان أو يفهمان) بعضهما بالكلية، وذلك يعني وجود قواسم مشتركة تمكنهما من الفهم، كما أنَّ بينهما حيثية تمايز، ولهذا فإنَّ كلاً من الأنا والهو يتصلان عبر القواسم المشتركة بينهما، ومن جهة أخرى يتمايزان، وعليه فإنَّ عملية الفهم ممكنة في أفق المشترك<sup>(٢٠)</sup>.

الخامسة: إنَّ احتمال الخطأ في أي تفسير لأي نص ممكن؛ وذلك بسبب حالة الاغتراب الناتجة عن التمايز بين (الأنا) و(الهو)، ومؤدّى هذا القاعدة: (إسقاط الجرم في فهم النصوص)، ولا وجود لمثل قاعدة: (دلالة النص صريحة).

اللاهوت في جامعة فرايبورغ وعيّن بها خلفاً لأستاذه إدموند هوسرل بعد أن حصل على الدكتوراه سنة ١٩١٦، كما عيّن أستاذاً للفلسفة في جامعة ماربورغ (١٩٢٣-١٩٢٨)، ثم أصبح رئيساً للجامعة سنة ١٩٣٣.

ترك هايدغر مؤلفات كثيرة كان أهمها: «الوجود والزمان»، «كانت ومشكلة الميتافيزيقا»، «ماهية الحقيقة» «رسالة حول المذهب الإنساني»، «مدخل إلى الميتافيزيقا».

- ويعرف بـ مؤسس الهرمينوطيقا الفلسفية، وقد تأثرت بفكره كافة التيارات الإصلاحية في الكنيسة البروتستانتية، وأعدت إنتاجه وتطويره.

## المشروع الهيدغري الهرمينوطيقي

إن أهم خطوة قام بها هيدغر والتي تحولت على إثرها الدراسات الهرمينوطيكية تحولاً جذرياً هو

السّادسة: من الخطأ المبالغة في دور اللغة واعتبارها كاشفاً أساسياً لعملية فهم النص؛ فإنها لا تعدو كونها جزءاً في عملية الفهم، وليست المعيار الأوّل فيه، فدور اللغة أقل مما يتوقع.

هذه النقاط الستة هي خلاصة نظرية شلاير ماخر في الهرمينوطيقا، والجدير بالذكر أن ماخر لم يترك أثراً كاملاً في الهرمينوطيقا، وبقيت دراساته حول الموضوع منقوصة، وتثار على مشروعه الهرمينوطيقي كثير من التساؤلات دون إجابة، ولا غرابة في الأمر فالمشروع التجديدي كثيراً ما يواجه النقد إلا أنه فيما بعد يأخذ موقعه الصحيح، ومع هذا حاول العلماء الغربيون سدّ الثغرات الكبيرة في فهم شلاير ماخر والضعف في نظريته.

## ٢ - مارتين هايدغر Martin

Heidegger، مفكر وفيلسوف ألماني معاصر، ولد في مسكيرش في مقاطعة بادن بألمانيا ومات في فرايبورغ. درس

الانتقال من ضوابط (فهم النص) إلى (حقيقة النص والفهم)، ومع اكتشاف حقيقة الفهم فإنَّ الخروج بضوابط الفهم يصبح أمراً اعتيادياً، وإلاَّ فإنَّ التركيز على الضوابط هو بحث سطحي.

— نظرية هيدغر في الفهم: (٢١)  
ويمكن إيجازها في نقاط عدة:

أ - الفهم ليس فعلاً إنسانياً، بل هو رتبة من رتب الإنسان، فالإنسان يرفع سعته الوجودية، والفهم منزلة وجودية، ومع عدم الفهم فإنَّ لازم ذلك الحرمان من مرتبة وجودية.

ب - الفهم عند «هيدغر»، هو قدرة المرء على إدراك إمكانات وجوده ضمن سياق العالم الحياتي الذي وُجد فيه. والفهم ليس موهبةً خاصة أو قدرة معينة على الشعور بموقف شخصٍ آخر، ولا هو القدرة على إدراك معنى أحد تعبيرات الحياة على مستوى أعمق، «والفهم ليس شيئاً نمتلكه» بل

هو شيء «نكونه»! والفهم شكلٌ من أشكال «الوجود في العالم»، أو عنصرٌ مكونٌ من عناصر «الوجود في العالم»، والفهم هو الأساس لكل تفسير، وهو متأصلٌ ومصاحبٌ لوجود المرء وقائمٌ في كل فعلٍ من أفعال التأويل، وهو واحد لا يقبل التجزئة، ففهمك للمسألة الطبيعية هو ذاته للمسألة الإنسانية. وهو ما اختلف فيه مع ديلتاي (٢٢).

ج - الفهم ذو بعدين، فتارة يؤخذ الفهم بما هو هو، وأخرى حال كونه مرآة وآلية.

فالفهم: وجودي وهرمينوطيقي، والهرمينوطيقي هو حال كونه في رتبة الحكاية والمرآتية، وعليه فلا بدَّ من دراسة الفهم وجودياً كي يتسنَّى الفهم الهرمينوطيقي لاحقاً (٢٣).

د - لا يمكن فهم شيء إلاَّ مع توفّر مخزون داخل الذهن، ووجود فرضيات قبلية وتصوّرات مسبقة.

في التراث الإسلامي هو الأصل، والمفسر يسعى لفهم مراده. أمّا في الهرمينوطيقا فإنّ المفسر هو الأصل ولا أهمية للمؤلف ومراده.

٢- ثبات المعنى وتغيّرات في الفهم، وبعبارة أخرى: في عالم الثبوت ثبات في المعنى، والتغيّر في عالم الإثبات (الفهم)، وهذا الأمر هو ما عليه الفهم القديم التراثي، وعلى العكس من ذلك في الفهم الهرمينوطيقي، فما دامت الأصالة للمفسر فلا ثبات في المعنى، والمعنى هو ما يصنعه المفسر.

٣ - الوصول إلى المعنى: ففي الفهم التراثي الإسلامي المعنى ثابت فيحتل في الوصول إليه الوقوع في الخطأ، وقد يصيب، وبعبارة أوضح: هناك (فهم خاطئ) و(فهم صحيح)، ولكن في الفهم الهرمونوطيقي فإنّه لا معنى لوجود هذا التقسيم؛ إذ لا قرار للمعنى فلا خطأ ولا صواب<sup>(٢٥)</sup>، بل كل التفاسير مصيبة، وبدرجات معيّنة من الإصابة.

ففهم النص مثلاً يتم من خلال القابل والفاعل؛ أي: من النص ومن قابليات القارئ، فإنّ صاحب التوجّه الفلسفي يقرأ الأمور بشكل فلسفي... الخ.

هـ - (موت المؤلف)، فهو لا يعير اهتماماً لما يريده المؤلف من الكلمة وماذا قصد منها، بل لا يوجد إلّا القارئ والنص لا ثالث معهما، فليس الفهم محاولة للعبور من النص إلى المؤلف - كما هو الحال في الهرمينوطيقا المنطقية - بل هي المباشرة بين القارئ والجمل ذات المعاني والدلالات لتعطي فهماً ووعياً أكبر وارتفاع في الرتبة الوجودية<sup>(٢٤)</sup>.

## ٥. نظرية الفهم بين التراث الإسلامي والفهم الهرمينوطيقي الحديث

يمكن إيجاز الفوارق بين نظرية الفهم في التراث الإسلامي والهرمينوطيقا في عدّة نقاط:

١- محورية المؤلف: فمؤلف النص

٤ - وجود منهج لتفسير النص: من المعروف وجود منهج لفهم النص في التراث الإسلامي القديم، وحتى عند بعض مدارس الهرميوطيقا، إلا أن هناك مدارس هرمينو طيقيّة متطرّفة لا ترتضي الحديث عن منهج وترك الأمر انسياً.

٥ - إمكانية الوصول إلى المنهج: ففي الفهم الإسلامي تعتبر مسألة الوصول إلى المنهج أمراً ممكناً، غير إن المدارس الهرميو طيقيّة لا تجزم بإمكان الوصول إليه، وإن كان موجوداً.

٦ - تقسيم النصوص إلى صريح وظاهر ومجمل: قامت ثقافة فهم النص في التراث الإسلامي على تقسيم النصوص إلى: صريح وظاهر ومجمل، وعلى هذا التقسيم تقوم كل كتب التفسير والحديث والأصول وغيرها، إلا أن التفسير الهرميو طيقي المعاصر لا يرى صواب هذا التقسيم، فالظهورات إنما تنجز وتعدّر بناء على فهمك الأصولي لا أنها شيء واقعي،

وفي عملية فهم النص يتم البحث عن شيء واقعي والظهورات احتمالات والاحتمالات لا يقين معها.

٧ - الفهم التراثي يؤمن بأن البعد الزمني عن المؤلف غير ضار ويمكن اختزاله، على العكس من التفسير الهرميو طيقي حيث لا يرى إمكانية الاختزال.

٨ - في التراث يُعتقد أن التفسير قد ابتلي بمسألة (التفسير بالرأي) وهو تفسير مذموم، أما التفسير الهرميو طيقي فليس هناك ما يسمّى بالتفسير بالرأي؛ لأنّ المعيار هو المفسّر وما يوجد من معنى.

٩ - يعتقد الهرميو طيقيون بالنسبية في فهم النصوص طبقاً لاختلاف المناخات الزمانية والمكانية والظروف المحيطة بالنص، وهذا ما لا تقبله وغير موجود أساساً في نظريات الفهم في التراث الإسلامي، فليس هناك تفسير نسبي، بل إما أن يكون صائباً أو خاطئاً.

## تطبيق المنهج الهرمنيوطيقي على القرآن

يمكن الخلوص إلى عدة نتائج في تحكيم الهرمنيوطيقا والفلسفية منها خاصة:

١ - لا يخضع تفسير النص القرآني لاستكشاف مراد الله سبحانه؛ لأن علاقة القرآن بالله تعالى علاقة غير ذاتية، فالمؤلف منقطع عن نصه.

٢ - يخضع الفهم في التطبيق الهرمنيوطيقي إلى سلسلة من الاعتماد على العديد من العوامل المعرفية من دون خصوصية لنص ديني أم بشري ولا لآلياته الخاصة به.

٣ - ليس هنالك من نص إلهي؛ إذ التقلب في الإطار اللغوي البشري يخرج عن دائرته الغيبية، وبالتالي فإن التوضع اللغوي يمنع وجود نص إلهي.

٤ - ليس هنالك من تأويل يوسم بالصحة أو الخطأ، فإن النص مفتوح

على جميع التأويلات.

## ثانياً: التاريخيّة (المنهج التاريخي)

وهي من أبرز النظريات المطروحة في الفكر الحدائي، وكان تداول هذه النظرية أول الأمر في الغرب تعبيراً عن الصراع في معالجة المعرفة الدينية وتحليلها؛ بين كونها معرفة ما ورائية في مضامينها ولغتها، أو هي بشرية تخضع لقوانين التحليل المعرفي البشري والظواهر المرتبطة به.

إلا أن مقولة التاريخيّة لم تقف عند الفضاء الغربي، بل تعدتها إلى الفكر الإسلامي لتظهر في خطابات الحدائين المعاصرين، وقد شكّلت - كما في مهدها الغربي - عنصر إثارة وصراعاً فيما بين المتبنين والنافين لها في الواقع الإسلامي.

وقبيل التطرق لأيّ مضامين ترتبط بالتاريخيّة لا بدّ أولاً من التعرّف على حقيقتها الماهويّة، والتي من خلالها





يمكن تلمّس خطورة هذا المنهج ومؤدّياته.

لحظةً معيّنة ومكانٍ محدد، وهي بهذا اللحاط تكشف وتعبر عن زمنٍ تاريخي معيّن.

### أولاً: المفهوم والدلالات

يلحظ الباحث في مفهوم التاريخية ثمة العديد من المفاهيم أو المصطلحات المقاربة لها من حيث التركيب فهناك التاريخية والأرخنة وغيرها، وقد تستعمل جميعها في التعبير عن معنى واحد، وقد تتغير، فيراد بكل منها معنى يخصّها دون غيرها، وعلى أيّ حال فليس المراد التكرير في المصطلحات إلّا بقدر ما تنتج من معانٍ إزاء هذه التكرّر، وعليه فإنّ جميع هذه المصطلحات تدور مدار مقصدين ومعنيين مرادين:

#### أ- الوجود التاريخي

#### ب- الإنحصار التاريخي

- أمّا الوجود التاريخي: وهي تعني حتمية وجود الأشياء والمعارف والقيم والبنى الأخلاقية وكافة الظواهر في حيّز الزمكانية؛ أي في

- وأما الإنحصار التاريخي، فيقصد منه أنّ جميع ما تولّد وأنتج من ظواهر ومعارف وقيم، ينحصر استعماله وصلاحيته في دائرة وجوده (التاريخي)، ولا إطلاقيه أو شمولية ولا تعالي لأيّ معرفة أو ظاهرة أو قيم، وأنّ لكل وجودٍ تاريخي إنحصارٌ تاريخي لقيمه ومعارفه... الخ.

ويلاحظ أنّ المعنى الأول لا يواجه إشكالاتٍ في مقصوده، فإنّ كون الأشياء بمختلف مسمياتها وأنواعها أمراً حادثاً تقتضي لحظةً ولادةً حتمية في زمن ومكانٍ معيّنين، ولا يضرّ وصف أيّ معرفة بل وحتى الأديان ونصوصها بكونها أمراً تاريخياً بهذا المعنى.

إلّا أنّ الإشكالية تتركز في المعنى الثاني، فهو يعبر عن فلسفة وجود كل

شيء في نطاق التقييد الزمكاني، والذي

ينتج عنه:

١ - لا معرفة مطلقة ومتعالية على الزمن.

٢ - القطيعة المعرفية بين الأزمنة؛ فالزمن المعرفي السابق لا يملك قدرة ولا خاصية التواصل المعرفي مع اللاحق؛ فإنَّ أيَّ شيءٍ من حيث إنَّه وليد حقبة وظروف معيَّنة، فإنَّ فاعليته تنحصر بتلك الحقبة والظروف ذاتها، وأمَّا في غيرها من الظروف والأزمنة فإمَّا أنَّه لا فاعلية له، أو تتبدل حقيقته لأخرى، وهو بذلك قد فقد فاعليته الأولى، ليتهاهى مع الظرف والزمن اللاحق فهو متأثر لا مؤثِّر.

٣ - كل الممارسات والظواهر والقيم والمعارف والنصوص الدينية في إطار الإنحصار التاريخي بشرية؛ لكونها ممارسة قام بها الإنسان، فهي تنطبع بخصائصه، ومتَّسقة معه فهماً وسلوكاً وثقافةً ونظماً، ومعنى كونها

(بشرية) يمكن تحليله بمعنيين:

المعنى الأول: انطباع السماوي بالبشري، أن يكون الدين والنص الديني أمراً واقعياً حقيقياً لا مخيلاً، وأنَّه سماوي، فإنَّه في هذه الحال حين ينزل إلى البشر ينطبع بطابعهم البشري، يقول أبو زيد: «إنَّ سماويَّة منشأ النص لا ينفي واقعيَّة محتواه وتاريخيَّته، ومن هنا فإنَّه لا يتنافى مع انتسابه إلى ثقافةٍ بشريَّة ووعاءٍ اجتماعيٍّ وتاريخيٍّ خاصٍّ»<sup>(٢٦)</sup>، ويقول في موضع آخر عن خصوص القرآن: «إنَّ هذا النصَّ غير منفصل عن مجتمعه أو ثقافته، كما أنَّه غير منفصل عن مستقبل الوحي، الذي هو رسول الله ﷺ، وهذا هو أساس وجوه الكتاب: مسألة تاريخيَّة وزمنيَّة النصَّ القرآنيِّ، وارتباطه الوثيق بالثقافة التي ينتمي إليها... وبذلك نصل إلى حقيقة مفادها أنَّ القرآن نتاجٌ ثقافيٌّ»<sup>(٢٧)</sup>.

المعنى الثاني: إنتاج بشري، بمعنى

عمل على أنسنة النصوص المقدسة واعتبارها مدونات إنسانية تخضع لآليات التحقق والصدق المعرفي طبقاً للآليات الحديثة المتبعة في تحليل وقراءة النصوص والظواهر، ومع التحول في ماهية النصوص المقدسة وأنسنتها، فقد نزع ذلك عنها القدسية، وطبيعة الإيمان بها.

وقد تطوّرت المقاربات التاريخية عند فلاسفة الغرب برسم حدود التاريخية أو النقد التاريخي والتي شهدت أوجها مع اللاهوتي الألماتي جوهان فون هيردير والذي صرّح أنّ كل شعب يتخيّل أنّ دينه أو تراثه شيءٌ كوني أو مطلق؛ لأنّه يعيش داخله ولم ير غيره، ولكن في الواقع فليس هنالك تراثٌ مطلق مهماً كبر حجمه واتّسع، وإنّما هي تراثات نسبية للبشرية<sup>(٢٨)</sup>.

ومع كون التاريخية نظرية قائمة على النسبية الثقافية بوضع المعرفة في

أنّه نتاج تقتضيه المرحلة والفكر في مرحلة معيّنة، وليس له بإزاء الواقع أي ارتباط سماوي، وهي ما يعرف بالنظرية الوضعية في تحليل الدين. وبهذا اللحاظ يخضع الدين بشكل طبيعي للتحليل الأنثربولوجي التاريخي باعتباره منتجاً بشرياً متصلاً بالسياق التطوري للإنسان في مدركاته!!.

## ثانياً: السياق التاريخي والمعرفي

تعدّ التاريخية إفرازاً لعصر النهضة في الغرب، وهو العصر الذي شهد التشكيك بكلّ النّظام المعرفي القديم، استبداله بنظام معرفي آخر، ولأنّ النظام المعرفي القديم يتميّز بالطابع اللاهوتي في تفسيراته لحركة المعارف بما فيها حركة التاريخ، فقد ظهرت في قبالة تفسير آخر للسّير التاريخي يخالفه في تحليله الغيبي، وقد شمل هذا التحليل النصوص المقدسة فأعيد قرائتها في إطار آليات المنهج الجديد، والذي بدوره

والمهم في الفضاء العربي أن التاريخية عندهم اتخذت عدة أشكال وهي بدورها تكشف عن اتجاهات قد تبدو متقاطعة في جذورها، وهذه الأشكال هي:

١ - تاريخية المتلقي، أي أن النبي لا يخرج عن زمكانيته المحددة بيئة وثقافة معينة، ففهمه للآيات لا يخرج عن دائرة هذا الفهم، حتى وإن كان الدين إلهياً، ولكن يتحوّل لتاريخي طبقاً لتاريخية متلقيه والمفسّر له بحدود معرفته وثقافته.

٢ - تاريخية المخاطب بالقرآن، أي المجتمع والإنسان في تلك الحقبة، وعليه فالخطاب نافع لتلك الشلة باعتباره خطاباً مباشراً لهم، إلا أنه لا يجدي مع غيرهم من المخاطبين.

٣ - تاريخية النصوص نفسها، فنصوص القرآن هي بذاتها تتسم بالتاريخية لا أن التاريخية نتيجة المتلقي أو المخاطب.

سياقها التاريخي، فإن الإحاطة بها تخضع لوعي المؤرّخ المعاصر، وليس لصنّاع الحدث التاريخي<sup>(٢٩)</sup>؛ لأنّ من يصنع التاريخ يمارسه كفعل بمقتضى طبيعته، دون أن يعلم بأنّه يصنع التاريخ<sup>(٣٠)</sup>. ومن هنا تحوّلت التاريخية إلى أحد المرتكزات للتأويل والفهم الهرمنيوطيقي باعتبار تحليل الظاهرة التاريخية ومستنداتها يخضع لوعي وفهم المؤرّخ طبقاً لوعيه، ويتم فك رموز الوثيقة التاريخية دون حاجة للرجوع إلى المنشأ للنص التاريخي هو تعبير آخر عن الهرمنيوطيقا.

وأما الفضاء العربي، فقد تأثر جملة من الباحثين بهذا المنهج الغربي، وحاولوا إعادة انتاجه على التراث الإسلامي والنصوص والقرآن أيضاً، وأبرز معتنقي هذا الاتجاه هم: حسين مروّة والطيب تيزيني، وحسن حنفي، ومحمد عابد الجابري، ونصر حامد أبو زيد، وأركون، وسروش ومحمد مجتهد شبستري... الخ.

### ثالثاً: تطبيق التاريخية في النظومة الإسلامية والقرآن

إنَّ تطبيق التاريخية في المنظومة الإسلامية والقرآن والتراث يودي بعدة نتائج:

١ - كل المنظومة الإسلامية لا تخرج عن حيثياتها الزمكانية، وشروطها المادية، مما يعني خضوع البنى والمفاهيم للتطور والتغير وإعادة التوظيف<sup>(٣١)</sup> طبقاً للقراءة التاريخية للمؤرخ طبقاً لوعيه التاريخي، فالمنظومة المعرفية الإسلامية مرتنة دلاليّاً بزمانها الصدوري لا غير، وأمّا إعادة قراءتها لاستنتاج دلالات جديدة فيكون بمؤديات المفاهيم المعرفية للحظة الراهنة دون الأخذ بعين النظر بتطابق صحة القراءة مع خصوصيات هذه المنظومة؛ لأنّها طبقاً لهذه البعد التاريخي لا تحمل خصوصية أكثر من كونها نتاج ضمن حقبة ثقافية معيّنة.

ولا استثناء لأيّ ظاهرة من هذه المنظومة، بما في ذلك الظاهرة الدينية، فحتمية النسبية التاريخية لا تخرجها عن أي ظاهرة أخرى تعيشها المجتمعات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية<sup>(٣٢)</sup>.

٢ - تفضي بعض اتجاهات التاريخية ولا سيما الوضعية منها إلى نفي الدين مطلقاً؛ فإنّ تحليل الظواهر - عندها - في سياقها التاريخي، يخضع للعقلانية وأساليب التجربة في الكشف عن أسباب الظواهر، والعقلانية والتجربة لا ترضي تعليل الفعل بالعلل الغيبية والبعد الماورائي على نحو وجود حقيقي لهذا الغيب، فأفعال المجتمعات الدينية وإنّ أسندت إلى قوى غيبية، إلّا أنّ التحليل العقلاني للتاريخ وأسس التجريب لا ترضي مثل هذه النتيجة على نحو أنّها حقيقة، بل تحللها على أساس قيم مرهونة بتاريخ الإنسان في فهمه لما يدور من حوله. فالظاهرة

إلا في المتخيل والوهم، بل المقصود - طبقاً للمناهج الغربية - خطاب لغوي ورمزي ينطوي على حقائق اجتماعية وثقافية ونفسية متصلة بالفرد والجماعة.

فالمنهج الأسطوري له مدلول ثقافي يمكن من خلاله تفسير القيم الأخلاقية والمعارف، وليست الأسطورة رموزاً مفككة، إنما هو نسق له اتصال بتاريخ الأفكار والأديان، كاشف عن الوعي الجماعي الخاص بجماعة بشرية، وهي بذلك نظام تواصل تفسيري للظواهر الاجتماعية والمعتقدات والمحرمات والمقدسات، مما يسهم في فهم الحقيقة.

وللمنهج الأسطوري في تحليل النصوص علاقة وثيقة بالأنثروبولوجيا، وعلم اللسانيات.

تبلورت ملامح هذا المنهج على يد سير جيمس جورج فرايزر، وغوستاف يونغ، ويقوم هذا المنهج

الدينية في سياقها التاريخي يكشف عن تطورات فهم الواقع عند المجتمعات عبر افتراضات منها الاتصال بالغيب، ولكن لا يعني ذلك وجود هذا الغيب على نحو الحقيقة.

٣ - إن تطبيق التاريخية على القرآن يعني تحديد وتقييد مداليل القرآن بزمان نزوله، فتاريخية القرآن تعني إخضاع النص لأثر الزمان والمكان والمخاطب مطلقاً، مما يؤدي إلى التنصل من:

١ - (سلطة النص).

٢ - (قداسته).

٣ - (شموليته).

٤ - (عمومه لكل زمان ومكان)<sup>(٣٣)</sup>.

### ثالثاً: المنهج الأسطوري

لا يقصد بدءاً بالأسطورة - هنا - ما يتبادر إلى الذهن من كونها مدلول لمجموعة من الأفكار التي لا وجود لها



على أنَّ جميع العقائد الدِّينية ظهرت نتيجةً للتفسير الخاطيء لبعض الظواهر التي يتعرَّض لها الإنسان، مثل: الأحلام والأمراض والنوم والموت والخوف.

فمن تحليلات هذا المنهج لولادة فكرة الإله العالي: أنَّ الإنسان كان يجتهد في البحث عن وسيلة للتحكُّم في البيئة التي يعيش فيها، فانتهى به ذلك إلى أنَّ هناك كائنات مشخَّصة لها وجود في كل مكان، وأنَّه يتعيَّن استرضائها، وهكذا كان مولد الدين الوضعي، وأنَّ التطوُّر العقلي البشري مرَّ بثلاث مراحل: السحر البدائي، الدين، العلم<sup>(٣٤)</sup>.

وبناءً على ذلك، فاللغة المستعملة في الدين ليست لغة ذات معانٍ مقصودة حقيقية، بل هي لغة رمزية تختلف عن المعاني المقصودة في الاستعمالات العرفية، ومعنى ذلك أنَّها مجازية، ولذا فهي قابلة للإنفتاح

من خلال التأويل<sup>(٣٥)</sup>.

## تطبيق المنهج الأسطوري على القرآن

يلزم من تطبيق هذا المنهج على القرآن الكريم القول:

١ - أن القرآن نص مرَّكب تختلط فيه الحكايات الصحيحة بالمزورة والوقائع الخيالية بالتصورات الأسطورية.

٢ - عدم الإيِّان بالمنظومة الدينية والعقدية كما يعرضها القرآن باعتبارها منظومة لمجتمع آنذاك في طور التكامل.

٣ - تعطيل ألفاظ القرآن عن دلالتها المباشرة، والاعتقاد بأنَّها مجرد رموز استمدَّت من البيئة وطريقة تفكيرها<sup>(٣٦)</sup>.

## رابعاً: المنهج الألسني النقدي (اللسانيات)

وهو من المناهج التي تطوَّرت

والمعاينة للواقع، وبهذا الشكل فهو يدرس اللغة الإنسانية جميعها بمنهج واحد بعيداً عن خصوصيات ومعايير كل لغة، وبمعزل عن الرؤية التعليمية لتلك اللغة؛ أي تدرس اللغة بعيداً عن المؤثر المكاني والزمني والعِرقي للغة، فموضوعها «كُلّ النشاط اللّغوي للإنسان في الماضي والحاضر، ويستوي فيه الإنسان البدائي والمتحضر، واللغات الحية والميتة، والقديمة والحديثة، دون اعتبار لصحّة أو لحن، وجودة أو رداءة»<sup>(٤١)</sup>.

وتقسم اللسانيات إلى قسمين:

**القسم الأول:** اللسانيات النظرية: وهي التي تشرح طبيعة اللغة بحد ذاتها، وتدرسها دراسة وصفية.

**القسم الثاني:** اللسانيات التطبيقية: هي التي توظّف مخرجات اللسانيات العامّة في قضايا لغوية حيّية؛ أي إنّها تطبق معطيات اللسانيات النظرية على المشكلات العلمية<sup>(٤٢)</sup>.

تطوراً واسعاً في النصف الثاني من القرن العشرين، ويقوم على استخدام الأفكار والمعلومات في اللغويات العامّة في تطبيق إنساني، بعد أن كانت التطبيقات اللغوية تقتصر على تطوير القواعد وتحسين النحو والمعجمات، فقد ظهر نوع تطبيقيّ جديد في اللغويات، في مساحة يلتقي فيها علم اللغة العامّ والمعجميّة، وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم التربية وعلم الرياضيات، وغيرها من العلوم، يسمى هذا المنهج بـ (اللسانيات)<sup>(٣٧)</sup>.

وتعرف اللسانيات: بأنّها العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيداً عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية<sup>(٣٨)</sup>، لذا فهي تهدف لدراسة اللغة لذاتها بوصفها ظاهرة اجتماعية<sup>(٣٩)</sup>، وترك المنهج التقليدي أو المعياري<sup>(٤٠)</sup>.

فهو منهج يقوم على الوصف

كل اللغات عناصر الإمتياز في أداء المعنى، لأنَّ منطلقاتها واحدة والاختلاف ليس إلَّا في حيز الإظهار الصوتي.

٣ - غياب أسباب الاستعمال، أو ما يعرف بالقرائن المتصلة والمنفصلة في فهم النص واللغة؛ لانفكاك الدال والمدلول، ويكون استجلاء المعنى مرهوناً بالبنية الداخلية للغة في مستوياتها الترابطية.

وهنا لا بدَّ من ملحوظةٍ مهمّة أنَّه هذا التوجّه في اللسانيات هو الأكثر تطرفاً، ولكن لا يعني ذلك خلو اتجاهات أخرى في اللسانيات قد رفضت مثل هذا الانفكاك بين اللغة والإستعمال، وهي ما تعرف بالمدرسة التداولية في استنطاق اللغة، ولكن - وللأسف - إنَّ رواج المنهج المتطرّف في اللسانيات هو ما يسود الوضع اللساني بشكل عام؛ ويمكن فهم ذلك وتعليقه بكون اللسانيات هي منهج

ويمكن من خلال ما تقدّم من عرض عن أهم حدود اللسانيات القول: إنّها ذات أركانٍ ثلاثة:

١ - اللغة بنية وظاهرة اجتماعية تتطور بتطور المجتمع وقيمه المعرفية.

٢ - اللغة الإنسانية لغة واحدة من حيث البنية الداخلية، ولا امتياز للغةٍ على أخرى.

٣ - اللغة في حيّز الدراسة واستنطاق جوهرها الدلالي، تتحلل عن كل المعيارية المسبقة المفروضة عليها.

ويمكن من خلال هذه الأركان يمكن الوصول إلى نتائج يمكن إيجازها في نقاط:

١ - ان عدَّ اللغة ظاهرة اجتماعية تصاعدية، يعني انتفاء وجود لغة لاهوتية ما وراثية، لأنَّ اللغة اللاهوتية لغة ثابتة لا تخضع لتصاعدية المعرفة ولا لتراجعها.

٢ - تساوي اللغات في بنيتها يفقد

والاستعمال، بل تساوي اللغات البشرية في قدرتها ومنطوقاتها، فمن الواضح أنَّ نظرية اللغة الموحدة بهذا الذهنية الاعتبارية يؤدي إلى انتهاء الظاهرة اللغوية من حيث تنوعها الكاشف عن تطور المجتمعات وتمايزها، كما هو الحال في الإرث العمراني الذي يكشف عن اختلاف المجتمعات من حيث التقدم والتأخر، ومن هنا، فقد آمن سبيط النيلي العالم العراقي باللغة الموحدة للبشرية إلاَّ أنَّه وضعها في نطاق القصديّة، ومجاهته لأيّ توجّه اعتباطي، وسواء اتفقنا معه أم اختلفنا، فإنّنا نلاحظ عنده أهمية الإستعمال، وبما أنَّ للاستعمال محورية في اللغة، فهذا يعني تغاير المستعملين، وحيثُ فهناك مستويات في اللغة بين نطاقها العلوي الماورائي، والاستعمال البشري، إذ اللغة عنده - أي النيلي - ظاهرة لا يمكن أن تكون غير إلهية، لِإِثْمِها تكشف عن تناسقٍ ترابطي لا يناله عقل البشر، ومن ناحية أخرى،

ولد في عصر النهضة أيضاً، أو لا أقل كانت رواسبه الأولية في ذلك العهد، وغير خافٍ أنَّ عصر النهضة يعني عصر التحوّل في الفهم، ولا سيما التحوّل عن الفهم اللاهوتي، ومثل هذه النظرية المتطرّفة في تحليل اللغة تؤدي في النهاية إلى انتهاء الفهم الماورائي، باعتباره وصفاً معيارياً لا بدّ من مراعاته في فهم النصوص ولا سيما النص المقدّس وهذه المعيارية تفرض النظر إليه على أنَّه نص إلهي أو سماوي أو ما فوقّي، ولذا فمراعاة هذا المعيار له اثر في استجلاء المعنى والدلالة، وبما أنَّ الهدف من التحوّل الحداثي مجابهة الفهم اللاهوتي في كافة توجهاته بما فيها اللغة، فكان لا بدّ من نفي المعيارية، ورفع الإستعمال، والاقتصار في الفهم على بنية اللغة كتركيب لها مداليلها ومعانيها ضمن سياقٍ تطوري لهذه المعاني.

إلاَّ أنَّ الخطأ الذي وقعت فيه اللسانيات، ليس رفع المعيارية

فلا ينفي النبي اعتبار الاستعمال عند البشر، ولكن ينفى عن الله تعالى، وهو بحد ذاته يكشف عن أنَّ اللغة ليست واحدة.

### اللسانيات والقرآن الكريم

تأثر الدارسون للقرآن الكريم في المناهج الغربية التي طبقت استخدمت في مجال الدراسات اللغوية ومن ضمنها اللسانيات، وراح جمع من الدارسين يطبق الدراسات المنهج اللساني على القرآن الكريم، وفي هذا السياق بالاتكاء على اللسانيات يفرق أركون بين الخطاب الشفوي، والخطاب المكتوب؛ وهذا بسبب تأثيره بما جاء في اللسانيات من مفاهيم أكدت أنَّ عملية النقل والتكرار للكلام يؤدي إلى التحريف والتحوير للحقيقة وللواقع أثناء الانتقال من المرحلة الشفوية إلى المرحلة الكتابية، وبالتالي يجب إخضاع النص القرآني لتحليل الألسني<sup>(٤٣)</sup>، وبناءً على ذلك

فليس هنالك رؤية مقدسة للنص القرآني، ولا خصوصية له، هي نتيجة غير غريبة، لأنَّ ارتباط علم اللسانيات بالفلسفة الوضعية في إرساء نظرياته وقواعده هذا العلم، والفلسفات الوضعية تبعد الدين أو تعدّه مرحلة من مراحل التي مرَّ بها الإنسان وتجاوزها مع العلم، ولذا فتطبيق اللسانيات على القرآن الكريم أمرٌ محفوفاً بالمخاطر<sup>(٤٤)</sup>.

ولذا فلا بدَّ من الوقوف على خلفية الدارسين للنص القرآني؛ «لأنَّ هذا التوظيف للسانيات قد اختلف حسب خلفية الدارسين، وكذا بحسب المنطلقات الفكرية والأيدولوجية التي انطلقوا منها أو انتموا إليها وكذا القضايا التي أرادوا البرهنة عليها»<sup>(٤٥)</sup>.

والنتيجة التي نتوصل لها هي إنَّ المناهج اللسانية لا يمكن وصفها بالسيئة أو أبعادها عن مناهج

من خلال عدّة نقاط:

١ - هذا العلم بمفهومه الحديث يحاول جعل البحث اللغوي معتمداً على التجريب تماماً كالبحث التطبيقي في العلوم الحسية، وهذا يتطلب تنزيل نصّ غيبي إلى نصّ بشري، وإلاّ فإنّ النصّ الميتافيزيقي بحديثه الغيبية نصّ مغلق لا يمكن اكتشاف دلالاتها ومعانيه، لعدم إمكان إخضاعه لآليات التجريب المعتمدة في النصّ البشري!

٢ - العلاقة بين الدّال والمدلول في المنهج اللساني اعتبارية، لا تدل على ارتباط - كما تقدّم بيانه - مما ينفي علاقة للأسماء بمسمياتها، وفصل الاسم عن المسمّى مرحلة أولى لفصل اللغة عن محتواها المعرفي، وهو تفكيك لا يبقى أي قيم استعمالية للغة، وفي مقام اكتشاف الدّلالة تزاوج المتعلقات الاستعمالية لتصير اللغة مفهوم عقلي مجرد، وكياناً مستقلاً لا ارتباط بقائله.

الدراسات القرآنية، لكن المشكلة في دوافع من يطبقها والخلفيات الفكرية والمعرفية التي يحملها، واعتبارها بديل عن المناهج التي تعتبر إسلامية في دراسة النصّ القرآني. وثمّ أمر تجدر الإشارة إليه وهو إنّ الدراسات التي تتبنى القراءة المعاصرة للقرآن الكريم تسعى إلى إحداث القطيعة المعرفية مع مناهج دراسات الفكر الإسلامي، ونجد ذلّ واضحاً عند تتبع كتابات محمد أركون وغيره من المفكرين في السعي إلى قطع الصلة بالآليات المنهجية التي ابتكرها الفكر الإسلامي، كأصول الفقه<sup>(٤٦)</sup>، وقد افرد نصر أبو زيد كتاباً مستقلاً للشافعي، ناقش فيه مدى تأثيره على المنهج السلفي<sup>(٤٧)</sup>.

## تطبيق المنهج الألسني على القرآن

ومن خلال المبادئ المتقدمة فإنّ يمكن التعرف إلى نتائج هذا التطبيق



٣ - ينزع هذا النهج الألسني إلى مقولة تطور اللغة، مما يعني كونها تاريخية محدودة في بزمكانتها، وهي قاعدة مطّردة في كافة اللغات بما فيها الدينية، وهذا يعني أنّ اللغة القرآنية - مثلاً - بما تقدّمة من مدلول لم يعد صالحاً للعصر الراهن، لكون اللغة الآنية ناتجة عن مجتمعاتها وهي لا تنتمي لتلك المجتمعات في القيم والتكوين والضرورات!!.

روّاد هذا المنهج: محمد شحرور - محمد أركون - محمد أبو القاسم حاج حمد، نصر حامد أبو زيد، وغيرهم.

ولابدّ من ملحوظة: أنّ كلاً من المنهج البنيوي والتفكيكي لا يخرجان عن دائرة اللسانيات العامّة، ولكن أفردنا الحديث عنهما، باعتبارهما من أشهر مناهج اللسانيات:

### خامساً: المنهج البنيوي

البنيوية تيار بحث انبثق في بداية القرن العشرين، مرتكزاً على العديد

من التخصصات العلمية، وتقوم على دراسة العلاقات المتبادلة بين العناصر الأساسية المكوّنة لبنى يمكن أن تكون لغوية اجتماعية ثقافية.

وبرزت البنيوية في بدايتها ضمن حقل علم النفس، إلّا أنها توسّعت لاحقاً لتشمل جميع أنواع العلوم والتخصصات، وهي بهذا اللحاظ تختلف عن اللسانيات، فإنّها وإن اشتركت مع اللسانيات في بنية تحليل اللغة، إلّا أنها منهج يتّسع لجميع العلوم لا اللغوية منه.

وتقوم البنيوية اللغوية على مرتكزين: إستقلال النص - والترابط الداخلي بين وحدات اللغة

والبنيوية بهذا اللحاظ لا تعنى بمؤلف النص، ولا مقاصده، كما أنّها لا تعتمد لدراسة اللغة في حيّز الإستعمال، بل تنظر إليها بناءً على ما هي عليه من خلال البحث في العلاقات القائمة بين الأجزاء

والمركّبات.

والفرق بين البنيوية والتأويل الهرمنيوطيقي: أنّ الهرمنيوطيقاً تجهد في عملية تأويلية لكشف خفايا النص من خلال الخوض في الملابس الزمنية لصدور النص، والتجسّد بروح المؤلّف، فهي وإن لم تكن تهتمّ بقصد المؤلّف، إلّا أنّه في مرحلة إنتاج معنى ودلالة تتوسّع في الأطر المعرفية سواء من خارج النص أم داخله لتصل للمعنى، إلّا أنّ البنيوية لا تعنى في مرحلة إنتاج المعنى بغير البنية الداخلية للغة والتراكيب العضوية بين أجزاء اللغة، فليس للاستعمال ولا لغيره أثر في اكتشاف المعنى.

## تطبيق البنيوية على القرآن الكريم

إنّ محاولة تطبيق المنهج البنيوي على القرآن الكريم يلزم منه:

١ - الفصل العضوي بين النص ومصدره، فلا قيمة للصادر في بيان

المعنى سواء أكان الصادر إلهياً أم إنسانياً.

٢ - لا تستهدف البنيوية في تحليلها النص ضمن الأطر العضوية الخاصة بها إلى إنتاج معنى حقيقي، بل يراد من التحليل اللغوي اكتشاف رؤية العالم المتجسدة في النص باعتباره كاشفاً عن مجتمعه المنتج له، فالنص لا يخرج من حيز النتاج التاريخي، وللوصول إلى هذه الغاية فلا آلية للتحليل غير التحليل الاجتماعي التاريخي، وتطبيق ذلك على القرآن يعني جعل القرآن ذات صبغة اجتماعية تاريخية، ونتاج مجتمعه المنتج له.

وهنا تختلف عن التاريخية من جهة أنّ التاريخية لا تجد اشكالاً في كون النص نتاجاً غير اجتماعي بمعنى أنّه ليس من انتاج بشري، ولكن باعتباره صادراً لذلك المجتمع فهو رهين فكرهم باعتبارهم مرحلة تاريخية، بخلاف البنيوية، فإنّها تجد النص نتاجاً

اجتماعياً فهو بشري وتاريخي في الوقت نفسه.

ويعد محمد عابد الجابري أبرز رواد المنهج البنوي والطيب تيزيني.

### سادساً: المنهج التفكيكي

تعد التفكيكية مرحلة متقدمة لما بعد البنيوية، وكان أول من استخدمه الفرنسي جاك دريدا في الستينات من القرن المنصرم.

والتفكيكية تهدف إلى تفكيك بنية الخطاب، وتفحص ما تفيده تلك البنية، وهي تشترك مع البنيوية في كون المؤلف لا علاقة له بالنص بعد إتمامه فيما يعرف بموت المؤلف، إلا أنها لا تؤمن بوجود نظام عضوي في اللغة يحكم إنتاج المعنى فيها طبقاً له، فيتحدد المعنى به، أي اكتشاف المعنى ضمن قواعد عقلية لغوية، بل التفكيكية تجد أن إنتاج المعنى مستمر، ولا قواعد لاستنطاقه إلا تجارب الإنسان التي تخوله الفهم بهذا النحو

أو ذاك، وطبقاً للتجارب فإدراك المعرفة بما فيها اللغوية لا ثبات له، لعد ثبات التجارب وحركيتها، وقد تكون المعاني متضادة لذات النص من خلال تغير لبنات النص وبناء غير المستقرة لإعادة إنتاج قراءة مغايرة.

فاللغة بهذا المعيار ليس لها قدرة على التعبير والكشف، إذ هي لغة إستعارية عاجزة عن نقل الواقع أو الأفكار نقلاً موضوعياً، وما تنقله لا يعدو كونه مسألة تكوين صورة وليس نقلاً للفكرة.

كما أن التفكيكية من خلال هدم النص من خلال تفكيك منظم لعناصره لإنتاج معنى آخر تعني أن القارئ يعيد كتابة النص، أي ينتجه من جديد، بدلاً أن يكون مستهلكاً للنص.

### تطبيق المنهج التفكيكي على القرآن

إن تطبيق المنهج التفكيكي على

القرآن يؤدّي لـ:

٢ - تحكيم التجارب الإنسانية في

الإنتاج المعرفي يعني إلغاء دور الغيب في هذه التحليل، إذ الغيب لا يخضع للتجربة.

أمّا عن رواد المنهج التفكيكي وتطبيقه على النص القرآني فيمكن عد علي حرب أبرزهم، وكذا أركون.

١ - غياب آليات علمية أو لغوية لاكتشاف المعنى، ويصيح إنتاجه رهين التجارب الإنسانية، وعليه فليس للقرآن أي معنى، كما أنّه يحمل في ذاته معانٍ متضادة طبقاً لقراءاته المتضادة نتيجة التجارب البشرية.

### الهوامش:

أمريكي ولد عام ١٩٣٣م وتوفي في ١٢ يوليو ٢٠١٥م عن عمر يناهز ٨١ عاماً، يعد أحد أبرز فلاسفة علم التأويل (Hermeneutics) في العصر الزّاهن، عمل أستاذاً لسنوات عديدة في الجامعات الأمريكية ورئيساً لقسم الفلسفة والدين فيها، وترجمت كتبه إلى الإسبانية والإيطالية والصينية والتركية والفارسية. له العديد من المؤلفات أشهرها: الهرمونوطيقا الصادر سنة ١٩٦٩م.

[٩] علم هرمنوتيك، ريتشارد بالمر، ص ٤٣.

[١٠] علم هرمنوتيك، ريتشارد بالمر، ص ٤٣.

[١١] أنظر: الهيرمينوطيقا منشأ المصطلح ومعناه واستعمالاته في الحضارات الإنسانية المختلفة، صفدر الهي راد، ترجمة: حسنين الجمال، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط١، ٢٠١٩م، ص ١٧.

[١٢] وهو مشابه لما قاله علماء التفسير المسلمين

[١] يُنظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ٧٥.

[٢] تاريخ الفكر الفلسفي، محمد علي أبوريان، ص ١١.

[٣] روح الحداثة، د. طه عبد الرحمن

[٤] فهم الفهم: مدخل إلى الهرمينوطيقا، د عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م. ص ٢٤.

[٥] في مفهومي القراءة والتأويل، محمد المتقن، مجلة عالم الفكر، ٢٤، ٢٠٠٤م، ص ٢٥.

[٦] الهرمينوطيقا والتفسير، د. حسن حنفي، قضايا إسلامية معاصرة، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد العدد السادس، ١٩٩٩م، ص ٥٦.

[٧] علم هرمنوتيك، ريتشارد بالمر، ت: محمد سعيد كاشاني، ص ٤٢.

[٨] ريتشارد بالمر (Richard Palmer) فيلسوف

- القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٩٨-١٠٠.
- [٢١] مارتن هيدغر مقاربات نقدية لنظامه الفلسفي، مجموعة باحثين، مقال: ((دراسة مقارنة بين تأويل صدر المتألهين وهرمنيوطيقا هايدغر)) د. محمد بيدهندي، تعريب: حسن علي مطر، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط١، ٢٠٢٠م، ص ١٣٧-١٤٣.
- وأنظر: الهيرمنيوطيقا منشأ المصطلح ومعناه واستعمالاته في الحضارات الإنسانية المختلفة، صفدر الهي راد، ترجمة: حسنين الجمال، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط١، ٢٠١٩م، ص ١١٤-١١٨.
- [٢٢] ن فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧م، ص ١١١.
- [٢٣] وهو أمر مشابه لما في الفلسفة الإسلامية من دراسة الوجود الذهني ومن ثم مهاماته للوجود الخارجي.
- [٢٤] هذه النظرية مخالفة للتفكير الإسلامي؛ إذ أن فهم مراد المتكلم وقصده من أهم الارتكازات الفكرية التي تعتمدها نظرية الفهم الإسلامية، فالمراد الجدّي هو المطلوب فيها.
- [٢٥] لا خطأ ولا صواب، بل وجود وعدم، فإنك إن انتجت فهماً فهذا وجود وآل فالعدم ولا
- في تعريف التفسير: بكشف القناع، وعندئذٍ فال تفسير يكون في الموارد المعقّدة الملتبسة المعنى والغامضة.
- [١٣] حول فاتي مو ومغامرة الاختلاف قراءة في العقل التأويلي والعقل الجدلي، أبو السعود عطيات، مجلة أوراق فلسفية، مصر، العدد رقم ٢٤، ص ١٧.
- [١٤] انظر: علم هرمنوتيك، ريتشارد بالمر، ترجمة: محمد سعيد كاشان، ص: ٥٠.
- [١٥] الهيرمنيوطيقا منشأ المصطلح ومعناه واستعمالاته في الحضارات الإنسانية المختلفة، صفدر الهي راد، ترجمة: حسنين الجمال، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط١، ٢٠١٩م، ص ٢٢.
- [١٦] علم هرمنوتيك، ريتشارد بالمر، ترجمة: محمد سعيد كاشان، ص: ٦٣.
- [١٧] ليس المقصود من الأقسام المدارس.
- [١٨] من هنا ظهرت أبحاث قواعد اللغة الدينية ومناهجها وخصوصيتها مثل ما يقال: إنّ اللغة الدينية تمثيلية لا علاقة لها بالواقع، وهي ليست باللغة القانونية، وغير ذلك.
- [١٩] المدرسة التأويلية، أحمد بهشتي، ضمن كتاب: التأويل والهرمنيوطيقا، دراسات في آليات القراءة والتفسير، تأليف مجموعة من المؤلفين، ط١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ٢٠١١، ص ١٧٦.
- [٢٠] فهم الفهم: مدخل إلى الهرمنيوطيقا، د عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع،

- حديث عن ثنائية الصواب والخطأ.  
[٢٦] مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، ص ٢٤.  
[٢٧] المصدر السابق، ص ٥٠٥-٥٠٦.  
[٢٨] ينظر: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ت: هاشم صالح، ص ٤٨.  
[٢٩] العرب والفكر التاريخي، عبد الله العروي، ص ٧٨.  
[٣٠] المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ر بودون وف بوريكو، ص ١٣٤.  
[٣١] ينظر: نقد النص، ص ٦٥.  
[٣٢] نماذج من الفكر المعاصر، سعد حباتر، ص ٤٤.  
[٣٣] ينظر: العلمانيون والقرآن، ص ٣٣٢.  
النص السلطة الحقيقية، نصر حامد أبو زيد، ص ٦.  
[٣٤] ينظر: خمسة مداخل إلى النقد الأدبي، ويلير سكوت، ترجمة: د. عناد غزوان - جعفر الخليلي، ص ٢٦٥.  
[٣٥] ينظر: الخطاب والتأويل، نصر حامد أبي زيد، ص ١١٨.  
[٣٦] ينظر من العقيدة الى الثورة، د. حسن حنفي، ج ٥، ص ٨٠-٨٧.  
[٣٧] ينظر: دليل مناهج البحث العلمي: د. مهى جرجور: ٩٤.  
[٣٨] ينظر: مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور: ١٥.  
[٣٩] ينظر: علم اللغة العام، دي سوسير: ٢٧.  
[٤٠] ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية: د. تمام حسان: ٦٣-٦٤.  
[٤١] علم اللغة: غازي طليمات: ١٧.  
[٤٢] ينظر: دليل مناهج البحث العلمي: د. مهى جرجور: ٩٤.  
[٤٣] ينظر: إعادة قراءة النص القرآني وفق مقاربات محمد أركون: ليندة صياد، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، بحث منشور: ١٣.  
[٤٤] ينظر: المناهج المعاصرة في تفسير القرآن وتأويله، عبد الرحمن حاج إبراهيم، مجلة رسالة المسجد، العدد الأول، ٢٠٠٣ م: ١١.  
[٤٥] ينظر: المناهج اللسانية وأثرها في الدراسات القرآنية المعاصرة، لشكيب زين الدين، (رسالة ماجستير): ١٠٢.  
[٤٦] ينظر: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي: محمد أركون: ١١/١٢.  
[٤٧] الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية: نصر أبو زيد.



د. زينه عادل سالم  
جامعة بابل

## هلاك الأمم في القرآن الكريم

### المقدمة

الحق والباطل، الصراع الذي لم تخمد ناره في أي فترة من فترات التاريخ، ولن تخمد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو بين الشيطان وبني آدم، أو بين متبعي النهج الإلهي ومتبعي نهج الشيطان والفصل النهائي في هذا الصراع إنما الحساب والجزاء حيث تُؤَفَّق كل نفس ما كسبت، وتكون العاقبة لأهل الحق.

ومع أن الله سبحانه وتعالى قضى بجعل الحساب والجزاء في يوم القيامة فقد جرت سنته بالفصل بين أهل الحق وأهل الباطل في مواقف معينة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

اختبر الله آدم وزوجه فأباح لهما الأكل من أشجار الجنة، إلا شجرة واحدة حذرهما من القرب منها، فوسوس لهما عدوهما اللدود، إبليس اللعين، فأكلا من الشجرة فأهبطا من الجنة إلى هذه الأرض لتبدأ المسيرة الطويلة للبشرية مسيرة الصراع بين

## المبحث الاول: الأمم التي ورد ذكر هلاكها في القرآن الكريم

ان ما ورد في القرآن من قصص الأمم الهالكة يكفي للاتعاظ والاعتبار لذوي العقول والحجي، وقد كان حديث القرآن عن بعض تلك الأمم مفصلاً، شاملاً لذكر مواطنها والرسائل التي أرسلت إليها، ووصفاً دقيقاً لمصارعها، بينما هناك أمم أخرى لم تذكر قصصها إلا مجملية، ذلك لم تحل قصة القصص من مواطن العظة والعبرة التي من أهمها ذكر الأسباب التي أدت إلى هلاك تلك الأمم، فلا اعتبار بعاقبة أولئك إنما يتم بمعرفة الأسباب التي أدت إلى تلك العاقبة.

الاقوام الهلكة في القرآن الكريم كثيرة قوم نوح وقوم عاد وثمود ولوط وقوم شعيب، فرعون وقومه، قارون، المخالفون في الدخول الى القرية، اصحاب السبت، اهل القرية الامنة،

لحكمة ربانية عالية وذلك بإهلاك الظالمين وإنجاء المؤمنين في صراع بين الرسل وأعدائهم دارت فيه الدائرة على أهل الشقاوة، فمنهم من أغرقه الله، أهلكه ومنهم من بالريح أو بالصيحة أو بالرجفة، ومنهم من خسف به الأرض، ومنهم من مسخهم الله قردة وخنازير، وهذا الهلاك الذي حل بأولئك الظالمين، إنما هو نكال للهاكين، ونُصرة للمؤمنين، وعبرة للآخرين، والقرآن الكريم أورد لنا نماذج كثيرة من قصص الأمم الهالكة مع التركيز على مواطن العبر فيها ومن أبرزها ذكر الأسباب التي أدت إلى هلاكهم.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه على مقدمة وثلاث مباحث: المبحث الاول: الامم التي ورد ذكر هلاكها في القرآن الكريم، المبحث الثاني: اسباب الهلاك الذي حلّ بالأمم، السالفة المبحث الثالث: اثر الترف والنعيم في هلاك الامم.

اصحاب الرس، اصحاب القرية قوم تبع، اصحاب الفیل، سنذكر بعض من هذه الاقوام الهالكة.

قوم نوح: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ إِلِيمٍ﴾ [هود:

٢٥-٢٦] قوم نوح هم أول الأمم الهالكة التي وردت قصتها في القرآن الكريم، وكانوا سكان الأرض في تلك الفترة الزمنية قبل انتشار الناس لقرب العهد بآدم أبي البشر، وقد أرسل الله إليهم نوحاً لا بعد انحرافهم عن التوحيد إلى الشرك، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام، لكن العناد كان قد تمكّن من القوم فلم يزدادوا إلا كفرًا وتكذيباً رغم الفترة الطويلة التي قضاها نوح بين ظهرانيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولما يئس نوح من استجابة قومه، وجاءه الوحي من ربه بأن قومه لن يؤمنوا دعا عليهم بالهلاك، فاستجاب

الله دعوته وجاء الأمر الإلهي بهلاك قومه بالطوفان، فأغرقهم الله جميعاً، وطهر الأرض من دنسهم، قال تعالى:

﴿قَدَعَا رَبُّهُ أَتَىٰ مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ \* فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ \* وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٠-١٢] لما

اراد الله هلاك قوم نوح ﷺ (عقم أرحام النساء اربعين سنة فلم يلد لهم مولود ولما فرغ نوح من اتخاذ السفينة أمره الله ان ينادي بالسريانية أن يجتمع جميع الحيوانات فلم يبق حيوان الا حضر فأدخل من كل جنس من اجناس الحيوان زوجين ما خلا الفأر، وانهم لما شكوا من سرقين الدواب والقذر دعا بالخنزير فمسح جنبه فعطس فسقط من انفه زوج فأر فتناسل فلما كثروا شكوا إليه منها فدعا بالأسد فمسح جنبه فعطس فسقط من انفه زوج سنور<sup>(١)</sup>

وبعد هلاك القوم عاد كل شيء كما كان ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا

سَمَاءَ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ  
وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ [هود: ٤٤].

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ  
الْبَاقِينَ \* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ \*  
سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٧-٧٩] نص في كون  
جميع البشر على وجه الأرض بعد  
الطوفان من ذرية نوح ذلك أنه لم يبق  
أحد على وجه الأرض ممن كان قبل  
الطوفان إلا من في سفينة نوح ومن  
المعلوم أن الله تعالى لا يعذب أحداً إلا  
بعد الإنذار والإعذار<sup>(٢)</sup>، قال تعالى:  
﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ  
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ  
وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى  
نَبْعَثَ رَسُولًا \* وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ  
قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ  
عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا \* وَكَمْ  
أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى  
بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٥-١٧]

أن الله سبحانه وتعالى لما أذن  
بهلاك قوم نوح أمره أن يصنع سفينة  
لينجو فيها هو ومن معه من الغرق  
ويفهم من هذا الأمر أن الطوفان  
الأرض بحيث لا أحد إلا من كان في  
السفينة، وإلا لأمره أن يخرج من  
موطن قومه الذي سيشمله الطوفان  
إلى مكان آخر من الأرض، كما هو  
الحال في قصص الأنبياء بعده.<sup>(٣)</sup>

وفسق قوم نوح كان من كل أنواع  
الفسق، فهم فاسقون بالكفر والشرك،  
وفاسقون بالظلم العدوان، وفاسقون  
بالبغي والطغيان، بارتكاب الكبائر  
من القبائح، وبارتكاب الفواحش،  
فأضاف هذا النص وصف قوم نوح  
بأنهم فاسقون.<sup>(٤)</sup>

قوم لوط: قد اشار القرآن الكريم  
الى مواطن قوم لوط، قال تعالى: وَإِنَّ  
لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ نَجَّيْنَاهُ  
وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عَجُوزًا فِي  
الْغَابِرِينَ \* ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ \*



وَإِنْكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ \*  
وَبِاللَّيْلِ أَفْلاً تَعْقِلُونَ ﴿١٣٣﴾ [الصفات:  
١٣٣-١٣٨] والخطاب موجه إلى  
مشركي قريش لحثهم على التدبر في  
مصير المكذبين قبلهم، ومنهم قوم  
لوط الذين يمرون على مواطنهم في  
أسفارهم بين مكة والشام صباحاً  
وليلاً. (٥)

وذكر بعض أهل التفسير والتاريخ  
أن (أطلال قرى قوم لوط تقع تحت  
مياه البحيرة المنتنة المعروفة حالياً  
بالبحر الميت بين الأردن وفلسطين) (٦)  
وكان قوم لوط قد ابتدعوا فاحشة  
لم يسبقوا إليها واشتهروا بها من بين  
فاحشة إتيان الرجال شهوة من دون  
النساء، يستعلنون ذلك ولا يستترون،  
فأرسل الله إليهم لوطاً، فزجرهم  
وأنذرهم، لكن القوم كان قد تأصل  
فيهم هذه الفاحشة واستولت عليهم  
الشهوة البهيمية، فلم يزدادوا إلا عناداً  
وإصراراً على فعلتهم الشنيعة فكانوا

بذلك يستنزلون عقاب الله  
ويستعجلون عذاب الدنيا قبل  
الآخرة، وقد بعث لوط إلى قومه في  
حياة الخليل والملائكة الذين أرسلوا  
لهلاك قومه جاءوا إلى إبراهيم أولاً  
قبل أن يتوجهوا إلى قرى قوم لوط. (٧)  
ولم يؤمن للوط من قومه سوى  
أهل بيته باستثناء امرأته، فقد أثرت  
البقاء على دين قومها ومالأتهم على  
فواحشهم فلما جاء الهلاك وهلكت  
مع من هلك، وكان هلاكهم بألوان  
من أشد العذاب، إذ قلب الله قراهم  
فجعل عاليها سافلها ورافق ذلك  
صيحة عظيمة، ومطر بحجارة من  
سجيل، فأبيدوا عن آخرهم وبقيت  
قصتهم عبرة للمعتبرين.

حين سأل إبراهيم جبرئيل عليه السلام في  
هلاك قوم لوط، ان كان فيهم مئة من  
المؤمنين أتهلكونهم فأجابه جبرئيل لا،  
فسأله ان كانوا خمسين او عشرين او  
عشرة واستقر بالسؤال على الواحد

إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ  
أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ  
مَرْدُودٍ ﴿٧٤﴾ [هود: ٧٤-٧٦]

فرعون وقومه، استوطن بنو  
إسرائيل أرض مصر بعد أن دخلوها  
في أيام أبيهم يعقوب، وعاشوا فيها  
برهة من الزمن في عزة ومنعة فقد تبوأ  
يوسف وهو منهم مكانة عالية في أهل  
مصر، وبسببه دخلها بنو إسرائيل،  
ومع مرور الأيام، وتقلبات الدهور،  
انقلب حالهم من العزة والمنعة إلى  
الذلة والمهانة، فبعد أن كانوا سادة  
صاروا عبيداً يستضعفون في الأرض  
على يد فراغة مصر وشعبها من  
القبط، وقد وصل الأمر ذروته في عهد  
فرعون الذي ورد ذكره في القرآن  
الكريم، وكان مثلاً في الجبروت  
والطغيان، حيث أمر بذبح ذكور بني  
إسرائيل واستحياء نسائهم، وقد  
سجل القرآن قصة عناد فرعون  
وطغيانه مع موسى ثم مصرعه مع  
قومه وكانت قصته من أكثر القصص

واجابة جبرئيل هي لا، فقال له  
ابراهيم ان في القرية لوطا؟ فقالوا  
نحن اعلم بمن فيها لنتجيه واهله الا  
امراته كانت من الغابرين المهلكين.<sup>(٨)</sup>

وسبب هلاكهم هو إن أهلها كانوا  
ظالمين قد استقرت فيهم رذيلة الظلم،  
وظلمهم هذا خاص بهم يستوجب  
الهلاك وليس من مطلق الظلم الذي  
كان الناس مبتلين به يومئذ، وعندما  
قال لهم ان فيها لوطا كان يقصد  
صرف العذاب، لم يكن يجهل ان الله  
سبحانه لا يعذب لوطا وهو نبي  
مرسل وان شمل العذاب اهل القرية  
اجمعين، فهو ﷺ اراد بصرف العذاب  
عن أهل القرية كرامة للوط لا ان  
يدفعه عن لوط، فأجيب بأنهم  
مأمورون بإنجائه واخراجه من بين  
أهل القرية ومعه أهله إلا امراته كانت  
من الغابرين<sup>(٩)</sup> ودليل ذلك قال تعالى:  
﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ  
وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ \*  
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ \* يَا



دوراناً فی القرآن لأنها تمثل ذروة الصراع بین الحق والباطل فی قصص السابقین.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلِكِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٦-٩٧] ان من اشد الطغاة والجبابرة هم الذين يتعمدون عدم الاصغاء للحجة والمنطق واللجوء الى القوة، وهذا هو شأن فرعون وزمرته<sup>(١١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٢٣-٢٥]

سبب طغيان فرعون وعناده من المعلوم أن طغيان فرعون وعناده أدى إلى هلاكه وقومه، فما الذي دفع فرعون إلى هذا الطغيان؟

\* الكبر، وهو ما تدل عليه الآية الكريمة صراحة قال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ \* فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٣٩-٤٠] أي أنهم استكبروا على المسلمين واستكبروا على رسلهم وكذبوهم.<sup>(١١)</sup>

\* الملك، فقد جمع قومه ونادى مفتخراً، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١].

\* ادعاء الألوهية، وذلك عندما ألجمه موسى وهارون عليهما السلام بالحجة، فخاف من الهزيمة، وأراد أن يثبت ذلك، فأمر هامان ببناء صرح عظيم لبحث عن إله موسى حسب ظنه<sup>(١٢)</sup>، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ

### اصحاب السبت

هم قوم من بني إسرائيل ذكر الله قصتهم في قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَّائُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، وقد اختلف في اسم هذه القرية، والمشهور عند المفسرين أنها أيلة، وكل ما في القرآن أنها كانت قرية حاضرة البحر، أي بقرب البحر على شاطئه، ووصف القرية بهذا الوصف له مغزى في إيضاح القصة بخلاف تحديد اسمها، فالقصة تدور حول صيد الحيتان في يوم السبت والمدن الواقعة على السواحل هي التي تشتهر عادة بالصيد البحري، أما تحديد اسم القرية فلا يترتب عليه كبير فائدة، فالمقصود من القصة وهو الاعتبار والاعتاظ حاصل بدونه، ولذلك لم يهتم القرآن كثيراً بتحديد الأسماء، والعصور

غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

\* حاشية فرعون، فهم دائماً ما يحرصون فرعون على الإثم<sup>(١٣)</sup>، قال تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنْقَتِلْ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]

ولما جاء أمر الله بهلاك فرعون وقومه أمر موسى ﷺ أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً فخرج بهم فعلم فرعون بذلك فحشد جيشه وعساكره، وساروا في إثر بني إسرائيل مع شروق الشمس ليعيدوهم إلى العبودية، ولم يعلموا أنهم يخرجون خرجة لا رجعة بعدها أبداً، وبعد أن فلق الله البحر لموسى وعبر بنو إسرائيل دخل فرعون بجنوده في إثرهم فانطبق البحر عليهم فأغرقوا جميعاً، ولم ينج منهم أحد.

والأماكن في معظم قصصه، حرم  
ومجمل قصة أهل هذه القرية أن جماعة  
منهم كانوا يعتدون في السبت بالصيد،  
وقد الله عليهم ذلك، ولم يردعهم  
مواظع العقلاء ولا نصائح  
الناصحين، فعجل الله عقوبتهم  
بعذاب يليق بفعلتهم بأن مسخهم  
قردة خاسئين<sup>(١٤)</sup>، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ  
عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ  
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ \*  
فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا  
خَلَقَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:  
٦٥-٦٦]

### أهل القرية الآمنة

المراد بأهل القرية الآمنة هم  
المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ  
اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً  
يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ  
فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ  
الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾  
[النحل: ١١٢]

وقد اختلف المفسرون في القرية  
المضروبة مثلاً في هذه القصة على  
أقوال، وهي راجعة إلى قولين:  
أولهما: أن القرية هنا مقدرة على  
هذه الصفة المذكورة في الآية، وليس  
يُراد بها قرية معينة بل كل قرية أنعم  
الله على أهلها فأبطرتهم النعمة  
فعاقبهم الله، وذلك أن المثل قد  
يضرب بشيء موصوف بصفة معينة  
سواء أكان ذلك الشيء موجوداً أم لم  
يكن موجوداً، فوجود المشبه به غير  
لازم، وهذه القصة من هذا  
القبيل.<sup>(١٥)</sup>

جواز عدم ذكر المشبه به في هذه  
القصة لمكان قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ  
جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ  
الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: ١١٣]  
فلا بد أن يكونوا أهل قرية معينة وقع  
لهم هذا المذكور في، وهو اعتراض  
وجيه يجعل هذا القول في حكم  
المرجوح، مستأنف؛ فكأنه ذكر المثل

أولاً ثم ذكر الممثل؛ وفي هذا قطع  
لآخر السياق عن أوله بينما الظاهر فيه  
الاتصال.

### أصحاب الفيل

تعتبر قصة أصحاب الفيل خاتمة  
القصص التي تحدث فيها القرآن  
الكريم عن مصارع الأمم السالفة من  
الناحية الزمنية فأحداث القصة دارت  
في العام الذي ولد فيه النبي <sup>(١٦)</sup>.

وأصحاب الفيل هم جيش أبرهة  
الأشرم الحبشي، فخلال الحكم  
الحبشي لليمن عزم أبرهة حاكم اليمن  
الحبشي على السير إلى مكة لهدم  
الكعبة، فحشد لذلك جيشاً ضخماً  
يقدمه الفيل فسموا بأصحاب الفيل،  
وسار من اليمن صوب مكة، وقد  
سحق جيش أبرهة كل من حاول  
صده عن البيت من قبائل العرب حتى  
وصل قريباً من مكة، فعسكر بجيشه  
بالمخمس، واستعد لدخول مكة لتنفيذ  
الغرض الذي جاء من أجله. <sup>(١٧)</sup> أما

قريش أهل مكة فقد رأوا أنه لا طاقة  
لديهم بهذا الجيش فانسحبوا إلى الجبال  
يرتقبون نهاية الموقف.

وهكذا لم يبق بين البيت وبين  
جيش أبرهة إلا الحماية الإلهية، وظن  
أبرهة أن مهمته قد تيسر بعد انسحاب  
قريش، فعزم على دخول مكة، وحبس  
الله الفيل فبرك دون مكة لا يدخلها  
فحاولوا كل المحاولة ففشلوا <sup>(١٨)</sup>

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ  
بِأَصْحَابِ الْفِيلِ \* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي  
تَضْلِيلٍ \* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ \*  
تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ \* فَجَعَلَهُمْ  
كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١-٥]

**المبحث الثاني: اسباب الهلاك  
الذي حل بالأمم السالفة  
السبب الاول: انحراف البشرية  
عن التوحيد الى الشرك  
توطئة**

أسباب هلاك الأمم السابقة  
متعددة ومتنوعة إلا أن أخطرها

بعینها أو عن أمم محددة، تفصل شرکهم وإصرارهم علیه ودعوة رسلهم إلى نبذه واجتنابه؛ وتذكر هذه الآيات الشرک ضمن الأسباب التي من أجلها أهلکت تلك الأمة المعينة أو الأمم المحددة، وكل ذلك إما بالتصریح بلفظ الشرک أو بما يدل علیه.

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢]

أتمته وفي هذه الآية يأمر الله نبيه أن يخاطب هؤلاء المشركين من ليسيروا في الأرض وينظروا إلى مساكن من كان قبلهم ممن كان عاقبته الهلاك والبوار، ليعتبروا بذلك، ويتعظوا وينتهوا عما هم عليه من الشرک. <sup>(١٩)</sup>

وقد ختمت الآية بقوله تعالى: كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ لبيان السبب الذي أورد أولئك الأمم هذه العاقبة السيئة، وذلك السبب هو شرکهم بالله تعالى،

وأعظمها على الإطلاق هو الشرک بالله جل وعلا بسببه ورد كثير من الأمم موارد الهلاك، واستحقوا العقوبة في العاجلة قبل الآخرة، وصاروا عبرة وعظة لمن بعدهم، وهناك آيات كثيرة تتحدث بالتفصيل عن هذه الآفة الخطيرة لدى الأمم الهالكة، وكيف أشربت في قلوبهم وعاندوا وكابروا من أجلها، وكذبوا الرسل والأنبياء في سبيل التمسك بها والبقاء عليها، وكيف كان مصيرهم بعد الإنذار والإعذار.

وبعض هذه الآيات تتحدث عن كون الشرک سببا في هلاك من تقدم عموما دون تخصيص أمة بعينها وإجمالا دون تفصيل في الغالب، وقد يكون ذلك بالتعبير بلفظ الشرک أو بما يدل علیه من الألفاظ العامة التي يندرج تحتها الشرک وغيره من الذنوب كالظلم والكفر والإجرام ونحوها.

وهناك آيات آخر تتحدث عن أمة

الشرك<sup>(٢٢)</sup>

﴿وَالِى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ  
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا  
تَتَّقُونَ \* قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ  
قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَمَنُظُّنُّكَ  
مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٥-٦٦]  
ثبت بهذه أنهم وقعوا في شرك العبادة  
والألوهية، وقد حباهم الله نعمًا وافرة،  
وخيرات لا تُحصى؛ ففجروا العيون  
وزرعوا الأرض، وشادوا القصور،  
وزادهم الله فوق ذلك بسطة في  
أجسامهم، وقوة في أبدانهم، ولكنهم لم  
يشكروا الله على آلائه، بل اتخذوا هذه  
الأصنام؛ يعبدونها ويستنصرون بها في  
الشدائد.

وأيضًا كان من شرك القوم: ادعاء  
الضر والنفع في أصنامهم؛ حيث  
قالوا، قال تعالى: ﴿إِن نَقُولُ إِلَّا  
اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي  
أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا  
تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤]، وهذا من

قال ابن جرير: ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ  
مُشْرِكِينَ﴾ له يقول: فعلنا ذلك - أي  
الهلاك - بهم لأن أكثرهم كانوا  
مشركين بالله مثلهم<sup>(٢٠)</sup>

وفي (التقييد بالأكثرية دون  
الإطلاق في قوله: ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ  
مُشْرِكِينَ﴾ دلالة على أن الشرك وحده  
لم يكن سببا في هلاك كل الأمم  
السالفة، بل كان سببا في هلاك  
أكثرهم، وما دونه من المعاصي سببا  
في هلاك القليل منهم)<sup>(٢١)</sup>

وذكر بعض المفسرين وجهًا آخر  
وهو أنه قيد بالأكثرية لأن الهلاك لم  
يختص بالمشركين فقط، وإن كانوا هم  
الأكثر؛ بل شمل غيرهم من المؤمنين  
أي، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا  
تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً  
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾  
[الأنفال: ٢٥] أو أنه شمل الصغار  
والمجانين ونحوهم ممن لا تكليف  
عليهم، ولا ينطبق عليهم صفة



الشرك بالله في أمور الربوبية.

فبعث الله فيهم أخاهم هودًا عليه السلام فكان من أوسطهم نسبًا، وأحسنهم، خلقًا، وأرجحهم عقلاً، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ ما يعبدون من حجارة لا تجلب لهم نفعًا، ولا تدفع عنهم ضرا، فرد عليه الملائ من قومه أسوأ رد، واتهموه بشتى التهم، عن وعلى هذا فقوم لوط قد دعوا إلى التوحيد كغيرهم، أما عدم ورود ذلك في القرآن كما في قصص سائر الأمم فقد أجيب ذلك بجواب له وجه، وهو أن لوطا كان معاصرا لإبراهيم، وكان إبراهيم قد اشتهر بالدعوة إلى التوحيد في ذلك الزمان فيكون دعوته إلى التوحيد قد بلغ قوم لوط، ولذلك كان تركيز لوط في دعوته على النهي عن الفاحشة التي اشتهروا بها فكان حديث القرآن عنه في هذا المجال دون التوحيد<sup>(٢٣)</sup>

ما يتعلق بعدم ذكرهم بالتوحيد

على وجه الخصوص؛ أما كون ذلك دالا على أنهم لم يكونوا مشركين ففيه نظر، لأن الله سبحانه وتعالى قال عن قوم لوط: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦] ففي هاتين الآيتين دليل على أنه لم يكن في قرية قوم لوط مؤمن ولا مسلم إلا آل لوط، فإذا كان ذلك كذلك لم يبق إلا أن يكون الباقون إما مشركين أو كفارا معطلين جاحدين للخالق، فإذا كانوا مشركين فلا بد أنهم قد دعوا إلى التوحيد كغيرهم من المشركين، وإذا كانوا معطلين فكذلك أيضا لأن دعوتهم إلى التوحيد وهم مشركون ليس بأولى من دعوتهم إلى التوحيد وهم معطلون جاحدون للخالق، لأن التعطيل أشد من والجحود الشرك.<sup>(٢٤)</sup>

منه، وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تذكر الظلم سببا من أسباب هلاك الأمم السالفة؛ والظلم لفظ عام

في وضع الشيء في غير موضعه، يشمل الشرك وغيره من المعاصي، إلا أن الشرك أعلى أصناف الظلم ولا ظلم أعظم وقد فسر النبي ﷺ الظلم بالشرك في، لما نزلت هذه الآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: أين لم يلبس إيمانه بظلم، فقال رسول الله ﷺ: (إنه ليس بذلك ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه إن الشرك لظلم عظيم)<sup>(٢٥)</sup>

ومن الآيات التي ورد فيها ذكر الظلم سببا للهلاك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ١٣] (ولقد أهلكنا الأمم التي كذبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون برهم لما ظلموا، يقول: لما أشركوا وخالفوا أمر الله ونهيه)<sup>(٢٦)</sup>.

قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبُئِرَ مُعَظَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥] وقوله تعالى: ﴿نَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١]

وغير ذلك من الآيات التي تذكر الظلم سببا لهلاك مَنْ هلك من الأمم السابقة، وأول ما يدخل تحته هو الشرك، فهلاكهم كان بسببه وبما دونه من المعاصي، يقول سيد قطب والتعبير القرآني يكثر من ذكر كلمة (الظلم) وكلمة (الفسق) في موضع كلمة (الكفر) أو كلمة (الشرك) وهذه من تلك المواضع التي يكثر ورودها في التعبير القرآني، ذلك أن الشرك أو الكفر هو أقبح الظلم كما أنه كذلك هو أشنع الفسق، والذين يكفرون أو يشركون يظلمون أنفسهم بإيرادها

موارد الهلکة فی الدنیا والآخرة  
ویظلمون الناس بإخراجهم من  
العبودية الله الواحد إلی العبودیة  
للطواغیت المتعددة والأرباب المتفرقة  
ولیس بعد ذلك ظلم<sup>(٢٧)</sup>

الجرم بمعنی الشریک والمجرم  
المشرک وقال تعالی فی هلاک هلك من  
الأمم الغابرة: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
فَإَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾  
[النمل: ٦٩] فتلك العاقبة السيئة لم  
يصيروا إلیها إلا بسبب اتصافهم  
بصفة الإجرام ومن أشنع أنواعه  
الشرک بالله جل وعلا؛ وقال تعالی:  
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى  
قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْ  
الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ  
الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] فكان  
الانتقام منهم بسبب إجرامهم فی حق  
خالقهم بالشرک، وفی حق رسلهم  
بالتکذیب والمخالفة.

وهلاک الأمم کلها کان بسبب

الذنوب وأعظمها الشرک كما فی  
الحديث المتقدم، وفی بیان هلاک الأمم  
بسبب الذنوب يقول الله جل وعلا:  
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ  
قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ  
لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِزْرَارًا  
وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ  
فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ  
بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]

وقوله تعالی: ﴿كَذَّابٍ آلٍ فِرْعَوْنَ  
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ  
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ  
شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢].

أعظم أنواع الکفر هو الشرک بالله  
وهو الأعم فی القرآن، ومما ورد فی  
هلاک الأمم بالکفر قوله تعالی:  
﴿وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ  
فَأْمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ  
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢]

وقد علم هؤلاء وأیقنوا عند معاینة  
الهلاک أن سبب هلاکهم هو کفرهم

وشركهم بالله ولذلك حاولوا دفع العذاب النازل بهم بادعاء الإيمان والكفر بالأوثان التي لم تغن عنهم شيئاً، وفي ذلك يقول الله جل وعلا: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ\* فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥] أن الشرك كان السبب الأغلب لهلاك من هلك من الأمم السالفة.

### السبب الثاني: هلاك الامم بسبب الاستكبار

خطورة الاستكبار وعظم ضرره على صاحبه لا يعجب المرء إن كان سبباً في هلاك بعض الأمم، فهذه الصفة الذميمة كانت شائعة لدى الأمم السالفة مع كل ما يترتب عليها من استنكاف عن عبادة الله ودفع للحق الذي جاءت به الرسل وانقياد للباطل الذي زينه الشيطان لهم، فكان

عاقبتهم الهلاك.

وهناك آيات كثيرة تتحدث عن هذه الآفة لدى الأمم السالفة، وما ترتب عليها من الهلاك والدمار، ومن هذه الآيات قوله تعالى في شكوى نوح إلى ربه من عناد قومه ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]، وبعد ذكر شنائعهم، وأفعالهم المنكرة قال: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]

فمن الترفع عن توحيد الله سبحانه وتعالى ما ورد في آيات كثيرة عن عامة الأمم السالفة من إنكار تفرد الله سبحانه وتعالى بالعبادة تكبراً واستنكافاً أن يتركوا ما درجوا عليه من عبادة الأصنام قال الله تعالى عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ

وَيَعُوقُ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ [نوح: ٢٣]

وقال تعالى عن عاد: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]

وقال تعالى عن ثمود: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢]، وقال عن مدين: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، طريقة واحدة في الترفع عن توحيد الله سبحانه وتعالى كأنها تلقوه خلفا سلف، ولا فَعِلَّةُ هذا الترفع واحدة - وهي الكبر، فكان الأثر واحداً، تشابهت قلوبهم فهم كما قال الله تعالى: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣]

على الطلب، قال الألوسي: (والاستكبار: طلب الكبر من غير استحقاق).

وهذا الملحوظ جيد، فإنك لا ترى الاستكبار يذكر إلا للذم، ولذلك ورد في أسماء الله تعالى المتكبر ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، ولم يرد المستكبر، لأنه طلب الشيء بغير استحقاق والله سبحانه وتعالى هو وحده المستحق لهذه الصفة، فكل من طلبها من الخلق كان طالبا لما لا ينبغي له فيكون متعديا مستحقا للذم والعقاب.

وكثيرا ما يرد في القرآن وصف الاستكبار بأنه استكبار بغير حق، وقد يفهم من ذلك أنه تخصيص لبعض أنواع الاستكبار بكونها بغير حق مما يشعر بوجود استكبار بحق وقد سبق أن هذه الصيغة لا تأتي إلا للذم،



٢. التكبر على الرسل من جهة الترفع عن الانقياد للبشر مع معرفة صحة ما جاءوا به كحال عامة الأمم المكذبة للرسل، قالوا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦]

٣. التكبر على سائر الخلق باستعظام نفسه واحتقار الناس، والترفع عليهم والإباء عن الانقياد لهم ولو كانوا على حق، مثل قول قوم نوح ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَائِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]

وأجاب ابن عاشور عن هذا الإشكال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩]

وقوله: (بِغَيْرِ الْحَقِّ) الحال لازمة لعاملها إذ لا يكون الاستكبار إلا بغير الحق<sup>(٢٨)</sup>. فيكون قوله بغير الحق زيادة بيان للمعنى الذي دل عليه لفظ الاستكبار.

## انواع الاستكبار ثلاثة

١. التكبر على الله سبحانه وتعالى بالترفع عن عبادته، وعن الإذعان لأوامره ونواهيه، وهذا أشنع أنواع الكبر، وهو مثل كبر فرعون، ادعى الربوبية واستنكف أن يكون عبدا لله جل وعلا قال سبحانه: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]



ومفهوم وصفهم شعبيا بالضعف  
أنهم الأقوياء الأشداء ذوو المراتب  
العالية، وقد بينوا أن لا شيء يمنعهم  
من التكيل بشعيب بالرجم إلا  
مراعاتهم لجانب رهطه الذين لا زالوا  
على دينهم، وقد أعلنوا ازدراءهم  
بشعيب بقولهم: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا  
بِعَزِيزٍ﴾، أي (ما أنت بمكرم محترم  
حتى نمتنع من رجحك، وإنما نكف  
عنك للمحافظة على حرمة رهطك  
الذين ثبتوا على ديننا) (٣١).

وهذه حقا مقالة سوء في حق نبي  
كریم من أنبياء الله، استعلوا عليه وهم  
الأذلون، فنالوا جزاءهم في العاجلة  
قبل الآخرة.

### السبب الثالث: تكذيب الرسل والآيات والبعث والنشور

قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ  
وْمُنْذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ  
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا  
حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]

كون الإنسان متكبرا ومن طبع  
المتكبر قساوة القلب، وكونه منكرا  
للبعث والحساب، فالمتكبر القاسي  
القلب يحمله طبعه على إيذاء الناس  
إلا أنه إذا كان مقراً بيوم الحساب كان  
خوفه من الحساب مانعا له من التهادي  
في الإيذاء، أما إن كان منكرا للبعث  
والحساب مع التكبر فإنه يكون متماذيا  
في إيذاء الناس لا يحجزه عن ذلك  
شيء إلا العجز، وقد اجتمعت  
الصفتان في فرعون فلم يكن ثم شيء  
يمنعه من إيذاء موسى إلا عجزه عن  
ذلك لحماية الله لموسى، وحفظه له (٢٩).

فما ورد من استعلائهم على  
الرسل واحتقارهم إياهم قول مدين  
لنبيهم شعيب: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا  
نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا  
ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ  
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١] فهم يرونه  
ضعيفا أي مهينا لا قوة له ولا قدرة  
لديه على أن يمنع نفسه منهم (٣٠)

فبشروا وأنذروا، وورغبوا ورهبوا،  
ونصحوهم لأمرهم أيما نصيحة فكان من  
حقهم أن يطاعوا ولا يُعصوا، وأن  
يتبعوا ولا يُخالفوا؛ لكن كثيرا من  
الناس غلبت عليهم شقاوتهم،  
وطغت على عقولهم غباوتهم ورائت  
على قلوبهم قساوتهم فلم يستنبروا  
بنور الحق، ولم ينقادوا لحملة الهدى  
والرشاد فكذبوا رسلهم وأنبياءهم،  
ولجوا في تكذيبهم فكان عاقبتهم أن  
عاجلهم الله بالعذاب وجعلهم عبرة  
لأولي الألباب.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا  
تَتَرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُلُهَا كَذَبُوهُ  
فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ  
أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾  
[المؤمنون: ٤٤] وهذه الآية عامة  
شاملة للأمم المكذبة، ولم تسم أمة  
بعينها، وهناك آيات ورد فيها تسمية  
أمم بأعيانها كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ  
يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ  
وَعَادٌ وَثَمُودٌ \* وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ \*

وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ \* وَكَذَّبَ مُوسَى  
فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ  
كَانَ نَكِيرٍ﴾ [الحج: ٤٢-٤٤]

هذه الآيات ونظائرها واردة في  
سياق تسليية النبي الله عما يلاقيه من  
قومه من التكذيب والإعراض فإلله  
سبحانه وتعالى يقص على نبيه قصص  
المكذبين الأمم السالفة، وما  
واجهوا به رسلهم من التكذيب، وما  
صار إليه أمرهم من الهلاك، وفي ذلك  
تحفيف عليه عما يجدي في الألم والأسى  
بسبب تكذيب هؤلاء الكفرة فهو  
ليس بدعاً من الرسل في التكذيب، بل  
كذب قبله، رسل وفيه إنذار وتحذير  
للمكذبين من قومه من أن يكون  
مصيرهم كمصير أسلافهم الذين  
كذبوا رسلهم فأخذهم الله بعاجل  
العذاب. (٣٢)

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ  
وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ \* وَثَمُودٌ وَقَوْمُ لُوطٍ  
وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ \*

إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ \*  
وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا  
لَهُمَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿ص: ١٢-١٥﴾،  
(فجعل علة هلاكهم هو تكذيبهم  
بالرسل) (٣٣)

﴿وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ  
أَعْرَفْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً  
وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾  
[الفرقان: ٣٧] ولعظم جرم تكذيب  
الرسل وشناعته جعل القرآن الكريم  
من كذب رسولا واحداً مكذباً لجميع  
الرسل، بينت الآية أنهم أهلكوا  
بالغرق بسبب تكذيبهم الرسل مع أن  
الله تعالى لم يرسل إليهم غير نوح،  
وذلك لأن تكذيب رسول واحد  
تكذيب لجميع الرسل سابقهم  
ولا حقهم، لاتفاق كلمتهم على  
التوحيد وهو أساس رسالتهم فلا  
فرق بين نوح وغيره من الرسل في  
وجوب الإيمان به ولو فرض أن الله  
سبحانه وتعالى أرسل إلى هؤلاء كل  
رسول فإنهم كانوا سيكذبونه كما

كذبوا نوحاً؛ وفي هذا إبراز لعظم  
كفرهم، وإظهار لفظاعة جرمهم (٣٤)  
حكى القرآن الكريم عن المكذبين  
عبارات فيها التصريح بالكفر بما  
جاءت به الرسل من توحيد الله جل  
وعلا وبند عبادة الأصنام والأوثان،  
وما سوى ذلك من مسائل الملة، قال  
تعالى في حكاية ما ردَّ به المكذبون  
دعوة رسلهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ  
يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ  
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا  
يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ  
وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا  
لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾  
[إبراهيم: ٩]

وقال تعالى ﴿قَالَ أُولَوْ جِئْتُكُمْ  
بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ  
قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾  
[الزخرف: ٢٤] وقول هؤلاء  
المكذبين بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ لا يعني أنهم

والتمويه؛ فهؤلاء المكذبون عندما عبروا عن تشككهم في دعوة الرسل أو همّوا أنهم قد سبروا الأدلة والأمارات، وقارنوا بينها فلم يتبين لهم صحة دعوة الرسل من كذبها فهم في موقف المتردد الباحث عن الحق بين أمرين متناقضين لكن الأدلة لم تسعفه للوصول إلى معرفة الصحيح منها.

ثم اخبر تعالى انه باهلاكه إياهم لم يظلمهم، ولكن هم الذين ظلموا أنفسهم فيما مضى بالمعاصي التي استحقوا بها الهلاك. ثم اخبر تعالى انه أصابهم يعني الكفار جزاء سيئات أعمالهم، وهي القبائح، (وحاق بهم) اي حل بهم وبال (ما كانوا به يستهزون) أي يسخرون برسل الله وبأنبيائه.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

أقروا برسالة الرسل، بل قالوه على سبيل التهكم وقصدهم بما أرسلتم به على حد زعمكم<sup>(٣٥)</sup>.

وكأنهم بهذا يزعمون أنهم لو علموا صحة دعوة الرسل، وتبين لهم صدقهم لا تبعوهم وهؤلاء المكذبون أضافوا إلى الشك ما يفيد ترجيح كفة التكذيب لديهم على كفة التصديق، فوصفوا شكهم بأنه مريب ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠] أي يوجب التهمة، من أربته فأنا أريبه إرابةً، إذا فعلت له فعلاً يوجب له الريبة، فشكوا وتوقفوا في إمضاء أحد الأمرين، ثم ارتابوا في جانب شك الصدق، فكانوا في مؤكد بارتباب<sup>(٣٦)</sup>.

وإبداء الشك في دعوة الرسل أسلوب خبيث من أساليب التكذيب، وصورة سيئة من صور الخداع



فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ [النحل: ٣٥]، (حكى الله تعالى عن المشركين مع الله إلهها آخر ومعبودا سواه أنهم قالوا (لو شاء الله) أي لو أراد الله لم نكن نعبد شيئا من دونه، من الأصنام والأوثان، لا (نحن ولا آباؤنا ولا حرمننا) من قبل نفوسنا شيئا، بل أراد الله ذلك منا، فلذلك فعلنا، كما يقول المجبرة الضلال، فكذبهم الله وانكر عليهم، وقال مثل ذلك فعل الذين من قبلهم، من الكفار الضلال كذبوا رسل الله، وجحدوا أنبياءه ثم عذر أنبيائه، فقال (هل على الرسل إلا البلاغ) الظاهر أي ليس عليهم إلا ذلك. وفي ذلك ابطال مذهب المجبرة، لان الله انكر عليهم قولهم إنه (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) <sup>(٣٧)</sup>

وقد وردت عدة آيات في القرآن الكريم فيها ذكر عصيان بعض الأمم، وما أدى إليه ذلك من الهلاك؛ فعن قوم نوح يقول الله جل وعلا: ﴿قَالَ

نُوحُ رَبِّ انْتَهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا \* وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا \* وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا \* وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢١-٢٤]، ففي الوقت الذي عصوا فيه نبيهم، نوحاً، وهو الناصح الأمين، أطاعوا رؤساءهم البطرين بأمورهم المغترين بأولادهم فزينوا لهم الاستمرار على الكفر والعصيان <sup>(٣٨)</sup>. وقال تعالى عن عاد: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩]، كحالة قوم نوح تماماً، عصيان للرسول، واتباع لأمر رؤسائهم الجبابة.

والمراد على هذا الوجه أنهم عصوا رسالة الله التي جاءت بها الرسل بالمخالفة وعدم الاتباع).

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ  
افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ  
بِمُؤْمِنِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٨].

نجد ايضا تكذيب فرعون وقومه  
لما جاء به موسى وهارون، قال تعالى:  
﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ  
آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبَرِيَاءُ فِي  
الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾  
[يونس: ٧٨]

تكذيب الرسل مما عمت به البلوى  
لدى الأمم الهالكة، فأغلب الأمم التي  
ورد ذكر هلاكها في القرآن الكريم لم  
تخلُ قصصهم من الإشارة إلى تكذيب  
الرسل؛ إما جملة تقتصر على ذكر  
تكذيبهم رسلهم، أو مفصلة تتطرق  
إلى ما دار بينهم وبين رسلهم من  
محاورات ومجادلات تُبرز تعنتهم  
ولجاجهم في التكذيب في مقابل ما  
أقامه الرسل - عليهم السلام - من  
الحجج والبيانات الدالة على صدقهم  
في دعوى الرسالة وفيما أخبروا به من

عصيان فرعون في موضعين آخرين  
قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا  
شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ  
رَسُولًا \* فَعَصَىٰ - فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ  
فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [الزمل: ١٥ -  
١٦]

والموضع الاخر قوله تعالى: ﴿فَأَرَاهُ  
الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ \* فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ - \* ثُمَّ  
أَدْبَرَ يَسْعَىٰ \* فَحَشَرَ فَنَادَىٰ \* فَقَالَ أَنَا  
رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ \* فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ  
الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ \* إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن  
يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٠-٢٦]

وعصيان المكذبين رسلهم لم يقتصر  
على المخالفة في العمل وعدم الطاعة  
فحسب، بل رافق ذلك أحياناً  
التصريح بعدم امتثال ما أمر به  
الرسل، أو اجتناب ما نهوا عنه ومن  
ذلك قول قوم هود له: ﴿قَالُوا يَا هُودُ  
مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا  
عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾  
[هود: ٥٣].



توحيد الله جل وعلا.

بشرية الرسل هذه الشبهة مما تواطأ عليها المكذبون سابقهم ولاحقهم، فهي مستندهم وعمدتهم في إنكار رسالة الرسل؛ فقد تقرر عندهم: أن الرسول عند الله لا يمكن أن يكون بشراً؛ وكلما جاء رسول قومه واجهوه بهذه الشبهة، وأبوا عن الانقياد له لكونه بشراً مثلهم<sup>(٣٩)</sup> قال تعالى: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ رُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ ۖ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا \* وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا \* قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُّونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣-٩٥]

أي ما منعهم عن الإيمان بعد نزول الوحي وظهور الحق إلا هذه المقولة

الباطلة التي لا تستند إلى حجة ولا برهان وقد أرشد الله سبحانه وتعالى نبيه إلى الرد على هذه الشبهة فقال جل وعلا: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُّونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥]، أي: لو كان في الأرض ملائكة يمشون عليها مطمئنين كحالكم أيها البشر لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة ليقع الإفهام لأن الجنس إلى الجنس أميل أما وقد كان أهل الأرض بشراً فلا بد أن يكون رسولهم بشراً، إذ لو بعث إليهم ملك على صورته لنفرت منه، طباعهم، ولم تحتمله أبصارهم، ولا تجلدت له قلوبهم، فلا يحصل المقصود من الرسالة<sup>(٤٠)</sup>.

(ولو نقله من صورته إلى صورة بشر، لالتبس الأمر عليهم ولقالوا إنه بشر، وما هو بملك، فيعودون إلى الإنكار والتكذيب)<sup>(٤١)</sup>

والرسل عليهم السلام لم يدعوا

خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ [هود: ٣١].

وقد ورد ترديد هذه الشبهة عن عامة المكذبين، قال تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ- مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦].

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثَّنَا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِدَّا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ \* أَلَلْقَى الدِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: ٢٤-٢٥].

كما حكى القرآن عن بعضهم ما

قط أنهم ليسوا ببشر، أو أنهم يختلفون عن الناس في الصفات البشرية، بل إنهم في ردهم على هذه الشبهة أكدوا أنهم بشر كسائر البشر، وإنما الذي يفصلهم عن بقية البشر هو أن الله سبحانه وتعالى تفضل عليهم واختارهم لرسالته، وهو أعلم حيث يجعل رسالته قال تعالى مبينا رد الرسل على أهمهم المكذبين قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ- مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]

وفي هذا الباب أيضا نجد نوحا عليه السلام ينفي عن نفسه الصفات الخارجة عن صفات البشر مما يتوهم المكذبون أنه يدعيه أو أنه من لوازم النبوة والرسالة، قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ

## السبب الرابع: الاستهزاء بالرسول ودعوتهم

والاستهزاء من توابع التكذيب ونتائجه، وليس من لوازمه، فالإنسان قد يكذب شخص ما، لكنه لا يتعرض له بالاستهزاء والسخرية، لكن الغالب أن المكذب لا يترك وسيلة يمكن من خلالها الاستهزاء بالمكذب إلا ويسلكها، فتجده يسخر منه ومن أفعاله وأقواله، وأفكاره، وحتى ممن يوافقه في مذهبه.

وخطر الاستهزاء جسيم، وضرره على المستهزئ عظيم، ويتفاوت خطره وضرره بحسب المستهز به، فلاستهزاء بالله وآياته ورسله من أكبر الموبقات، ومما يورث العقوبة في الدنيا والآخرة، وقد حكم الله سبحانه وتعالى بكفر المستهزئين به وبآياته ورسله، قال تعالى في منافقي هذه الأمم: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ

يؤكد إنكارهم بعثة الرسل من البشر، حيث جزموا وقطعوا بأن الله تعالى لو أراد هدايتهم لأرسل إليهم ملائكة، لا بشرا.

وهذه هي سذاجة التصور والتفكير، فالأسرار والألغاز ليست صفة ملازمة للنبوة والرسالة، وليست في هذه الصورة الساذجة الطفولية، وإن هناك لسرا هائلا ضخما، ولكنه يتمثل في الحقيقة البسيطة الواقعة، حقيقة إيداع إنسان من هؤلاء البشر الاستعداد اللدني الذي يتلقى به وحي السماء حين يختاره الله لتلقى هذا الوحي العجيب، وهو أعجب من أن يكون الرسول ملكا كما كانوا يقترحون الواقعي للحياة وفق ذلك المنهج الإلهي، النموذج الذي يدعو قومه إلى الاقتداء وهم بشر، فلا بد أن يكون رسولهم من البشر ليحقق نموذجا والرسالة منهج إلهي تعيشه البشرية، وحياة الرسول هي النموذج من الحياة يملكون هم أن يقلدوه<sup>(٤٢)</sup>

بآيات الله ورسله، لما جاءتهم الرسل بالحجج الدامغات والبراهين القاطعات استحققوا علم الرسل، وهزئوا بهم، ورضوا بما عندهم من العلم على حد زعمهم أنه علم كعقائدهم الباطلة وشبههم الداحضة في عدم البعث والنشور، وما علموه من ظواهر الحياة الدنيا ومعاشها. (٤٣)

وهناك آيات آخر لم تصدر بذكر الاستهزاء بالرسل، لكنها ذكرت سوء عاقبة المستهزين، إذ نزل بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب الذي أنذرهم رسلهم من حلولها بهم إن استمروا في التكذيب والإعراض، فاستهزأؤهم بالعذاب الموعود استهزاء بالرسل، لأن الإخبار به كان من جهتهم.

### السبب الخامس: الاغترار بالنعم من مهلكات الامم

وأكثر ما ورد من ذلك جاء في سياق التحذير من الاغترار بالنعم،

وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ \* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ \* الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ [التوبة: ٦٥-٦٨].

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِلُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوِلُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ \* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا عَايَتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجنّة: ٣٤-٣٥].

ويوم القيامة يقرر الله أهل النار بذنوبهم التي أوصلتهم إلى ذلك المصير، ومن تلك الذنوب الاستهزاء

وذلك بتذكير هذه الأمة بمصير الأمم الهالكة التي كانت أكثر وأقوى، وأحسن عمراناً وأثاراً، وأشد تمكينا من كفار هذه الأمة، ولما جاء أمر الله بإهلاكهم لم يغن ذلك عنهم شيئا.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩].

تبين ما كانت عليه الأمم الهالكة القوة والشدة والتمكين، قال تعالى: ﴿وَكَايْنِ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدَّ قُوَّةً مِنْ

قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٣]

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التوبة: ٦٩]، والآيات الواردة في هذا القسم كثيرة.

### المبحث الثالث: اثر الترف والنعيم في هلاك الامم

لقد ورد ذكر الترف في القرآن الكريم في ثمان مواضع وجميعها جاءت في الذم والتحذير. وقد كانت هذه الآيات جميعها مكية. وفي بداية الدعوة الإسلامية كان المترفون هم أول الناس مكذبين للرسول ومهاجرين للدعوة، وكان أصحاب الترف متمثلين بأشراف مكة ومترفوها،



فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ  
وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا  
مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ [هود: ١١٦] (هذا استثناء  
منقطع ومعناه: لكن قليلاً ممن انجينا  
منهم وأراد بذلك الامم الماضية وهم  
أتباع الأنبياء كانوا ينهون عن الفساد  
في الارض وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا  
أُتْرِفُوا فِيهِ واراد بذلك اتبع الذين  
ظلموا أنفسهم بالكفر، والمعاصي، وما  
تعود به من النعم وإيثارا للذات على  
الآخرة ونعيمها) <sup>(٤٥)</sup>.

المعنى أنه أتبع الذين ظلموا بسبب  
مباشرتهم الفساد وتركهم عنه ما  
أُتْرِفُوا فِيهِ، والمترف الذي أبطرته  
النعمة، فصار الناس مترفين من  
خصب العيش ورفاهية الحال وسعة  
الرزق وثرؤ ذلك على الاشتغال  
بأعمال الآخرة، وأهلكوا أنفسهم في  
الشهوات النفسانية وهذا يتطلب تربية  
النفس على الفطام فلا يحق لها أن تأخذ  
تصريح بمفهوم كل ما تشتهيه  
وتطلبه. <sup>(٤٦)</sup>

وغيرهم من أتاهم الله من النعم  
الكثيرة فازدهروا بهذه النعمة وبطروا  
بها بل كانوا هم أشرارها، فخاطبهم  
الله جل جلاله خطابا يليق بحالهم  
وحال كل مترف من الأمم التي  
سبقتهم، فالمعنى كان يشمل كل مترف  
حتى يرث الله الارض ومن عليها،  
فتجد المترفون يشتركون في أغلب  
مظاهرهم وصفاتهم وأن تباعدت  
أممهم ومجتمعاتهم.

(ان الذين ظلموا أنفسهم من كل  
أمة سلفت فكفروا بالله، وأتبعوا ما  
أنظروا فيه من لذات الدنيا فاستكبروا  
عن أمر الله وتجبروا وصدوا عن  
سبيله)، <sup>(٤٤)</sup> قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا  
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا  
قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا عِبَادًا عَلَىٰ أُمَّةٍ  
وَإِنَّا عَلَىٰ عَآثِرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:  
٢٣].

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن  
قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ





قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الاسراء: ١٦] من خلال قراءة هذه الآية تجد أن كلام الله جاء بصفة العموم على سائر الأمم، وهذا يعني أن الله جلت قدرته إذا غضب على قوم أغرقهم بالمعاصي، وأعرضهم عن الدين الحق إما بالكفر أو بالمخالفة يستدرجهم، وهذا أسلوب للهلاك ونوع أستدرج الله الذي يستدرج به الأمم المترفة من هنا يتضح إن الترف كان في نظر لقرآن الكريم من أقوى أسباب الانحلال الاجتماعي، خاصة إذا كثر المترفون، وأصبحوا من ذوي الجاه والسلطان، وقد بين القرآن الكريم هذه السنة الاجتماعية في الآية أعلاه.

بخصوص المترفين مع أن الرسل يخاطبون جميع الناس، لان عصيانهم هو الأمر الموجه اليهم هو سبب فسقهم، وفسق بقية قومهم، إذ هم

قادة العامة وزعماء الكفر، فإذا فسقوا عن الأمر اتبعهم الدهماء، فعمّ الفسق على القرية، فاستحقت الهلاك فإذا ما كثر المترفون ولم يكن هناك من الامة من يجابههم بالحرب فإنه يحق عليه العذاب سواء كان بالمترفين أو غيرهم<sup>(٤٧)</sup>

(المترفون في أعلى أمة. طبقة الأمراء والكبراء الذين يتنعمون بالمال، ويجدون به الخدم والراحة، فينعمون بالدعة والسيادة حتى تترهل نفوسهم وتأسن قلوبهم، ثم ترتع بالفسق والمجانة، وتستتهر بالقيم والمقدسات، وبكرامة البشرية من الضعفاء وتولع في الاعراض والمحرمات، فيعيشوا في الأرض فسادا وتنتشر الفاحشة في الامة حتى ترخص القيم العليا ومن ثم تتحلل الامة وتسترخي وتفقد عناصر قوتها وأسباب بقائها، فتهلك وتطوي صفحتها، لأنها لم تجد من يضربها على يدها<sup>(٤٨)</sup>)

تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾

المؤمنون: [٣٣]

ذكر الله تعالى أهل الترف بأنهم سبب من أسباب تكذيب الملائ من قوم هود، فجحدوا بوحدانية الله تعالى وكذبوا بالبعث والنشور والحساب، وعندما وسع الله عليهم في الحياة الدنيا، وبسط لهم من الرزق حتى بطروا وأترفهم النعمة وعتوا وكفروا بربهم فكان سبب في التكذيب وأترقهم في الحياة الدنيا. وكانت عادت المترفين رسول هو المعارضة والصد لدعوته لأنها لا تتناسب مع أهوائهم، فلم يبعث الله سبحانه وتعالى رسولا من الرسل إلا وقد واجهه المترفون من قومه منذ البدء بالصد والرفض، وقد نبه الله تعالى الى ذلك بقوله، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ \* وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٤-٣٥] فتجد أن المترفين غلظت

(فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة

أخذت بأسباب الهلاك، فيكثر فيها المترفون فلم تدفعهم ولم تضرب على أيديهم فسلط الله عليهم هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فيعم فيها الفسق ثم تتحلل وتترهل، فحققت عليها سنة الله وأصابها الدمار والهلاك وهي المسؤولة عما يحل بها لأنها لم تضرب على أيدي المترفين، ولم تصلح من نظامها الذي يسمح بوجود المترفين. فوجود المترفين ذاته هو السبب الذي من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا، ولو أخذت عليهم الطريق فلم تسمح لهم بالظهور منها ما استحققت الهلاك، وما سلط الله عليها من يفسق فيها ويفسدها ويلحق بهم ويقودها الى الهلاك) (٤٩)

اهل الترف كانوا سبب في تكذيب الرسل قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِّنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْنَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا



قلوبهم فاستكبروا على الهدى واصرروا على الباطل ثم انخدعوا بهذا النعيم الزائل، وغرهم ما فيه من ثراء وقوة وعزة واعتقدوا أنهم ما أوتوا هذه الارزاق، والنعمة من اموال وبنين، إلا لأنهم كرموا على الله، فحسبوا أن ذلك مانعهم من عذابه، كانوا يعتقدون أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم لما يروه من اموال في الدنيا فغرهم ترفهم بذلك. لكن الله ابطال حساباتهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه مناسب، فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع، وربما عكس ذلك، فلا يقاس أمر الثواب بالذي عليه الاستحقاق.<sup>(٥٠)</sup>

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ\* فِي سُمُومٍ وَخَمِيمٍ\* وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ\* لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ\* إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [ الواقعة: ٤١ -

[ ٤٥

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا

قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِء كَافِرُونَ﴾ [ سبأ: ٣٤

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [ الزخرف: ٢٣

في هذه الآيات الكرييات نجد أن الله تعالى بين أسباب ما في المترفين من عذاب ماحق جعل اعلاها أسفلها، أنهم كانوا منعمين مترفين، فلم يحمدا المنعم عليه، ولم يعبدوه بل جحدوا وحدانيته وأنكروا قدرته على البعث، فكانوا يعتقدون أن الترف مقيم لهم ولا يشعرون بأحد ترفهم بشهواتهم ولذا اذهم، فكانت العاقبة استحقاقهم صنوف العذاب بالإضافة الى المهانة التي سلبت كل كرامتهم.

إن أصحاب الشمال ما أنزلهم الله هذا المنزل المشؤم وألقى بهم في هذا الباء العظيم إلا ضلالهم عن الحق وبعدهم عن الله وكفرهم بلقائه

## الخاتمة

١. أن شيوع الترف في قوم، يعني شيوع الفقر في قوم آخرين، ومقتض ذلك هو غلبة القلة المثيرة المترفة على الكثرة المدقعة أهل الترف أكثر الناس حفاظا على الواقع الفاسد، والشهوات تستدعي الاستسلام للمغريات والتضحية بالقيم الانسانية وذلك يسبب إنشاء تابعين مستكينين والتابع المدقع والمتبوع المترف تجده أكثر الناس انزلاقا في هاوية الفواحش.

٢. أن القرآن الكريم حفل بالحديث عن أسباب بقاء الأمم وهلاكها بما لا يدع مجالا للاعتذار عن التقصير في تفهم هذه السنة الماضية والقانون المطرد، وأن أسباب البقاء والفناء للأمم واضحة بينة في ثنايا القرآن الكريم وطواياه، إننا مطالبون أفرادا وجماعات بتفهمها والوقوف عليها والعمل بمتطلباتها.

٣. أن الأمة لم تتنبه لهذه السنة

وترفهم في الدنيا وتكذيبهم رسله أي منعمين في دنياهم مما أفاض الله عليهم من نعم، وكان من حق هذه النعم أن تمهد لهم طريقا الى الله تعالى فيحمدوه ويشكروه، لكنهم بطروا بها واستكبروا في الأرض وعتوا عن أمر ربهم وصدوا عن رسله<sup>(٥١)</sup>

فتراهم يساق اليهم العذاب الوانا وطعوما، أنهم كانوا في سموم أي أن المترفين في هبوب ملتهب تفوح به النار وتلفح وجوههم وأبدانهم، ويسيل الصديد من عرقهم وهو الحميم فيجري من تحتهم، كما تجد الترفين في ظل من يحموم، فهو لا بارد ولا كريم، أي أنهم يدخلون تحت ظل سحائب هذا السموم الذي ينعقد فوق رؤوسهم، أن هذا الظل إنما هو لهيب يشوي الوجوه ويهراً الاجسام هذا عذاب المترفين لعتوهم واستكبارهم<sup>(٥٢)</sup>.

الماضية ولم تولها حقها، وهذا سبب من أسباب التردّي الذي منينا به في الأعصار المؤخرة، فغيرنا ممن لا يربطه بالسماء وحي صحيح ولا كتاب صريح يرصد ما يحل بالأمم ويفيد منه ويتقي لورود في موارد الهلاك، كأنه مطالب بما طولبنا به بل أمرنا به، فقد وقفوا على عبر التاريخ بصورة مجمعية مؤسسية ولم تعد الدراسات الفردية فقط هي المعول لديهم خاصة في مثل

هذه القضايا المصرية الكبرى، فأين المسلمون من هذه الابحاث والافادة. ٤. أن الغرب أفاد من السنن عمليا وعاش تطبيقها على الرغم من كتابا سماويا لم يهدها وإنما الحاجة التي عاشها وعایشها دفعته للإفادة منها، والوقوف عليها ومن أحيأ أرضا مواتا فهي له، لقد وعى الغرب السنن وسخرها عمليا في الوقت الذي غاب فيه المسلمون.

### قائمة المصادر

- القرآن الکریم
١. الكاشاني، تفسير الصافي، تصحيح وتعليق: حسين الاعلمي، مكتبة الصدر، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.
  ٢. الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير، تفسير (الطبري) جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ.
  ٣. المظهری: محمد ثناء الله، التفسير المظهری، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشيدية، باكستان، ١٤١٢هـ.
  ٤. النجار: عبد الوهاب، قصص الأنبياء، مطبعة النصر، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٥٥هـ.
  ٥. العياشي: ابي النضر، محمد بن مسعود،
  - تفسير العياشي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
  ٦. الطباطبائي: محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
  ٧. الزحلي، هبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق الطبعة الاولى، ١٩٩١م.
  ٨. السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة

- الأولى، ١٤٢٠هـ.
٩. الجزائري: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، ايسر التفاسير لكلام علي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ.
١٠. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة بيروت، ١٢٥٠. هـ.
١١. ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٢. ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
١٣. الزمخشري، أبي القاسم محمود بن عمر، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقوال عن وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت.
١٤. الرازي: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تفسير الرازي (التفسير الكبير أو معالم الغيب) دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٠هـ.
١٥. الكافي،
١٦. سيد قطب، ضلال القرآن، دار المعرفة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٣٩١هـ.
١٧. الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٨. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع.
١٩. ابن كثير: أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير ابن كثير، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٢٠. البيضاوي: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي، تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
٢١. ابن عطية، أبي محمد عبد الحق بن غالب الاندلسي، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق المجلسي العلمي بفاس، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب ١٣٩٥ هـ.
٢٢. الطوسي: أبي جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، احمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
٢٣. الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي تفسير الرازي، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٢٤. الشيرازي: ناصر مكارم الامثل في كتاب الله المنزل، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ.



السمرقندي) دار الكتب العلمية، الطبعة

الأولى، ١٩٩٣م.

٢٧. الخطيب، عبد الكريم يونس الخطيب

التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي،

القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م

٢٥. الماوردي: ابي الحسن علي بن محمد بن

حبيب، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن

عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦. السمرقندي: ابو الليث، نصر بن محمد بن

احمد بن ابراهيم، بحر العلوم، (تفسير

## الهوامش:

[١] الكاشاني، الصافي، ٤٤٦/٢

[٢] ينظر: الطبري، تفسير الطبري ٦٧/١٢.

[٣] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ٣١٠/٤.

[٤] ينظر: محمد ثناء، تفسير المظهر، ٩/

١٣٨.

[٥] ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ٩٧/١٢.

[٦] النجار، قصص الأنبياء ١٤٨.

[٧] كما جاء في سرد الآيات القرآنية.

[٨] ينظر: العياشي، تفسير العياشي ١٦١/٢.

[٩] ينظر: الطباطبائي، الميزان، ١٦٤/١٦.

[١٠] ينظر: الزحلي، التفسير المنير في العقيدة

والشريعة والمنهج، ١٠٢/٢٤.

[١١] ينظر: السعدي، تفسير الكريم الرحمن في

تفسير الكلام المنان، ٦١٦.

[١٢] ينظر: الجزائري، ايسر التفاسير لكلام

العلي الكبير، ٧٤.

[١٣] ينظر: الطبري، جامع البيان، ٣٦.

[١٤] ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ٩٠-٨٥/٦.

[١٥] ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ١٩٩/٣.

[١٦] ابن الجوزي، زاد المسير، ٣١١/٨.

[١٧] ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،

١٨٨/٥.

[١٨] ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،

٧٤/٥.

[١٩] ينظر: الطبري، تفسير الطبري ٢١/١١.

[٢٠] تفسير الطبري، ١١/٢١.

[٢١] الزمخشري، الكشاف، ٢٠٦/٣.

[٢٢] ينظر: الرازي، تفسير الرازي، ١٢٦/١٣.

[٢٣] ينظر: الرازي، تفسير الرازي، ٦٥/٢٥.

[٢٤] ينظر: الطباطبائي، الميزان، ٣٧٩/١٨.

[٢٥] الكليني، الكافي، ٤١٥/٢.

[٢٦] الطبري، تفسير الطبري، ٩٣/١١.

[٢٧] سيد قطب، ضلال القران، ٥٩٦/٣.

[٢٨] التحرير والتنوير، ١٢٤/٢٠.

[٢٩] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣٦٨/٣.

[٣٠] ينظر: فتح القدير، ٥٢٠/٢.

[٣١] الألوسي، روح المعاني، ١٢٤/١٢.

[٣٢] ينظر: الطبري، ١٧٩/١٠.

[٣٣] ابن كثير، تفسير ابن كثير، ٣٢/٤.

[٣٤] ينظر: سيد قطب، ضلال القران، ٥٨٤/٤.

- [٣٥] ينظر: البيضاوي، تفسير البيضاوي، ٥١٤/١.
- [٣٦] المحرر الوجيز، ٣/٣٢٧.
- [٣٧] الطوسي، التبيان، ٦/٣٧٨.
- [٣٨] الرازي، تفسير الرازي، ١٥/١٤١.
- [٣٩] ينظر: الشيرازي، الامثل، ٤/٥٠٦.
- [٤٠] ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤/٤٨٦.
- [٤١] الماوردي، النكت والعيون، ٣/٢٧٤.
- [٤٢] سيد قطب، ظلال القرآن، ٧/١٤.
- [٤٣] ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، ٣/١٧٥.
- [٤٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: ١٥ / ٥٢٩.
- [٤٥] الخازن، تفسير الخازن، ٣/١١٢.
- [٤٦] بنظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكانبي. ٢/٥٣٤.
- [٤٧] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ٨/١٩٩.
- [٤٨] سيد قطب، ظلال القرآن، ٤/٢٢١٨.
- [٤٩] سيد قطب، ظلال القرآن، ٤/٢٢١٩.
- [٥٠] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/٢٩٢.
- [٥١] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٢٧/ ٦١٨.
- [٥٢] ينظر: الطبري، جامع البيان، ٢٣/١١٦.

د. طه عبد الرحمن  
فيلسوف مغربي

## مكارم الأخلاق وحقيقة صلاتها بالدين

وعلى الخصوص الاتجاهات الحديثة منها؛ وإذا نحن استعملنا التعبير المركب: «مكارم الأخلاق» ولم نكتف باستعمال اللفظ المفرد: «الأخلاق»، فذلك للاعتبارات الثلاثة الآتية:

أولها، أن من نظروا في الصلة بين الأخلاق والدين من فلاسفة الغرب، كانت تشغلهم أساسا العلاقة بين الأخلاق الكريمة - أو قل الفضائل - والدين، وليس العلاقة بين عموم الأخلاق - بما فيها الرذائل - والدين، وفي هذا إشارة إلى أنهم كانوا يبنون أحكامهم فيها على أصل مضمّر في

ليس غرضنا من هذا السؤال الأخلاقي الأول والأهم، كما قد يسبق إلى بعض الأذهان، الاشتغال بعرض وتحليل آراء المتقدمين من علماء الإسلام في الصلة بين الدين والأخلاق، ولا سيما أن مفهوم «مكارم الأخلاق» قد ترسّخ في الممارسة الإسلامية بما لا مزيد عليه<sup>(١)</sup>، وإنما غرضنا من هذا السؤال ينحصر في الاشتغال بالإجابة عليه على طريقة الفلاسفة، وذلك من خلال استشكلنا للدعوى الأساسية التي تعلقت به في نطاق الفلسفة الغربية،

نفوسهم، وهو أن الدين لا يمكن أن يكون إلا مصدر الأخلاق الحسنة، وإلا فلا أقل من أنه لا يستحق أن يقارن إلا بهذه الأخلاق وحدها، حتى بين أولئك الذين يحشرون أنفسهم ضمن العلمانيين الذين يخاصمون الحقيقة الدينية.

والاعتبار الثاني أننا من جانبنا نأخذ في باقي كتابنا بهذا التقليد العفوي، فنستعمل لفظ «الأخلاق» مجرداً للدلالة على مكارم الأخلاق وحدها، ومتى أردنا العبارة عن أضدادها خصصنا هذا اللفظ بواحد من الأوصاف المناسبة، لذلك ارتأينا أنه من الأنسب أن نورد مفهوم «الأخلاق» في السؤال الأول من أسئلة هذا الكتاب

بالصيغة الكاملة لمقصودنا منه، أي «مكارم الأخلاق»، حتى يبقى القارئ على بينة من هذا المقصود ويستحضره أثناء قراءته لبقية فصول هذا المؤلف.

والاعتبار الثالث أننا جرينا على عادتنا في استخدام المفاهيم المتداولة في الممارسة الإسلامية العربية حيث يستخدم غيرنا مفاهيم تحذو حذو المنقول الفلسفي الغربي حذو النعل بالنعل، حتى كأنه لا مشابهة ولا مقايضة، إطلاقاً، بين مضامين هذا المنقول وبين ما جاءت به الممارسة الإسلامية من عندها، الأمر الذي أدى إلى قيام ازدواجية في الفكر الإسلامي العربي لم تورث أهلها إلى<sup>(٢)</sup> حد الآن إلا الجمود على ما نقلوه، فحرموا أيما حرمان من ممارستهم حقهم في الإبداع الفلسفي المختلف، في حين لو أنهم كانوا يردّون ما ينقلونه إلى ما عندهم أو على الأقل يقربون بينه وبين ما بأيديهم، لكان لهذا الفكر شأن آخر وأتى بما لم تأت به الأوائل.

وبعد بيان الاعتبارات الثلاثة التي حملتنا على إيراد سؤال الصلة بين الأخلاق والدين في الصيغة التي أوردناه بها، نقول بأن من يتأمل في



هذه الصلة يجد أنه لا يمكن حصرها في وجه واحد، بل ينبغي اعتبار وجوه عدة فيها؛ ذلك أنها قد تكون علاقة تاريخية، بمعنى أن الأخلاق والدين شهدا أحداثا معينة ومراباًطوار محددة؛ وقد تكون علاقة نفسية، بمعنى أنها يمدان الإنسان ببواعث ومقاصد مخصوصة ويولّدان عنده مشاعر ومسالك معلومة؛ وقد تكون علاقة اجتماعية، بمعنى أنهما ينشئان بين الناس علاقات منتظمة ومصالح مشتركة تحتضنها جملة من المؤسسات وتحميها أنواع من الجزاءات؛ وقد تكون علاقة منطقية، بمعنى أن لهما خصائص صورية تورّثهما قدرة استدلالية معينة؛ وقد تكون علاقة معرفية، بمعنى أنهما ينطويان على مبادئ ومعايير أولى تنزل منزلة الأصول التي يتفرع أو يتأسس عليها سواهما، وقد تكون علاقة كيانية (أي «أنطولوجية»)، بمعنى أن العلة في وجودهما مشرّع إلهي أو مشرّع إنساني

يضمن نفعهما للأفراد والجماعات، وما شابه ذلك من الوجوه. إلا أن الملاحظ هو أن فلاسفة الغرب لم يتناولوا هذه العلاقة بين الأخلاق والدين من تلك الوجوه المختلفة كلها، بل اقتصروا على بعضها، وقد لا يتعدّون أحيانا الوجه الواحد، فضلا عن أنهم قد لا ينبهون دائما على طبيعة الوجه الذي أخذوا به أو لا يتكلفون تفصيل الوجوه القليلة المأخوذ بها؛ ولم يكن يعينهم أساسا في تناولهم لهذا الوجه أو ذاك إلا الاتجاه الذي قد تتخذه هذه العلاقة ذات الطرفين: هل الدين هو الموجّه لهذه العلاقة أو الأخلاق هي الموجّهة للدين أو أنه لا واحد منهما يوجه الآخر؟ أو قل، على وجه التفصيل، هل الدين هو الذي يعد الأصل في هذه العلاقة، بحيث تكون الأخلاق فرعا مبنا على الدين أو، على العكس من ذلك، هل الأخلاق هي التي تعد الأصل فيها، بحيث يكون الدين فرعا

كغيرهم - في هذا القول إلى أصليين اثنتين: أحدهما «الإيمان بالآله»، والثاني «إرادة الآله».

### الإيمان بالآله

لما كانت الفلسفة الأخلاقية الموروثة عن اليونان قد ازدوجت في الغرب بتعاليم الدين المسيحي، اندرج فيها مبدأ «الإيمان بالآله» وتقرر التسليم بأنه لا أخلاق بغير إيمان، علما بأن الإيمان هو عبارة عن التصديق اليقيني بالوجود الغيبي للآله عن طريق القلب؛ فما دام الغرض من الأخلاق هو رسم طريق الحياة الطيبة للإنسان، فلا شيء يبلغ مبلغ الدين في الحرص على تحقيق هذا الغرض في عاجل الإنسان وآجله معا، وما ذاك إلا لكون الدين ينبنى على الإيمان بالآله قادر على كل شيء يعين المؤمن على الوصول إلى هذه الحياة الطيبة، متفضلا عليه بجوده ورحمته وشفقته. ثم إن الإيمان بالآله لا يزال يكبر في

مبنيها على الأخلاق أو، على خلاف هذا وذاك، هل كل واحد منهما أصل في<sup>(٣)</sup> ذاته، بحيث لا واحد منهما يكون فرعاً مبنيها على الآخر؟

وبهذا، يكون الفلاسفة قد بحثوا ثلاثة أشكال ممكنة للعلاقة بين الأخلاق والدين نسميها على التوالي: «تبعية الأخلاق للدين»، و«تبعية الدين للأخلاق»، و«استقلال الأخلاق عن الدين»؛ ويتعين علينا الآن الوقوف على الخصائص البارزة لكل واحد من هذه الأشكال الثلاثة وعلى النتائج التي تترتب عليه، مع الاكتفاء من وجوهه المختلفة بما دل على هذه الخصائص والنتائج<sup>(٤)</sup>.

### ١. تبعية الأخلاق للدين

نجد من بين أوائل الأخلاقيين القائلين بتبعية الأخلاق للدين في الفلسفة الغربية الفيلسوفين الكبيرين: القديس «أوغسطين» والقديس «توماس الأكويني»، ويستندان -



الجليلة التي قد نسميها «فضائل الإحسان» إنما هو الكائن الذي ليس فوق كماله كمال، وواضح أنه لا حد ولا إفراط مع الكمال.

لهذا، استحقت هذه الفضائل أن تكون هي الأصل الذي ينبغي أن تتفرع عليه الفضائل الطبيعية كلها، بما فيها «الفضائل العقلية»، وهي التي أخذ بها فلاسفة اليونان في تنظيم مدينتهم الفاضلة وظلت إلى هذا الزمان تهيمن على الفكر الأخلاقي بأكمله، وقد نطلق عليها، في مقابل «فضائل الإحسان»، اسم «فضائل العدل»، وتشتمل على «العفة» و«الشجاعة» و«الرؤية»<sup>(٦)</sup> و«العدل»؛ وكما ينبغي أن تكون فضائل العدل الأربع تابعة لفضائل الإحسان الثلاث، فكذلك ينبغي أن تكون خادمة لها كما تكون الوسيلة خادمة للمقصد؛ وحيثئذ، يكون لها من شرف الرتبة على قدر هذه الخدمة، ويبلغ هذا الشرف غايته متى تلبّست كل فضيلة

قلب المؤمن ويرتقي درجة من فوق درجة، حتى يتحول فيه إلى محبة، ولا شيء فوق محبة الإله؛ ومحبة المؤمن لأخيه إنما هي من محبته للإله، والإيمان والمحبة لا يفتأ يصطحبهما الرجاء، لأنه الجناح الذي يطير به المؤمن والمحبة إلى مقام «الخلاص»، ويفوزان بهذا المقام، لا بموجب استحقاقهما، وإنما بموجب الفضل الإلهي.<sup>(٥)</sup>

فها هنا ثلاث خصال: «الإيمان» و«الرجاء» و«المحبة» يجعل منها الأخلاقيون المسيحيون رأس الفضائل الدينية كلها، إذ يرفعونها على غيرها درجات، بل يجعلونها ترقى إلى أعلى الرتب الخلقية، لأنه لا حد لممارستها ولا إفراط فيها؛ فالإيمان، مهما تغلغل في النفس، لا ينقلب أبداً إلى رذيلة؛ والرجاء، مهما تقوّى في القلب، لا يصير أبداً مضرة؛ والمحبة، مهما زادت واشتدت، لا تنعكس أبداً بالسوء؛ وذلك لأن المقصود بهذه الفضائل

يصرّوا على البقاء على تقليدهم  
الفلسفي القديم، منكرين للحقيقة  
الإيمانية؛ انظر كيف أن العقل  
الفلسفي اليوناني<sup>(٧)</sup>

وإن كان ينكر أن تحكى عن الآلهة  
أحداث وأخبار شبيهة بأحداث  
وأخبار البشر، فإنه لم يكن ينكر قط أن  
تكون هنالك آلهة كثيرة، لا إله واحد!  
وهل يستوي العقل الذي يوحد الإله  
والعقل الذي يشرك به غيره، إلها آخر  
أو إنسانا! فالأول عقل مستقر على  
رب واحد يستمد منه على الدوام،  
لحصول اليقين بوجوده؛ والثاني عقل  
متذبذب بين أبواب عدة لا يعرف  
كيف يستمد من أي منها، لحصول  
اليقين بتنازعها؛ وهكذا، فلو كانت  
العقلانية هي، حقا، مقصد هؤلاء  
المتفلسفة ومنهجهم، لوجدوا الحاجة  
إلى تجديد شكلها الذي ورثوه عن  
اليونان والذي ما زال يحمل بقايا  
الأسطورة القديمة، ولا جتهدوا في أن  
يستبدلوا مكانه شكلا يتخلّص كليا

منها بلباس المحبة، فصارت العفة هي  
المحبة التي تفنى في المحبوب،  
والشجاعة هي المحبة التي تقبل كل  
شيء من المحبوب، والروية هي  
المحبة التي تقبل على خدمة المحبوب  
لذاته

والعدل هي المحبة التي تفنى في  
خدمة المحبوب وخدمة كلّ ما يحبه  
هذا المحبوب.

والفلسفة الأخلاقية التي تكون  
هذه أوصافها لا يمكن أن تعجب كل  
من بقي على التقليد الفلسفي اليوناني؛  
فلا يتسع صدرهم ولا عقلهم لمفهوم  
«الإيمان»، لأنه عندهم بمثابة تقهقر  
إلى الأسطورة التي تأسس هذا التقليد  
بالذات من أجل الخروج منها كليّة؛  
وليس هذا موضع الرد على انتقاداتهم  
لمبدأ الإيمان ولا على اتهاماتهم لأهله،  
لكنهم لو كانوا منصفين في أحكامهم،  
لأقروا بأن الدين السماوي ليس أبدا  
من جنس الأسطورة اليونانية، ولم

هو جملة الأوامر والنواهي التي كتبها الإله في الألواح لسيدنا موسى عليه السلام والتي تعرف عند أهلها باسم «الوصايا العشر»؛ وقد اشتهر النظر في الإرادة الإلهية على هذا النحو الذي يجعل الأخلاق تابعة للدين باسم «نظرية الأمر الإلهي» للأخلاق.

ومن كان من أهل التقليد الفلسفي اليوناني لا يطبق عقله الإقرار بوجود إله واحد لا شريك له، فأحرى به ألا يطبق وجود إرادة إلهية واحدة، ناهيك بها أمره ونهاية بإطلاق من أطاعها نال الثواب ومن عصاها نال العقاب؛ فلتن جاز أن تكون الوحدانية فوق أن تدرك بهذا العقل القديم، فلأن يجوز أن تكون الإرادة فوق هذا الإدراك أولى، لأن إدراك الوحدانية شرط في إدراك الإرادة، ومتى فقد الشرط فقد المشروط، فضلا عن أن الآلهة التي خاض هذا العقل طويلا في أخبارها لم تشغله فيها صفة الإرادة المطلقة في تجلياتها بالأمر والنهي بقدر ما شغلته

من هذه البقايا؛ وليس هذا الشكل البديل إلا العقلانية التوحيدية التي لا تسقط معها كثرة الآلهة فحسب، بل أيضا تسقط كثرة الأباطيل والشكوك والشبه؛ وعندئذ، يدخل الإيمان قلوبهم وتتسع به عقولهم، فتدرك ما لم تكن تدرك وتصيب حيث لم تكن تصيب.<sup>(٨)</sup>

### إرادة الإله

لا شك أن الفلسفة الأخلاقية التي تعتبر الإيمان بالإله أصلا من أصولها وتبني عليه جملة من الفضائل الإنسانية، لا بد أن تعتبر كذلك صفات هذا الإله الواجبة في حقه، ولا سيما تلك التي تكون باعثة على الأفعال الخلقية؛ وأولى هذه الصفات الإلهية هي كونه مريدا بإرادة كاملة؛ وإرادته في أفعال مخلوقاته من البشر إنما هي الأمر بخيرها، فيلزم إتيانه وكذا النهي عن شرها، فيلزم اجتنابه؛ ومعلوم أن أحد تجليات هذه الإرادة

صفتا «العقل» و«الحب»؛ فالهة اليونان عاقلة بعقل كعقل الإنسان ومحبة بحب كحب الإنسان، ومعلوم أن العقل لا إرادة فيه، وأن الحب إرادة لا أمر فيها ولا نهى.

لهذا، لا غرو أن يقوم أهل التقليد الفلسفي اليوناني من المعاصرين للاعتراض على القول بهذه الإرادة الآمرة الناهية؛ وليس هذا مقام تفصيل الكلام في مختلف الشبه التي أوردوها على هذا القول والتي يقدر أغلبها في قدرة الإله أو حكمته، ولا في مختلف الردود التي جاءت عليها والتي يستند أغلبها إلى إثبات ربوبية الإله ومحبة للبشر؛ وحسبنا أن نذكر منها هنا شبهة مشهورة جاءت في صورة السؤال المزدوج التالي: هل الخير<sup>(٩)</sup> خير، لأن الإله أمر به والشر شر، لأن الإله نهى عنه أو، على العكس من ذلك، هل الإله أمر بالخير، لأنه خير ونهى عن الشر، لأنه شر؟ فلو أجاب الأخلاقي المتدين بأن

الخير خير، لأن الإله أمر به، وأن الشر شر، لأن الإله نهى عنه، لوجب أن يكون كل مأمور به خيرا، حتى ولو كان عند العقل شرا، وأن يكون كل منهي عنه شرا، حتى ولو كان عند العقل خيرا؛ ثم لو أجاب الأخلاقي المتدين بأن الإله أمر بالخير لأنه خير، ونهى عن الشر لأنه شر، لوجب أن يكون الخير والشر مستقلين عن إرادته، بل تكون هذه الإرادة تابعة لهما؛ فحينئذ، لا معنى للتعلق بما أمر به ولا ما نهى عنه<sup>(١٠)</sup>؛ وهكذا، فأى واحد من الجوابين اختار الأخلاقي المتدين، فإنه لا مناص له من أن يقع في ورطة مثله في ذلك مثل «أوطيفرون» عند ما سأله «سقراط» في المحاوراة المشهورة التي تحمل

اسمه: هل الآلهة تحب الشيء المقدس، لأنه مقدس أو أن الشيء مقدس، لأن الآلهة تحبه؟<sup>(١١)</sup>.

ولكن الغريب في هذا الأمر هو أن

الاستتباع الذي هو الشكل الأول من الأشكال الثلاثة التي اتخذتها الصلة بين الدين والأخلاق؛ ونحن ماضون إلى بيان الشكل الثاني منها والذي هو عبارة عن استتباع معاكس يكون فيه الدين هو التابع للأخلاق.

## ٢- تبعية الدين للأخلاق

تفرعت دعوى تبعية الدين للأخلاق في الفلسفة الحديثة على القول بـ «مبدأ الإرادة الخيرة للإنسان» (أو قل «الإرادة الحسنة» أو «الإرادة الطيبة») الذي أقام عليه الفيلسوف الألماني «إيمانويل كانط» نظريته الأخلاقية<sup>(١٣)</sup> المتميزة.

### مقتضى مبدأ الإرادة الخيرة

لقد ذهب «كانط» إلى أنه لا بد في تأسيس الأخلاق من الصدور عن شيء هو خير بإطلاق، بحيث يكون شرطاً وسبباً في كل قيمة أخلاقية، وليس هذا الشيء إلا ما سماه بـ

نجد في الفلاسفة المحدثين من يخوض في مسألة ميتافيزيقية عويصة لا قبل للعقل المجرد بها على النحو الذي خاض فيها علماء الكلام المسلمون منذ قرون عديدة وافترقوا بصدها فرقا ثلاثاً كبيرة؛ فالأشاعرة يقولون بأن ما أمر به الشرع فحسن، وما نهى عنه فقيح، بمعنى أن العقل لا يدرك الحسن والقبح إلا بعد ورود الشرع بهما، والمعتزلة يقولون بأن الشيء حسن فأمر به الشرع، وقبيح فنهى عنه، بمعنى أن الحسن والقبح صفتان ذاتيتان في الأشياء يستقل العقل بإدراكهما، وفرقة ثالثة تقول بأن بعض المأمورات حسنة بأمر الشرع وأخرى حسنة في نفسها، كما أن بعض المنهيات قبيحة بنهي الشرع وأخرى قبيحة في نفسها.<sup>(١٢)</sup>

ولنكتف بهذا القدر في بيان الوجهين اللذين يستتبع الدين بهما الأخلاق - أي «الإيمان بالإله» و«إرادة الإله» -، هذا الضرب من

الأسنى»، لأن الطريق الذي تختاره الطبيعة للوصول إلى مثل هذه الحظوظ والأغراض ليس، حسب رأي «كانط»، هو العقل الذي يتعثر في الوصول إلى هذه المصالح، وإنما هو الغريزة التي لا تتعثر في ذلك كما تفعل هذه الطبيعة بشأن حاجات الحياة العضوية للإنسان؛ فإذن انضباط الإرادة بالعقل هو الذي يجعل منها بالذات إرادة خيرة ابتداء، لا بواسطة، وخيرة بنفسها، لا بغيرها.<sup>(١٤)</sup>

ولما كانت الإرادة الخيرة إرادة عاقلة بعقل خالص، صارت لا تتعلق إلا بالأفعال التي تأتي على وفق الواجب كما يمليه عليها هذا العقل، ولا بد أن يكون واجبا لا اعتبار فيه لمادة عارضة ولا توجه فيه لغرض محدود ولا مجال فيه للتبعية لغيره، إن طمعا في الثواب أو خوفا من العقاب، بمعنى أن الإرادة الخيرة هي الإرادة التي تفعل على مقتضى الواجب لذات الواجب، أي لا يحركها في هذا الفعل

«الإرادة الخيرة»؛ وتأتي خيريتها، لا من آثارها وفوائدها، ولا بالأولى من مراداتها ومتعلقاتها - أي من أشياء خارجية عنها، سواء أكانت من صنعها أم لم تكن من صنعها.. وإنما تأتي من فعلها من حيث هي إرادة - أي من شيء داخلي هو عينها، سواء أتحقق المراد أم لم يتحقق -، بحيث يعتبر هذا الفعل غاية في نفسه لا وسيلة إلى غيره.

ولا تكون الإرادة خيرة حتى تهتدي في جميع أفعالها بمقتضيات العقل الخالص وحده، ولا أدل على وجود هذا العقل في أفعالها من كونها لا تفتأ تدفع عن نفسها كل أشكال الهوى - شهوات أو عواطف أو ميول - علما بأن العقل والهوى ضدان لا يجتمعان؛ كما أنها لا تفتأ تتجرد من كل أشكال الحظ والغرض، فلا تتعلق بأي شيء، كائنا ما كان، حتى ولو كان «السعادة القصوى» أو «الكمال الأعلى» أو «الخير الأسمى» أو «الحب



إلا احترام الواجب وحده؛ لذلك، كانت تصدر في أفعالها الخلقية عن قواعد أو مبادئ مصوغة في صورة أوامر جازمة ومطلقة.

وإذا كانت الإرادة الخيرة تتحقق بواسطة الأوامر، فإن كل أمر تصدر عنه لا تتلقاه مطلقاً من غيرها أو من خارجها، وإنما هي التي تلقي به إلى ذاتها من داخلها، فهي صاحبة التشريع لنفسها، ولا يشاركها في ذلك سواها؛ ولا قدرة لها على هذا التشريع الذاتي ما لم تكن تتمتع بتمام الحرية، على أن ذلك لا يعني أبداً أن هذا الأمر التشريعي لا يتعلق إلا بصاحب هذه الإرادة وحده ولا يثمر أخلاقاً إلا عنده، وإنما شرطه الذي يصح به هو أن يتوخى فيه ذو الإرادة أن يكون قانوناً كلياً يجري على مجموع البشرية، على أساس أنها غاية في ذاتها، لا مجرد وسيلة إلى غيرها.

ومتى كانت كل إرادة خيرة تشريع

لغيرها حالماً تشريع لنفسها على مقتضى موجبات العقل الخالص وحده، فلا بد أن تتجنب أسباب التنازع والتعارض بينها وبين غيرها من الإرادات وتتجه تدريجياً إلى التوافق معها، ثم إلى الاتحاد فيما بينها جميعاً، مكونة بذلك مملكة لعقلاء هم غايات في ذاتهم، تحكمهم قوانين مشتركة هي، الأخرى، غايات لإراداتهم المختلفة، أو قل، بإيجاز، «مملكة غايات».

وهكذا، فبفضل مبدأ الإرادة الخيرة، يبدو أن بناء صرح الأخلاق في غنى عن الإقامة على قاعدة الإيمان بالآله أو قاعدة إرادته المطلقة أو، على حد قول «كانط»، تبدو الأخلاق «غير محتاجة إلى فكرة كائن مختلف وأعلى من الإنسان لكي يعرف هذا الإنسان واجبه، ولا إلى سبب غير القانون نفسه لكي يتبعه. [...] فإذا بالنسبة للأخلاق، فليست تحتاج مطلقاً إلى الدين؛ بل تكفي بذاتها بفضل العقل

الخالص العملي»<sup>(١٥)</sup>.

وهي الروح!

لكن يجوز، بموجب مبدأ الإرادة الخيرة، أن تستتبع الأخلاق الدين كما يستتبع الأصل الفرع، ذلك أن العقل الذي<sup>(١٦)</sup> تنضبط به هذه الإرادة والذي يأمر بطاعة الواجب، يتطلع إلى تحقيق الجمع بين الفضيلة التي تصحب أداء الواجب وبين السعادة التي لا تصحب بالضرورة الفضيلة، وهذا الجمع هو الذي يدعى بـ «الخير الأسمى»؛ إلا أن العمل على تحقيق هذا الخير الجامع يوجب علينا أن نسلّم بحقيقتين إيمائيتين اثنتين:

إحدهما، خلود الروح، ذلك أن كمال التوافق بين الإرادة والقانون الأخلاقي شرط في حصول هذا الخير، لكن هذا التوافق الكامل لا يمكن أن يحصل إلا بارتقاء غير متناه في مدارج الكمال الخلقي، ومثل هذا الارتقاء لا يمكن أن يتحقق إلا إذا افترضنا أن للعقل ذاتا باقية بقاء غير محدود، ألا

والحقيقة الثانية، وجود الإله، ذلك أن السعادة هي حالة للعقل في العالم تتوقف على اتفاق الطبيعة مع إرادة هذا العقل ومع أمله في تحقق الخير الأسمى، لكن هذا الاتفاق لا يمكن أن يتوصل إليه هو بنفسه، لأن القانون الأخلاقي الذي تصدره إرادته مستقل عن الطبيعة التي تحيط به كما هو مستقل عن اتفاق هذه الطبيعة مع أمله، وأيضا لأنه إذا كان هذا العقل، بموجب حريته، علة لهذا القانون، فإنه ليس هو أبدا علة لهذه الطبيعة التي ترتبط بها سعادتته؛ يلزم من هذا أنه لا بد من أن<sup>(١٧)</sup> نفترض وجود علة لكل الطبيعة، تسمو عليها وتملك مبدأ هذا الاتفاق، أي يكون بيدها سر الوصل بين الفضيلة والسعادة، ألا وهي الإله<sup>(١٨)</sup>!

وهكذا، يتضح أن هذين المعتقدين الدينيين: «خلود الروح» و«وجود

تنتمي إلى العالم الظاهر والحسي الذي يمارس فيه العقل النظري هذه المعرفة، وإنما تنتمي إلى العالم الباطن والغيبى الذي يمارس فيه العقل العملي شريعته، فإذن لا يسع العقل النظري إلا اعتقادها كما يعتقد ما لا يعرف؛ وبإيجاز، فإن «خلود الروح» و«وجود الإله» مسلمتان على قانون العقل الخالص النظري، لا على قانون العقل الخالص العملي.

### الاعتراضات على دعوى تبعية الدين للأخلاق<sup>(٢٠)</sup>

بعد هذا الذي قيل في تبعية الدين للأخلاق، يبقى أن نزداد تأملاً في طبيعتها، فنتساءل: هل هي تبعية حقيقة تجعل الدين لا يترشح أبداً عن رتبة الفرع أم هي تبعية ظاهرة قد ينقلب فيها الفرع أصلاً؟

يمكن القول بأن «كانط» سلك في بناء نظريته الأخلاقية طريقتين اثنتين يوضحان كيف أن تأثير الدين في

الإله» اللذين هاهنا أنزلاً منزلة مسلمتين<sup>(١٩)</sup>، جاءا تابعين للأخلاق، مترتبين على شعور العاقل، أثناء ممارسته لإرادته الحرة، بالحاجة إلى الخير الأسمى وضرورة العمل على الوصول إليه، وذلك تتويجاً لعمله الأخلاقي الصبور والدؤوب.

ولا ينبغي أن نتوهم أن اسم «المسلمة» الذي أطلق على كل واحدة من الحقيقتين الإيمائيتين المذكورتين يدل على ما يدل عليه في الممارسة الرياضية - أي قضية أصلية غير مبرهن عليها يتفرع عليها، بطريق البرهان، باقي قضايا النظرية الأخلاقية كما نجد ذلك عند «سينوزا» - فتتصور أن هاتين الحقيقتين الدينيتين أصليتين انبنت عليهما الأخلاق المذكورة؛ ذلك أن هذه التسمية وضعت أساساً بالنظر إلى العقل الخالص النظري، حتى تكون هذه الحقيقة الدينية أو تلك موضوع اعتقاده، لا موضوع معرفته، لأنها لا

فقد أخذ «كانط» مفهوم «العقل»  
بدل مفهوم «الإيمان»، ومفهوم  
«الإرادة الإنسانية» بدل مفهوم  
«الإرادة الإلهية»، ومفهوم «الحسن  
المطلق للإرادة» بدل مفهوم «الإحسان  
المطلق للإله»، ومفهوم «الأمر  
القطعي» بدل مفهوم «الأمر الإلهي»،  
ومفهوم «التجريد» بدل مفهوم  
«التنزيه»، ومفهوم «احترام القانون»  
بدل مفهوم «محبة الإله»، ومفهوم  
«التشريع الإنساني للذات» بدل  
مفهوم «التشريع الإلهي للغير»،  
ومفهوم «الخير الأسمى» بدل مفهوم  
«النعم»، ومفهوم «مملكة الغايات»  
بدل مفهوم «الجنة».

والثاني، طريق المقايسة: المقصود  
بالمقايسة أن واضع النظرية الأخلاقية  
يقدر أحكامه الأخلاقية على مثال  
الأحكام التي تأخذ بها الأخلاق  
الدينية؛ نذكر من مظاهر المقايسة التي  
جاءت في هذه النظرية الأخلاقية ما  
يلي:

الأخلاق لا يمكن أن نحصره في  
شكل أو شكلين كـ «اقتباس بعض  
المعاني الدينية» أو «البناء على بعض  
الأصول العقدية»، بل إن له أشكالاً  
عدة منها الظاهر والقريب، ومنها  
الخفي والبعيد؛ ومن أخفاها وأبعدها  
أن يقع التوسل بالدين في قطع الصلة  
بالدين كما إذا أراد العلماني أن يصنع  
نظرية علمانية بعناصر مأخوذة من  
الدين؛ ولعل الطريقتين الآتين هما  
شكلان من أشكال هذا التأثير الديني  
الخفي في بناء نظرية أخلاقية علمانية،  
حتى قيل بأننا هنا حيال عملية «علمنة  
للدين المسيحي»<sup>(٢١)</sup>.

أحدهما، طريق المبادلة: المقصود  
بالمبادلة أن واضع النظرية الأخلاقية  
يأخذ بدل المقولات المعهودة في  
الأخلاق الدينية مقولات أخلاقية  
مقابلة لها غير معهودة بنفس  
الاستخدام النظري في هذه الأخلاق؛  
نورد منها على سبيل المثال ما يأتي:

فكما أن هناك أخلاقاً من تقرير الدين المنزل، فكذلك ينبغي أن تكون هناك أخلاق من تقرير العقل المجرد، وكما أن الإله في الأولى هو الذي يشرع القوانين، فكذلك الإنسان في الثانية هو الذي ينبغي أن يتولى<sup>(٢٢)</sup> هذه القوانين؛ وكما أن الإله في الأولى منزّه عن العلل والمصالح في وضع شريعته الإلهية، فكذلك الإنسان في الثانية ينبغي أن يتجرد عن كل البواعث والأغراض في وضع شريعته الإنسانية؛ وكما أن قوانين الخالق في الأولى موضوعة للخلق قاطبة، فكذلك ينبغي أن تكون قوانين الإنسان في الثانية شاملة للبشرية كلها؛ وكما أن أوامر الإله في الأولى طاعتها واجبة، فكذلك أوامر الإنسان في الثانية العمل بها واجب؛ وكما أن الأفعال في الأولى تكون خلقية بموجب طاعتها للأمر الإلهي، فكذلك الأفعال في الثانية تكون خلقية بموجب عملها بالأمر الإنساني.

ومن هنا، يتبين أن المشابهة بين المعاني والأحكام الدينية وبين المعاني والأحكام الأخلاقية إن لم تكن مقصودة لذاتها ومرغوباً فيها، فلا أقل من أنها جاءت في غاية الانتساق والاطراد، حتى إنه لا مجال للشك في أن «كانط» أقام نظريته الأخلاقية العلمانية على قواعد دينية مع إدخال الصنعة عليها، حيث استبدل الإنسان مكان الإله مع قياس أحكامه على أحكامه؛ فإذاً ليس لهذه النظرية من وصف العلمانية إلا الظاهر، بحيث تصير العلمانية هنا عبارة عن «ديانة» خفية مثلها مثل الديانة الجليلة في الأخلاق المنزلة، لا تفترق عنها إلا في كون المستحق للتعظيم فيها صار هو الإنسان العيني، وليس الإله الغيبي.<sup>(٢٣)</sup>

ومتى ثبت أن الأخذ من الدين فنون بعضها جلي وبعضها خفي، وثبت أيضاً أن أخلاق الإرادة الخيرة أخذت مما قد يخفى من هذه الفنون

يأت بفكرة أكثر منها تأثيراً، ثم رفعت هذه المسألة إلى مرتبة القانون مقرونة باسمه، فسمّيت بـ «قانون هيوم»؛ وقد ورد نص هذه المسألة التي ما زالت تثير جدلاً كبيراً بين جمهور الفلاسفة والمناطق<sup>(٢٤)</sup> في الفقرة التالية من كتابه: رسالة في الطبيعة البشرية، وهي:

«في كل الأنساق الأخلاقية التي صادفتها إلى حد الآن، لاحظت دائماً أن المؤلف يسلك خلال بعض الوقت الطريق المألوف في الاستدلال، مثبتاً وجود الإله أو مبدئاً ملاحظات متعلقة بالأمور الإنسانية، لكن سرعان ما أفاجأ بأني لا أعود أظفر بقضية لا تقترن بـ «يجب» و«ليس يجب» بدل الرابطين الوجوديتين المعهودتين في القضايا، أي: «يوجد» و«ليس يوجد»؛ وهذا التحول لا يكون مشعوراً به، لكنه، مع هذا، يكتسي أهمية بالغة؛ ذلك أنه لمّا كان اللفظ: «يجب» أو «ليس يجب» يعبر

وبنت عليه صرحها الأخلاقي، فقد بطل ما يدعي «كانط» من أنها تستتبع الدين، لا أنه يستتبعها؛ وعندئذ، يصح القول بأن الدين مهد الأخلاق اللادينية التي جاء بها، بحيث تكون حقيقة الأخلاقي اللاديني أنه أخلاقي ديني متنكر، ودليل تنكره إنكاره للحاجة إلى الحقيقة الدينية قولاً والإقرار بها فعلاً.

### ٣- استقلال الأخلاق عن الدين

تفرعت دعوى استقلال الأخلاق عن الدين في الفلسفة الحديثة من المسألة الفلسفية الدقيقة التي عرفت تحت عنوان أشبه بشعار مذهبي، وهو: «لا وجوب من الوجود».

### مقتضى مبدأ «لا وجوب من الوجود»

لقد اشتهر بهذه المسألة الأخلاقية العويصة الفيلسوف الإنجليزي «دافيد هيوم»، حتى قيل بأنه ربما لم



هـ. أن العمل بهذا اللزوم يستوجب الإتيان بتعليل له.

و. أن حصول هذا اللزوم بغير تعليل هو أمر غير معقول البتة.

وعلى هذه العناصر انبنى التأويل المشهور لهذا النص، وهو أن «هيوم» يقول بأنه لا نتيجة أخلاقية - أي غير خبرية - يجوز أن تلزم من قضايا خبرية أو، بمعنى أعم، لا نتيجة أخلاقية يجوز أن تلزم من قضايا غير أخلاقية كما إذا قال القائل: «في العلم منفعة للإنسان، فطلب العلم واجب» (أو على طريقة المنطقيين: توجد في العلم منفعة للإنسان، فإذاً يجب طلب العلم).

ومن ثم، تقرر أن «هيوم» يعارض كل تأسيس للأخلاق على أصول خبرية أو أصول غير أخلاقية، وبالتالي أنه أول من يدعو إلى استقلال الأخلاق. (٢٨)

ونجد صدى لهذه المسألة في مسألة

عن علاقة أو حكم جديد، كان ينبغي أن تلاحظ هذه (٢٥)

العلاقة وتفسّر وفي نفس الوقت أن يبيّن سبب هذا الذي يدو غير معقول تماماً، وهو كيف يمكن أن تلزم هذه العلاقة الجديدة من أخرى تختلف عنها اختلافاً كلياً (٢٦).

قد نستخرج من هذا النص الأفكار الآتية:

أ. أن أصحاب الأنساق الأخلاقية يقومون، وهم لا يشعرون، بانتقال غريب بين أنواع مختلفة من القضايا.

ب. أن هذا الانتقال الغريب هو عبارة عن تحوّل من قضايا وجودية - أو خبرية أو وصفية - إلى قضايا وجوبية - أو كتيبة (٢٧) أو أخلاقية..

ج. أن هذا التحول من الوجود إلى الوجوب يتخذ صورة لزوم منطقي.

د. أن هذا اللزوم الخاص يخالف المقتضى المعهود في اللزوم، وهو الانتقال من الوجود إلى الوجود.

فظاهر أن «مور» هنا يتكلم عن تعريف المفهوم الأخلاقي بواسطة المفهوم الطبيعي حيث يتكلم «هيوم» عن لزوم القضية الأخلاقية من القضية الخبرية أو الوجودية، ومعلوم أن التعريف حالة خاصة من اللزوم، إذ هو عبارة عن اللزوم وعكسه، فتكون المغالطة الطبيعية إذن حالة خاصة من قانون «هيوم».

### الاعتراضات على دعوى استقلال الأخلاق عن الدين

قد نضع في الاعتبار أن «هيوم» حرص على أن يذكر لنا في فقرته السابقة نوعين اثنين من القضايا الخبرية: أحدهما «القضايا التي تخبر عن الإله»، والثاني «القضايا التي تخبر عن الإنسان»؛ وواضح أن في هذا التفصيل تنبيهها على أن النوع الأول هو الذي يتضمن القضايا الدينية، في حين أن النوع الثاني لا يتضمن مثل هذه القضايا؛ وتترتب على هذا، بموجب

أخرى لا تقل عنها انتشارا وتأثيرا عرف بها فيلسوف إنجليزي معاصر هو «جورج إيدوار مور»، وهي: «المغالطة الطبيعية»؛ ومقتضاها الإجمالي أن كل الأخلاقيين الذين تقدموه افترضوا أنه بالإمكان تحليل المفاهيم الأخلاقية وردّها إلى مفاهيم طبيعية كما إذا حللنا مفهوم «الخير» ورددناه إلى مفهوم طبيعي هو: «الممتع» (أو «المرغوب في الرغبة فيه»)، والحال أنه لو صح هذا الرد، لوجب أن يكون قولنا: «الخير هو المتع» هو عين قولنا: «الخير هو الخير» أو قولنا: «الممتع هو المتع»، بمعنى أن المفهومين مترادفان؛ وليس الأمر كذلك، إذ نجد للقول الأوّل فائدة لا نجدها في الثاني ولا في الثالث؛ فيكون الأصل في هذا الافتراض الخاطئ هو اعتقاد هؤلاء أن انطباق المفهومين: «الخير» و«الممتع» على نفس الأشياء دليل على تطابقهما في المعنى<sup>(٢٩)</sup>.

التأويل المشهور لهذه الفقرة، نتيجتان اثنتان:

أولاهما هي أن «هيوم» يخرج الأحكام الدينية من الأحكام الأخلاقية؛ ذلك أنه يحصر الحكم الديني في الإخبار عن المغيبات كما يكون الحكم الطبيعي محصورا في الإخبار عن المشاهدات والمحسّات؛ ولما كان الشيء الخلقي غير الشيء الخبري، فإذن لا يمكن أن يكون الحكم الديني حكما أخلاقيا مثله في ذلك مثل الحكم الطبيعي، لذلك صار لا يصح أن نستنتج منه قولا أخلاقيا.<sup>(٣٠)</sup>

والنتيجة الثانية هي أن «هيوم» يعتبر أن الأحكام الدينية لا تصلح لأن تؤسس الأحكام الأخلاقية؛ والشواهد على ذلك متعددة؛ منها أن «هيوم» تأثر بسلفه «رالف كادوورث»<sup>(٣١)</sup> الذي كان يستنكر قول بعضهم بأن الخير والشر متعلقان بإرادة الإله وأن طاعته خير ومعصيته

شر، قاصدا «هوبز» على الخصوص وكذلك «ديكارت» ومختلف اللاهوتيين، وكان يذهب إلى أن الخير والشر توجبهما طبائع الأشياء ذاتها، لا إرادة مريد، كائنا ما كان، إلهها أو ملكها؛ ومنها أيضا أن «هيوم» كان بصدد الرد على معاصريه من الأخلاقيين المتدينين الذين يقيمون الأخلاق على قاعدة الإرادة الإلهية، مدعيا أنها لا تتأسس إلا على الوجدان الإنساني، وليس، كما يظن، على إرادة الإله ولا على عقل الإنسان<sup>(٣٢)</sup>؛ ومنها أخيرا أنه يقول، في عقب الفقرة من كلامه التي أتينا على ذكرها، بأن الانتباه إلى الانتقال الغريب الذي أشار إليه من شأنه «أن يهدم كل أنساق الأخلاق الدارجة»؛ وقد بيّن بعضهم كيف أن «هيوم» لم يكن يقصد بوصف «الدارجة» الوارد في عبارته هذه إلا ما كان مألوفاً لأهل عصره في القرن الثامن عشر من الأنساق الأخلاقية، وهي بالذات الأخلاق الدينية<sup>(٣٣)</sup>.

الظفر بالعلة الطبيعية التي تفسرها له، إذ يلجأ إلى الإيثار بوجود إله يجعل منه العلة الأولى لأحداث الحياة وظواهر الكون من حوله، متعاطيا لعبادته<sup>(٣٤)</sup>؛ ومعلوم أن قضايا النظرية إنما هي الأخرى عبارة عن افتراضات تقبل التحقيق أو التنتيج.<sup>(٣٥)</sup>

بينما حقيقة الدين أنه أشبه بالمؤسسة منه بالنظرية، بل هو أصلا مؤسسة؛ ومقتضى المؤسسة أن تكون مجموعة أحكام ومعايير تحدد كفيات العمل من أجل تلبية حاجات معينة؛ وإذا كان الأمر كذلك، لزم أن يتضمن الدين إلى جانب الأقوال التي تخبر عن الموجودات، حسية كانت أو غيبية، أقوالا وجوبية - أو كتيبة - تحدد العلاقات بين هذه الموجودات، جلبا للمنفعة ودفعاً للمضرة؛ والأقوال الوجوبية التي تجلب النفع وتدفع الضرر لا تكون إلا أقوالا أخلاقية، فيلزم أن يكون الدين أخلاقيا بقدر ما هو إخباري.

لكن يمكننا أن نورد على هاتين التيجتين جملة من الاعتراضات نجملهما في اعتراضين جامعين، أحدهما متعلق بالنتيجة الأولى والثاني متعلق بالنتيجة الثانية؛ فلنأت الآن على بيانها.

### اعتبار الدين بمتربة نظرية في الغيبات:

واضح أن إخراج الحكم الديني من الحكم الخلفي يقوم على تصور لمفهوم «الدين» في غاية الضيق، إذ يجعله أشبه بالنظرية، وذلك من جهتين اثنتين، إحداهما، أن الدين - بحسب ما في جاء في نص «هيوم» المذكور أعلاه - هو جملة أحكام خبرية أو وجودية، ومعلوم أن النظرية ليست إلا نسقا متكاملا من القضايا الخبرية؛ والجهة الثانية أن هذه الأحكام الدينية هي عنده افتراضات وضعها الإنسان من لدنه لكي يفسر بها تجربته في العالم بعد أن فشل في

آخر، وهو أن الأوامر الإلهية تمتاز  
بخاصية لا توجد في الأوامر  
الإنسانية، وهي أنها أوامر مطاعة  
بالضرورة إن عاجلاً مع وجود

الثواب أو آجلاً مع وجود  
العقاب، بحيث يمتنع أن يكون إخبار  
المخبر بها منفكاً عن وقوعه تحت  
الامتثال لها، طوعاً أو كرهاً؛ فإذا ذاك،  
ترتقي العلاقة بين القولين السابقين  
من رتبة كونها علاقة جائزة إلى رتبة  
كونها علاقة ضرورية، ومقتضى  
اللزوم إنما هو هذه العلاقة الضرورية  
بين الأقوال، بحيث يصح أن يقول  
القائل: «يأمر الإله بأن أفعل كذا»،  
فإذن يجب أن أفعل كذا؛ وفي هذا  
نقض لقانون «هيوم» الذي يقضي  
بوجود ثغرة لا تنسد بين القول  
الوجودي والقول الوجوبي.

ورب معترض يقول بأن هذا  
الاستدلال لا يصح إلا بتقدير مقدمة  
جامعة، وهي: «إذا أمر الإله بأن أفعل

ليس هذا فقط، بل أيضاً قد يكون  
الخبر في الدين خادماً للأخلاق أو  
تابعاً لها؛ فحينئذ، يكون حمله على وجه  
الإيجاب - أو الكتب - أولى من حمله  
على وجه الإخبار، فضلاً عن أن الخبر،  
عموماً، قد يصرف، في مقام معين من  
مقامات الكلام، عن ظاهره، فيكون  
في معنى الإيجاب أو الكتب؛ فمثلاً،  
إذا قال القائل:

«يأمر الإله بأن أفعل كذا»، فليس  
مراده هو إخبار غيره بواقع محدد هو:  
«وجود أمر الإله إليه بفعل  
مخصوص»، حتى يحق للمخاطب أن  
يصدّقه أو يكذبه، لأنه يعرف أن هذا  
المخاطب عالم بأوامر الإله ونواهيته،  
وإنما مراده هو استنهاض همته هو  
نفسه للقيام بهذا الأمر الإلهي، بحيث  
يصير «وجود هذا الأمر» هنا في معنى  
«وجوب الفعل»؛ وعليه، يجوز أن  
يفيد القول: «يأمر الإله بأن أفعل كذا»  
ما يفيد القول: «يجب أن أفعل كذا».

وهنا قد نأخذ بعين الاعتبار شيئاً

والضلالات الناتجة عن الغلو في تشبيه الإله بالإنسان، فلا نسلم له أبداً أن يجلي الدين عن الأخلاق، معتبراً أن أصلها يبقى في نطاق الوجدان الإنساني أو، على حد تعبيره، «الحس الأخلاقي المشترك بين الناس»؛ ونستند في اعتراضنا هذا على الحقيقتين الآتيتين الخاصتين بالقيمة الخلقية، وهما:

### الوعي بمصدر القيمة الأخلاقية يرجع إلى الدين

ذلك أن «هيوم» يدّعي أننا عند ما نلاحظ أفعالنا أو أفعال غيرنا، نحكم عليها، بفضل حس داخلي مباشر، بالحسن متى وجدنا منها لذة وبالقبح متى وجدنا منها ألماً، مع إقبالنا على ما كان سبباً في هذه اللذة وإدبارنا عما كان سبباً في هذا الألم، بمعنى أن الحس الأخلاقي هو الأصل في نسبة قيم الخير والشر إلى الأفعال الإنسانية؛ ونجد من بين الصفات التي ينسبها إلى

كذا، فإنه يجب أن أفعله»، وهذه قضية<sup>(٣٦)</sup> شرطية تقيم الوصل بين مقدّم وجودي وتال وجوبي، وهذا الوصل وحده هو الذي يصح به الانتقال إلى تقرير النتيجة الوجوبية: «يجب أن أفعل كذا»؛ والجواب أن معنى القول: «يأمر الإله بأن أفعل كذا» هو بالذات «يوجب الإله أن أفعل كذا»، وواضح أنه لا حاجة إلى واسطة بين هذا القول الأخير وبين القول الآخر: «يجب أن أفعل كذا»، فالقولان ينزل أحدهما من الثاني منزلة القول الشارح له أو المعرّف له؛ وعلى هذا، فلا خلاف في صحة الاستدلال الآتي: «يوجب الإله أن أفعل كذا، فإذاً يجب أن أفعل كذا»، وبه يبطل قانون «هيوم».

### إنكار حضور الدين في الأخلاق:

لئن كنا لا نملك إلا أن نسلم بانتقادات «هيوم» لما وقعت فيه الممارسة الدينية للجمهور من البدع





هذا الحس الخاص ما يلي:

\* أنه يبين العقل من جهة أن العقل لا يدخل في التحسين والتقبيح، والمراد<sup>(٣٧)</sup> بالعقل عنده هو العقل النظري القبلي الذي لا شأن له بالحياة العملية.

\* أنه عبارة عن إدراك وجداني طبيعي لا صناعة معه وعفوي لا تكلف فيه.

\* أنه بمثابة ذوق مشترك بين الناس جميعا، فيكون في جانب منه تجربة جمالية.

ونحن إذا تأملنا في هذه الصفات التي يسندها «هيوم» إلى الحس الأخلاقي، تبين أنها عين الصفات التي جاء الدين على وفقها وبغرض حفظها في النفوس وتزكيتهما وصرف أسباب الانحراف والفساد عنها؛ إذ أنها تطابق السمات التي اختص بها ما أسماه الدين باسم «الفطرة»، فالفطرة هي، إجمالا، عبارة عن شعور أخلاقي

يولد به الإنسان في كمال خلقته، ولا بد لشعور هذه حقيقته أن يكون تلقائيا، لأن الإنسان مخلوق به وأن يكون جماليا لكمال هذا الخلق وأن يكون عمليا لتعلقه بأفعاله.

وعندئذ، فواحد من افتراضين: إما أن مفهوم «الحس الأخلاقي» هو نقل مقصود لمفهوم «الفطرة»، وإما أنه ليس نقلا مقصودا له؛ فإن كان الافتراض الأول، جاز أن يكون «هيوم» قد وقف على معنى «الفطرة» في النصوص الدينية، سواء المقدسة منها أو اللاهوتية، وهو الذي اشتغل طويلا بمسألة الدين وخصص لها مؤلفين طريفيين هما: التاريخ الطبيعي للدين ومحاورات في الدين الطبيعي؛ فعمد إلى إخراج هذا المعنى المنزل عن وصفه الديني باختيار اسم له يصرف عنه كل دلالة غيبية ويناسب توجهه الحسي التجريبي<sup>(٣٨)</sup>، آتيا في هذا بفعل يدخل في نطاق مجهود «العلمنة» الذي شهد انطلاقة في هذه الفترة والذي

اتخذ له اسم «الأنوار»<sup>(٣٩)</sup>؛ وفي هذه الحال يكون «هيوم» قد استمد من الدين، بطريق مباشر، الأصل الذي بنى عليه نظريته في الأخلاق.

وإن كان الافتراض الثاني - أي أن الحس الأخلاقي ليس نقلا مقصودا للفطرة -، جاز أن يكون «هيوم» قد ظفر بمفهوم «الحس الأخلاقي» في نصوص الفلاسفة<sup>(٤٠)</sup> الذين تولوا الرد على الفلسفة الأخلاقية القائلة بأن الدافع الوحيد للأفعال الإنسانية هو حب الذات والمصلحة الذاتية، وقد اشتهر بها «هوبز» ثم من بعده «ماندويل»<sup>(٤١)</sup>؛ ونجد من بين هؤلاء الفلاسفة المناهضين لهذه النزعة الأخلاقية «شافتسبوري» و«باتلر» و«هاتشيسون» الذي كانت بينه وبين «هيوم» مراسلات<sup>(٤٢)</sup>، وقد أطلق عليهم جميعا اسم «فلاسفة الحس الأخلاقي»؛ وأشهر هؤلاء الثلاثة «جوزيف باتلر» الذي تكلم في الحس أو الشعور الأخلاقي «و في سلطته

الموجهة لأفعال الإنسان بما لم يتقدم لغيره، حتى احتاج «هيوم» إلى أن ينوه به في كتابه: رسالة في الطبيعة البشرية، قائلا عنه بأنه من فلاسفة الإنجليز المتقدمين القلائل الذين لهم طريقة جديدة في تصور علم الإنسان؛ لكن الذي يستوقفنا هنا هو أن هذا الفيلسوف المتميز كان أيضا رجل كنيسة يقضي جل وقته للعمل بهذا المؤسسة، وألف أهم كتاب له في الدفاع عن الوحي الإلهي والمعتقد الأرثوذكسي المسيحي؛ والغالب أن يكون قد استلهم، على الأقل، بعض مفاهيمه وآرائه في الأخلاق من النصوص المقدسة، ويجوز أن يكون مفهوم «الشعور الأخلاقي» عنده أحد الأمور التي استوحاها من هذه النصوص، بحيث يكون نقلا فلسفيا لمعنى «الفطرة» المبثوث فيها؛ وإذا جاز هذا، فلم لا يجوز أن يكون «هيوم» قد استقى من هذا الفيلسوف المتدين ذاك المفهوم، وهو الذي أقر بإعجابه به،

ولا إعجاب بغير تأثر! وفي هذه الحال، يكون «هيوم» قد استمد من الدين، بطريق غير مباشر، الأصل الذي بنى عليه نظريته الأخلاقية.

### أن الخبر في الدين لا ينفك عن القيمة الأخلاقية

فقد تقدم أن «هيوم» ادعى أن الأحكام المتعلقة بوجود الإله وصفاته هي قضايا خبرية أو وجودية؛ لذا، لا يصح أن نستنج منها قضايا وجوبية، ومعلوم أن القضية الوجوبية تتضمن، بموجب كونها معيارا نعاير به هذا الفعل أو ذاك من أفعال الإنسان، حكما تقويميا، أي قيمة أخلاقية؛ إلا أن هذا الفصل القاطع بين الخبر والقيمة لا يمكن التسليم به، وذلك لثبوت الحقيقتين الآتيتين:

أولاهما، أن الفصل بين الخبر والقيمة في عموم المعرفة، إن لم يكن قد حسم الأمر فيه بالبطلان، فلا أقل من أنه موضع أخذ ورد، وأنصار الرد فيه

أكثر من أنصار الأخذ، ذلك<sup>(٤٣)</sup> أن كثيرا من التفرقات التي كانت مسلّمة عند الجمهور قد صار مشكوكا فيها عند فقهاء العلم المعاصرين، نحو «التفرقة بين الواقعة والنظرية» و«التفرقة بين الملاحظة والنظرية» و«التفرقة بين التعريف والنظرية» و«التفرقة بين التحليل والتركيب» و«التفرقة بين الوصف والتفسير» و«التفرقة بين الواقعي والمثالي» و«التفرقة بين الواقعي والاعتقادي» و«التفرقة بين الصوري والتجريبي»؛ وقد كانت «التفرقة بين الواقعة والقيمة» أكثرها استقطابا لأنظار الفلاسفة ومشارا لجدل عميق وخصيب بينهم ليس هذا موضع تفصيله، وإنما حسبنا أن نشير إلى أن ما ظهر في هذا الجدل من وجوه القدح في هذه التفرقة ليس بالقليل.

\* فمنها أن ممارسات البحث العلمي التي نتبعها في تمييز ما هو واقعة مما ليس واقعة يفترض قيما

الخاص به.

ولا يخفى أن المراد بـ «الخبر» في مقابلته بالقيمة هنا هو بالذات الدلالة على معنى «الواقعة»، فالخبر هو كل قول يصف واقعة وصفاً إن جاء مطابقاً لها، كان صادقا وإن جاء مخالفاً لها، كان كاذباً؛ وعلى هذا، تكون الشبه التي أوردناها على «التفرقة بين الواقعة والقيمة» واردة أيضاً على «التفرقة بين الخبر والقيمة»، فلا نراها إلا تفرقة ناتجة عن الصنعة الفلسفية أو عن الإجرائية العلمية مثلها في ذلك مثل التفرقة في الشيء الواحد بين ذاته وصفاته.

والحقيقة الثانية هي أن الفصل بين الخبر والقيمة في المجال الديني أمر مستحيل، وبيان ذلك من الوجوه الثلاثة الآتية:

أ. ليس الغرض من الخبر في الدين تبليغ معلوم معين بقدر ما هو الحث على الاعتبار بهذا المعلوم، أي ليس هو

ومقاصد مختلفة هي عبارة عن رؤيتنا الخاصة للعالم، أي يفترض، على سبيل المثال، معايير للعقلانية وللموضوعية كما نراها، بحيث إذا تغيرت هذه المعايير المخصوصة تغيرت الوقائع المقبولة.

\* ومنها أيضاً أن الأوصاف التي يمكن أن نأتي بها للواقعة الواحدة لا تقف عند حد، لكن هذه الأوصاف تبقى مجرد سرد ليس تحته كبير طائل، حتى نستطيع أن نحدد تصورنا للوجه الذي يكون به الوصف عندنا مفيداً ومثمراً، ولا طريق لنا إلى هذا التحديد إلا إذا توسلنا في ذلك بقيم ومقاصد تختص بنا.<sup>(٤٤)</sup>

\* ومنها كذلك أن الأوصاف الكثيرة للواقعة الواحدة قد تكون متباينة فيما بينها لوجود تباين في المعايير التي استندت إليها، على الرغم من ثبوت فائدة كل واحد من هذه الأوصاف في نطاق نسق المعايير



كان أنه لا قيمة تعلو على هذا القائل الأسمى، كان خبره يخبر عنه بقدر ما يخبر عن مراده، أو باختصار، كان خبره لا يفارق قيمته.<sup>(٤٥)</sup>

ب. أن الخبر الديني ليس خبرا علميا، وإنما هو خبر عملي، ذلك أن الدين لم يأت لكي يعلم الناس ما يمكن أن يدركوه بآلاتهم وقدراتهم المختلفة التي خلقوا بها، ولا أتى على نسق نظرية علمية، حتى يمكن أن تجرى عليها وسائل التحقيق المعلومة كما ظن بعضهم، وإنما أتى لكي يرشد الخلق إلى الطريق التي ينبغي أن يوجهوا بها عمل هذه الآلات والقدرات الإنسانية، حتى يستطيعوا أن يحيا حياة طيبة في العاجل وحياة سعيدة في الآجل، وذلك لأن هذه الآلات والقدرات المختلفة، بالنظر إلى ذاتها، يجوز أن تطرّق كل أبواب الإمكان وتأخذ في ممارستها كل اتجاه، إذ ليس لها من ذاتها ما يحملها على فعل هذا بعينه أو فعل هذا دون فعل ضده،

الدلالة على الشيء في ذاته بقدر ما هو الاستدلال بهذا الشيء على ما سواه، أو قل بإيجاز، إن الخبر الديني هو آية قبل أن يكون حكاية؛ ومقتضى الآية أنها علامة معناها لا يبحث عنه في صيغة القول، وإنما يبحث عنه في مراد القائل منه، وقد يطابق هذا المراد صيغة القول أو لا يطابقها، إلا أن البحث في المراد، على ضرورته وفائدته، لا يكفي في أن تستحق العلامة تمام رتبة الآية، بل ينبغي أن يبحث عن المعنى أيضا في دلالة هذا القول على قائله، بحيث كلما كان المعنى المستنبط من القول دالا على القائل، كان أقرب إلى مراد هذا القائل؛ وعلى هذا، فإن الدلالة على القائل في الآية هي الأصل في فهم المراد منها؛ وإذا كان القائل هو أسمى قائل كما هو الأمر هنا، فلا أبلغ في فهم مراده من تبين دلالة القول عليه، ولا أنأى عن فهم هذا المراد من عدم تبين هذه الدلالة أو نسيانها أو صرفها؛ ولما

بحيث قد تصنع المضار صنعها للمنافع ولا تبالي، بل لا تهتدي من نفسها إلى تمييز الضار من النافع؛ ولا مطمع في توجيهها إلا بتعيين جملة من القيم التي ينبغي لها أن تطلبها، وهي التي يتولى الخبر الديني الإعلام بها أو الإشارة إليها، فإذن لا خبر في الدين بمعزل عن قيمة قريبة أو بعيدة.

ج. أن القيمة الخلقية ليست مصاحبة للخبر الديني فحسب، بل هي متفرعة عليه، فلو لا هذا الخبر الخاص، لما كانت ثمة قيمة خلقية؛ ليس يهم أن نبحت في تاريخ الإنسان القديم، فتبين كيف أن الدين صاحب أطوار وجوده الأولى، فأمدّه بما يجاوز واقعه من سامي المعاني، ولكن الذي يهمنا هو أن نتأمل كيف يمكن في سياق القول بأنه لا لزوم للقيمة من الواقع - كما هو قول «هيوم» في جانبه المتعلق بالخبر الحسي - أن يعرف الإنسان هذه القيمة؛ فلو أننا قدرنا أن الإنسان أخذ يركم الوقائع التي في

نفسه أو التي من حوله بعضها فوق بعض وبقي على هذه الحال ما شاء من الزمان وكان غيره ظهيرا له في هذا كله، فليس بوسعه إطلاقاً أن يستخرج من ركامه إلا وقائع حسية متعددة أخرى أو واقعة حسية واحدة تجمعها يسميها «العالم»؛ فعندئذ، لا يبقى إلا أن نفترض وجود طريق آخر غير طريق الواقع يكون بمقدوره أن يمدنا بمعرفة القيمة، ناهيك عن معرفة القيمة الخلقية، ولا يمكن أن يكون هذا الطريق الآخر هو طريق الخيال، لأن الخيال لا معرفة معه ولا يقين فيه، فضلاً عن أنه يضع أشياء على مثال أشياء العالم الواقعي، بحيث يكون الخروج إليه خروجاً إلى وقائع متخيّلة، وليس إلى قيم متحقّقة<sup>(٤٦)</sup> فلا يبقى إلا طريق الوحي، فهو الخبر الذي، إن لم يكن قيمة كلّ، فلا أقل من أنه يؤلف بين الوجود والقيمة على الدوام.

لذلك، وجد «هيوم» نفسه مضطراً



الحقيقي للشعور بها في الوجدان؛ وهل يماري في هذا إلا من أراد أن ينسب إلى الإنسان ما تنبغي نسبته إلى الإله، واقعا في ما يشبه «تأليه الإنسان» أو على العكس «تأنيس الإله»!<sup>(٤٧)</sup>

#### ٤ - نقد اعتقادات شائعة بصدد الدين والأخلاق

حسبنا ما تقدم توضيحا للمواقف الثلاثة من الصلة بين الدين والأخلاق في الفلسفة الغربية الحديثة، أي «تبعية الأخلاق للدين» و«تبعية الدين للأخلاق» و«استقلال الأخلاق عن الدين»، مع العلم بأن غرضنا لم يكن استيفاء الكلام في هذه المسألة، لأن ذلك لا يتسع له الكتاب الواحد، فما الظن بفصل واحد من الكتاب! وإنما كان غرضنا أن نمهد لموقفنا من هذه الصلة الذي بنينا عليه آراءنا المختلفة التي عرضناها في فصول هذا الكتاب، غير أنه ما زلنا في حاجة إلى التنبيه على أن هذا الموقف يختلف عما هو معهود

إلى أن يفترض وجود «حس خلقي» مبثوث في نفس الإنسان له تعلق بالقيم وحدها، حس لا يعمل بعمل العقل الذي له تعلق بالوقائع وحدها؛ بيد أنه أوهمنا أنه اهتدى إلى هذا الافتراض بمحض النظر العقلي الفلسفي، وقد بينا آنفا أن هذا غير صحيح، إذ اقتبسه إما من النصوص المقدسة أو من نصوص رجال الدين؛ بل إنه، بموجب منطق فكره ودعواه، لا يمكن أن يصح ذلك أبدا، فقد زعم أن العقل لا يوصل إلى إدراك القيمة؛ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف بعقله هو يوصله، لا إلى إدراك مفهوم «القيمة» فحسب، بل أيضا يوصله إلى معرفة مصدر القيم جميعها، والذي يسميه «الحس الخلقي»؛ فيا ترى هل الذي يعجز عن الشيء لا يكون عن سببه المحدث له أعجز! وعليه، فلا مفر إذن من التسليم بأن الخبر الإلهي هو المصدر الحقيقي للعلم بالقيمة الخلقية كما أن الفعل الإلهي هو السبب

مكارم الأخلاق» - على معنى «مكامل الأخلاق»، أي تكملات للأخلاق؛ في حين لو أنهم اتبعوا المنطق السليم في فهم حقيقة الدين، لتبينوا أن الأخلاق أولى برتبة المصالح الضرورية من غيرها؛ فما ينبغي لدين إلهي، ناهيك بالإسلام، أن ينزل إلى الناس، مقدّما الاهتمام بشؤون الحياة المادية للإنسان على الاهتمام بكيفيات الارتقاء بحياته الروحية! وهل في المصالح ما يختص بكيفيات هذا الارتقاء غير الأخلاق! ثم هل في شؤون الإنسان ما هو أدل على إنسانيته من شأنه الخلقي!

وإذا قيل بأن الفقهاء والأصوليين قد ذكروا «حفظ الدين» من بين المصالح الضرورية، والأخلاق إنما هي تابعة للدين، فإذن حفظهم للدين هو حفظ للأخلاق؛ قلنا بأنهم بين موقفين اثنين، وكلاهما قاذح فيهم<sup>(٤٨)</sup>

عند فقهاء المسلمين وأصوليهم، وبالأولى عند متكلميهم وفلاسفتهم. فإذا كان المتكلمون والفلاسفة قد تذبذبوا بين القول بتبعية الدين للأخلاق والقول باستقلال الأخلاق عن الدين، فإننا لا نقرهم على هذا التذبذب، بل، على العكس من ذلك، نلومهم عليه، لأنه دليل ضعف وتقليد لا دليل قوة وتجديد، إذ وقعوا فيه بسبب انسياقهم إلى التفكير في هذه العلاقة على مقتضى المنقول اليوناني؛ وإذا كان الفقهاء والأصوليون قد أخذوا بمبدأ تبعية الأخلاق للدين بموجب تسليمهم بأن الدين جاء لينظم حياة الإنسان في مجموعها، فإننا كنا نقرهم على هذا الأخذ، فإننا نلومهم على كونهم جعلوا رتبة الأخلاق لا تتعدى رتبة المصالح الكمالية، حاملين عبارة «مكارم الأخلاق» - التي ورد بها الحديث الشريف المعلوم: «إنما بعثت لأتم

## الهوامش:

- [١] انظر الحديث الشريف الذي صدرنا به الكتاب.
- [٢] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٢٩، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي
- [٣] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٣٠، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي
- [٤] قد ذكرنا أن هناك وجوها متعددة لهذه العلاقة: وجها تاريخيا ووجها نفسيا ووجها اجتماعيا ووجها منطقيًا ووجها معرفيًا ووجها كيانيا وغيرها؛ ولما كانت لهذه العلاقة اتجاهات أو أشكال ثلاثة، لا بد أن يكون لكل واحد من هذه الاتجاهات أو الأشكال مثل هذه الوجوه المختلفة.
- [٥] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٣١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي
- [٦] نقترح استعمال لفظ «الرَّوْيَة» في نقل المصطلح الأفلاطوني: «phronesis» التي هي فضيلة العقل في معناه العملي والتدبيري، بينما غلب على فلاسفة الإسلام ونظارهم أن يستعملوا في مقابله لفظ «الحكمة»؛ وهذا في نظرنا استعمال غير موفق، إذ أحدث تشويشا كبيرا في الممارسة الفكرية العربية عموما، لأن لفظ «الحكمة» في التداول العربي أخصّ وأشرف، بدليل أنه ينزل في هذا التداول رتبة أعلى من رتبة
- العدل، بينما «phronesis» عند «أفلاطون» تنزل رتبة دون رتبة العدل.
- [٧] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٣٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي
- [٨] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٣٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي
- [٩] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٣٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي
- [١٠] من أراد أن يطلع على تفاصيل الآراء والمواقف بشأن هذه النظرية، فليرجع إلى الدراسات الهامة المجموعة في كتاب:
- HELM, P. (Ed.): Divine Commands and Morality.
- [١١] انظر:
- Iade' I, 10d-11b. PLATON,: Oeuvres completes, Pl
- [١٢] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٣٤، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي
- [١٣] كانت: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، دار النهضة العربية، ١٩٧٠، بيروت.
- [١٤] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٣٥، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي
- [١٥] انظر:

Ought-Problem.

[٢٥] عبد الرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٤٠، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي  
[٢٦] انظر:

HUME, D.: A Treatise of Human Nature, Oxford, Clarendon Press, 1965, p. 469.

[٢٧] نستعمل الصفة: «كـتـبـي» المشتقة من المصدر: «كـتـب» لإفادة ما يفيد المصطلح الفرنسي: «prescriptif» في مقابل الصفة: «وصفي» التي تدل على ما يدل عليه المصطلح الفرنسي: «descriptif»؛ ومعلوم أن من معاني الفعل: «كتب» معنى «أوجب»، إذ يقال: «كتب الله الشيء»، أي قضاه الله وفرضه.

[٢٨] عبد الرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٤١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي  
[٢٩] انظر:

MOORE, G. E.: Principia Ethica, pp. 21-5.

[٣٠] عبد الرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٤٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي  
[٣١] انظر:

Ralph CUDWORTH PRIOR, A. N.: Logic and The Basis of Ethics, pp. -13 25.

[٣٢] انظر:

KANT, E.: La religion dans les limites de la simple raison, p. 23.

[١٦] عبد الرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٣٦، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي

[١٧] عبد الرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٣٧، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي  
[١٨] انظر:

KANT, E.: Critique de la raison pratique, pp. 178-167.

[١٩] هناك قضية ثالثة تردد فيها كانت، فتارة جعلها مسلمة وتارة أهمل أن يجعلها كذلك، وهي «الحرية».

[٢٠] عبد الرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٣٨، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي  
[٢١] انظر:

PERELMAN, Ch.: Introduction historique à la philosophie morale, p. 127.

[٢٢] عبد الرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٣٨، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي

[٢٣] عبد الرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٣٩، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي  
[٢٤] انظر:

HUDSON, W. D.: The Is-Ought-Question. SCHURZ, G.: The Is-

[٣٩] لتعلم أن لفظ «الأنوار» هو نفسه مأخوذ من الخطاب الديني.

[٤٠] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٤٦، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي

[41] T. HOBBS (1679-1588), B. DE MANDEVILLE (1733-1670))

[42] A. A. C. SHAFTESBURY (-1671 1713), J. BUTLER (1752-1692), F. HUTCHESON (1746-1694)).

[٤٣] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٤٧، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي

[٤٤] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٤٨، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي

[٤٥] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٤٨، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي

[٤٦] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٤٩، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي

[٤٧] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٥٠، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي

[٤٨] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٥١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي

HUDSON, W. D.: Modern Moral Philosophie, pp. 265-264.

[٢٣] انظر:

HUDSON, W. D.: The Is-Ought-Question, p. 46.

[٢٤] انظر:

HUME, D.: Dialogues sur la religion naturelle.

[٣٥] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٤٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي

[٣٦] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٤٤، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي

[٣٧] عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الصفحة: ٤٥، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦ الميلادي

[٣٨] نستعمل الصفة: «تجريبي» المشتقة من اسم «تجربة»، وليس الصفة: «تجريبي» التي اشتهر استعمالها في هذا المعنى، والواقع أن «التجربة» غير «التجريب»، الغالب على الأولى الدلالة على الخبرة الطبيعية كما هي التجربة في الحياة اليومية، وتقابل عندنا اللفظ الأجنبي: «Experiential»؛ بينما الغالب على الثانية الدلالة على الخبرة الصناعية كما هو التجريب في المختبرات العلمية، وتقابل المصطلح الأجنبي: «Exprimental»

رشا كاظم معن العيداوي  
باحثة من العراق

## عقوبة الاعدام

### دراسة مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقانون الجنائي العراقي

#### المقدمة

لتسليط الضوء على ماهية هذه العقوبة وبيانها، وهل تتنافى مع الطبيعة البشرية التواقة للعدالة والعيش الكريم، ومع دراسة ومقارنة هذه العقوبة فيما بين التشريع الاسلامي وبين القانون الوضعي الجزائي نحاول الوقوف على اهم النقاط المشتركة بينهما وكذلك الاشارة الى نقاط الافتراق ان وجدت في هذين التشريعين، وبيان المرتكزات

تعد عقوبة الاعدام من العقوبات الاكثر جدلاً لكونها تمثل اقصى انواع العقوبات حيث ليس فيها مجال للعودة عنها في حال تنفيذها اذ هي عقوبة تنهي حياة المحكوم عليه، وذلك يجعل لها اهمية خاصة في تسليط الضوء عليها ودراستها من الناحية الدينية ومقارنتها بالقوانين الوضعية وبالخصوص القانون الجزائي العراقي



الاحذ بنظر الاعتبار قانون حقوق الانسان وحقه في الحياة، وهل يمكن الاستعاضة عنها بعقوبات لها نفس الاثر مع الحفاظ على حياة المعاقب بالاعدام، كما يجدر الاشارة هنا الى الجرائم التي يستحق عليها الشخص تلك العقوبة وما مدى خطورة تلك الجرائم التي استوجبت اقصى العقوبات. واخيراً بيان فلسفة عقوبة الاعدام من وجهة نظر الدين الاسلامي.

### الكلمات المفتاحية

العقوبة، الاعدام، الشريعة الاسلامية، القانون الجزائي

### العقوبة في اللغة والاصطلاح:

العقوبة في اللغة: اصل الكلمة من (عقب) وهو ما وقع خلف الشيء مباشرة، يقول صاحب كتاب العين: «عَقِبُ الأمر: آخره... وَعَقَبَ الليل النهار والنهار الليل: أي خلفه»<sup>(١)</sup>. كما

الاساسية في تلك التشريعات وفيما يصب في مصلحة الانسان وبما يضمن له عيشاً آمناً كريماً، وقد اشار القانونيون الى عقوبة الاعدام وتطرقوا الى خباياها وزواياها تحت كتب ومقالات وبحوث ولكننا في هذا البحث نحاول دراسته دراسة مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقانون الجزائي العراقي بما يتيح لنا تسليط الضوء على الايجابيات والسلبيات في كلا التشريعين، وذلك بالاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية من جهة والدسنور العراقي والكتب القانونية من جهة اخرى وسنحاول التطرق الى عقوبة الاعدام في الدين الاسلامي بعد المرور على تلك العقوبة عند الديانات السابقة له، وكذلك دراسة عقوبة الاعدام في القوانين الوضعية القديمة وتطورها والوصول بها الى القوانين المعاصرة، وايضاً نتطرق للشبهة التي تثار في عصرنا هذا حول مدى انسانية تنفيذ حكم الاعدام مع

وهو ما ذهب اليه ابن فارس في مقاييس اللغة فقال: «العين والبدال والميم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على فَقْدَانِ الشيءِ وذَهَابِهِ. من ذلك العَدَم. وَعَدِمَ فلانُ الشَّيْءَ، إذا فَقَدَهُ»<sup>(٥)</sup>.

وفي الاصطلاح: فقد وردت تعاريف عديدة للاعدام، اتفق الجميع على اطلاق هذه الكلمة على العقوبة المتعارفة في الامور القضائية والجنائية، ورغم اختلاف الكلمات في تلك التعاريف لكن يمكن الخروج بتعريف جامع لهذه المفردة: (هو ازهاق روح المحكوم عليه - الجاني - الذي صدر ضده حكم من محكمة مختصة بالاعدام لارتكابه جريمة خطيرة ينص عليها القانون)<sup>(٦)</sup>. كما توسع البعض في الاشارة الى النتيجة الحاصلة من الاعدام بالقول بانه: (ازهاق روح المحكوم عليه، وهو يعد بذلك عقوبة استئصال اذ يهدف استبعاد من يوقع عليه من المجتمع بصفة نهائية)<sup>(٧)</sup>. وقد ورد في القانون العراقي المعدل

وجاء في معجم مقاييس اللغة في (عقب): «العين والقاف والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدلُّ على تأخير شيء وإتيانه بعد غيره. والأصل الآخر يدلُّ على ارتفاع وشدة وصعوبة... وإنَّما سمَّيت عقوبة لأنَّها تكون آخرًا وثاني الذَّنْب... المعاقب الذي أدرك ثأره. وإنَّما سُمي بذلك للمعنى الذي ذكرناه»<sup>(٨)</sup>.

اما العقوبة في الاصطلاح فقد قيل ان العقوبة هي: (جزاء يوقع باسم المجتمع تنفيذاً لحكم قضائي لمن تثبت مسؤوليته عن الجريمة، وهي كذلك جزاء ينطوي على الم بالمجرم نظير مخالفته نهي القانون او امره)<sup>(٩)</sup>.

### الاعدام في اللغة والاصطلاح:

الاعدام في اللغة: اصل الكلمة من (العدم) قال اهل اللغة في معنى الكلمة: «العَدَمُ: فقدان الشيءِ وذهابه... ورجل عَدِيمٌ لا مال له، وقد عَدِمَ ماله وفقدَه وذُهِبَ عنه»<sup>(٤)</sup>

التعريف التشريعي لعقوبة الاعدام بالنص: (هو شئ المحكوم عليه حتى الموت)<sup>(٨)</sup>.

### الشريعة الاسلامية:

الشريعة في اللغة: اصل كلمة الشريعة من (شرع) ومن هذا الاصل قالوا الشريعة، وهي الطريقة والمنهج، جاء في كتاب العين: «شَرَعَ الوارد الماء وشَرَعاً فهو شارع، والماء مشروع فيه إذا تناوله بفيه... والشريعة والشرائع: ما شرع الله للعباد من أمر الدين، وأمرهم بالتمسك به من الصلاة والصوم والحج وشبهه»<sup>(٩)</sup>. قال ابن فارس في مقاييس اللغة: «الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شئ يُفْتَح في امتداد يكون فيه. من ذلك الشريعة، وهي مورد الشَّارِبَةِ الماء. واشتق من ذلك الشَّرْعَةُ في الدين، والشريعة. قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ

الْأَمْرِ﴾»<sup>(١٠)</sup>.

الشريعة في الاصطلاح فقد استعير المعنى من اللفظ اللغوي للكلمة واطلق على الطريقة الالهية قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾<sup>(١١)</sup>.

### القانون الجنائي العراقي:

القانون الجنائي: هو فرع من فروع القانون العام يضم كلاً من قانون العقوبات الذي يعد مجموعة من القواعد القانونية التي تحدد الجريمة وتبين عقوبتها المقررة، وقانون أصول المحاكمات الجزائية الذي يضم مجموعة من القواعد القانونية التي تبين الإجراءات الواجب اتباعها من وقت وقوع الجريمة حتى إيقاع العقوبة على مرتكبها. ويهدف القانون الجنائي إلى حماية القانون والنظام والمجتمع من خلال تحقيق الردع العام لحماية المصلحة العامة والردع الخاص لمرتكب الجرم. يشرح استاذ القانون

العام الدكتور مصطفى كامل ذلك بقوله: «اذا اطلقت كلمة القانون الجزائي - بصفة عامة - فانها تنصرف الى مجموعة القواعد التي تضعها الدولة لبيان الجرائم اي الأفعال التي تراها مخلّة بأمنها والعقوبات التي تنطبق على مرتكبيها، والكيفية التي تصل بها الى غايتها من حيث اكتشاف المجرم ومحاكمته وتنفيذ العقاب عليه»<sup>(١٢)</sup>. وتقسم الى القانون الجنائي الدولي والقانون الجنائي الداخلي على تفصيل يذكر في محله.

## ١. كليات حول عقوبة الاعدام التشريع الالهي والقوانين الوضعية

قبل الخوض في البحث يجب دراسة الفرق بين التشريعات السماوية والقوانين الوضعية ومن هو المشرع الاساسي لكل منهما ولأجل ذلك يمكن ملاحظة ان القوانين الوضعية قد تطورت مع التطور البشري

للانسان الاول وصولا الى ما هو عليه الآن، ففي القديم عرف الانسان الاول القوانين على بساطتها وقام بتنفيذ تلك الاحكام البسيطة بنفسه، اذ ان الانسان الاول لم يكن يتمتع بسلطة حاكمة تأخذ له حقه ممن يظلمه فنراه هو ينفذ القانون بالآخذ بحقه ممن يُوقع به الظلم، وعندما تطورت المجتمعات البدائية الاولى احتاج الانسان الى من ينظم له حياته ويسير له اموره المختلفة فتولدت لديه فكرة الحاكم او الرئيس الذي يدير امور تلك الجماعات وأوكل له الحق في وضع قوانين تنظم امور تلك الجماعات وحسب الفهم البسيط للقانون آنذاك وهنا بدأ سن القوانين الوضعية وان كانت بدائية بسيطة، ومع تطور المجتمعات البشرية تطورت القوانين وفق الحاجة لها من قبل تلك المجتمعات الى ان وصلت الى ما هي عليه الآن.

اما الشرائع السماوية فهي قوانين

الوضعية في جميع انحاء البلدان على اختلاف انتماءاتهم ومذاهبهم<sup>(١٣)</sup>.

## عقوبة الاعدام في التشريعات السماوية

تكاد لا تخلو شريعة من الشرائع من وجود احكام ونظام خاص بما يضمن للانسان عيشاً كريماً وذلك منذ خلق الله تعالى آدم ﷺ الى يومنا هذا، وقد حددت من ضمن تلك الاحكام التي جاءت بها التشريعات السماوية قانون العقوبات التي تترتب على من يقترب جرمًا او جنائية، فحينما تنازع ابنا آدم ﷺ وقتل احدهما الآخر بدأ من هناك تطبيق الاحكام السماوية قال تعالى بعد ان قص ما حصل بينهما: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(١٤)</sup> فقد بين الحق تعالى العلة والسبب في تشريع حكم القصاص

شرعها الخالق والمبدع الذي خلق كل شيء واحسن صنعه، خالق الانسان الذي هو اعلم بما يصلحه وينفعه للوصول به الى الكمال الذي يصبو اليه ذلك الانسان، ولما كان الله حكيماً عليماً فقد سن قوانين وشرع شرائع هي الافضل من حيث المصلحة التي يتطلع اليها الانسان على اختلاف ألوانه واشكاله، فاذا سلمنا بكونه الخالق الحكيم علمنا حكمته تعالى في سن قوانين للبشر بما يضمن لهم مصلحتهم وخيرهم في الدنيا والآخرة، فهو الذي اتقن كل شيء صنعه ثم هدى.

وعلى اساس المدون للشريعة والقانون يكون الفرق جلي بينهما اذ ان روح المشرع تتجلى في كل منهما، فتسم الشريعة بالكمال والسمو والخلود وهذا ما يفتقره القانون الذي يتطلع دائماً الى سد النقص فيه باجراء تعديلات وتوضيحات له بين حين وآخر وهذا ما نراه في كل القوانين

يقتل)<sup>(١٦)</sup> وقد جاء تاييد ذلك في القرآن الكريم اذ يبين تعالى ما شرع لنبى اسرائيل في هذا الامر من تشريعات فيقول عز وجل: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾<sup>(١٧)</sup>.

وعلى هذه السنة مضت اغلب التشريعات السماوية وصولاً الى الدين الاسلامي الذي سن القوانين التي تتماشى مع الطبيعة التي منحه الله تعالى للإنسان في حبه لارساء العدل والوصول الى الكمال، حيث ذكر في القرآن الكريم آيات تتحدث عن حكم القصاص، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾<sup>(١٨)</sup> ثم بين تعالى العلة والحكمة من هذا الحكم فقال عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(١٩)</sup>.

وذلك ببيان فضاغة ما ارتكبه احدهما بحق الآخر سواء التأثير على الفرد المقتول او على المجتمع بصورة عامة، ومن خلال ذلك بدأ الانسان بفهم معنى العقوبة وما هي احكامها وعلة تشريعها.

لذلك نرى ان التشريعات السماوية السابقة قد شرعت عقوبات عامة للجناة والمذنبين ومنها عقوبة الاعدام فقد ورد في الكتب المقدسة الاولى نصوص تدل على عقوبة الاعدام والسبب الذي من اجله تجب العقوبة على الجاني، فقد جاء في التوراة في سفر التكوين في الاصحاح ٢١: (من ضرب انسان فمات يقتل قتلاً)<sup>(٢٠)</sup>، والنص الآخر الذي يقول: (اذا نطح ثور رجلاً او امرأة فمات، يرجم الثور ولا يؤكل لحمه، واما صاحب الثور فيكون بريئاً. ولكن اذا كان الثور نطاحاً من قبل وقد اشهد عند صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلاً او امرأة، فالثور يرجم وصاحبه ايضا



## عقوبة الاعدام في القوانين المدنية

يتمتع التاريخ العراقي القديم بمحطات قانونية هامة اذ تعد القوانين العراقية القديمة من اقدم القوانين الموجودة على مر التاريخ اذ يعد العراق من الدول الرائدة في سن القوانين التي وصلت الينا عبر مخطوطات اثرية ومسلات تاريخية، وقد جاءت عقوبة الاعدام في صدارة العقوبات التي تضمنتها تلك المخطوطات القانونية (فقد عرف قانون «ايشتنا» عقوبة الاعدام... في نطاق جرائم السرقات عاقبت المادة ١٠ بالموت كل من لم يتمكن من إقامة الدليل على شرعية الأموال التي بحوزته فيما لو ظهر انها مسروقة، وجاءت المادة ١٤ تبين حكم سرقة الاطفال وعقوبتها الموت ايضاً، اما المادتان ١٥- ١٦ فقد عاقبتا بالموت كل من ساعد الرقيق على الهروب»<sup>(٢٠)</sup>.

اما في الحضارة الآشورية فقد وردت عقوبة الاعدام في الجرائم الدينية اذ حكمت (بالموت كل من وجد متلبساً بأعمال السحر او يتهم شخصاً بارتكابه... كذلك عاقبت القوانين الآشورية في المادة الثانية من اللوحة الاولى على المرأة التي تنطق بالكفر او تتلفظ بحديث مبتذل بالموت)<sup>(٢١)</sup>.

اما قانون حمورابي الذي يتكون من ٢٨٢ فقرة قانونية فقد تضمن عقوبة الموت في مواضع عدة منها (ما يخص امن الدولة اذ حكمت بالموت على من يأوي متآمر ضد الدولة وكذلك من يتخلف عن الخدمة العسكرية او يستأجر آخر لينوب عنه في ادائها، كما حكمت بهذه العقوبة على المسؤول العسكري الذي يغتصب اموال جنوده او يمنع عنهم الهبات الملكية الخاصة بهم)<sup>(٢٢)</sup>.

وفي نطاق الجرائم الاخلاقية فقد

(سن قانون عقوبة الموت على موارد عدة اهمها: الزوجة التي تقتل زوجها لتتزوج غيره، وكذلك على الزوجة التي تتهم بالخيانة الزوجية وعلى الولد الذي يعاشر امه او الاب الذي يعاشر زوجة ابنه... وما شابهها من جرائم اخلاقية)<sup>(٢٣)</sup>.

وجرائم الحريق العمد (م٦١-١٦٣-١٦٦) والجرائم الاخلاقية (م٢٠١) وشهادة الزور اذا ادت الى تنفيذ حكم الاعدام بالمتهم (م٢٠٧) والعودة الى جريمة عقوبتها الاشغال الشاقة المؤبدة (م٨)<sup>(٢٤)</sup>.

## ٢. جرائم جزائرها الاعدام في الشريعة والقانون

قسم قانون العقوبات المدني الجرائم على حسب خطورتها ومساسها بمصلحة الفرد والمجتمع الى: جنائيات وحنح ومخالفات، واختص جرائم الجنائيات بعقوبات شديدة هي الاعدام او السجن المؤبد وذلك لمدى خطورة هذا القسم ووجوب ردع القائمين به، فقد وردت عقوبة الاعدام في القانون العراقي في ١٤٨ مورد اهمها: الموارد الماسة بأمن الدولة الخارجي والداخلي، وكذلك الموارد المرتبطة بالامور النظامية والعسكرية، وشهادة الزور التي تؤدي

هذا كله في القانون القديم اما في القانون العراقي الحديث فقد كان العراق يطبق الشريعة الاسلامية في اموره المهمة والحياتية قبل ان يصدر قانون الجزاء العثماني سنة ١٨٥٩ حيث كان العراق جزءا من الدولة العثمانية حتى سقوطها على يد الانجليز ودخولهم الى العراق سنة ١٩١٧. وكان القانون العثماني قد اقر عقوبة الاعدام في طياته في موارد عديدة اهمها: (الجرائم المتعلقة بأمن الدولة الخارجي (م٤٨-٥٤) والجرائم المتعلقة بأمن الدولة الداخلية (م٥٥-٦١) وجرائم القتل العمد في صورها المشددة (م٦٢-١٧٠-١٨٤)

مدى سعة وضيق الاتفاق والاختلاف بينهما.

### جريمة القتل العمد:

من اوضح مصاديق القصاص هي في قتل النفس المحترمة، ولان الروح الانسانية هي هبة من الله تعالى اكرم بها الانسان وعظم شأنه بها فلا يحق سلب هذه الهبة الالهية ومنع الشخص من حق الحياة، فجاءت عقوبة الاعدام جزاء لمن تعدى على هذه النفس المحترمة. قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ يقول وهبة الزحيلي في كتابه الوجيز في الفقه الاسلامي: (القتل: الفعل المزهق او المميت، وهو هدم النفس الإنسانية، وحكمه الشرعي انه حرام ومن السبع الكبائر او الموبقات الذي يستحق القصاص في الدنيا والعذاب في الآخرة)<sup>(٢٦)</sup>، وقد قسم اغلب فقهاء المسلمين القتل الى ثلاثة اقسام: العمد

الى الاعدام، والاعتداء على وسائل النقل والمواصلات العامة، والجرائم الماسة بحياة الانسان، وخطف الانسان واحتجازه في ظروف مشددة، واخيراً السرقة المشددة وهي التي تكررت لاكثر من مرة. اما في الشريعة الاسلامي فقد جاءت عقوبة الاعدام جزاء لجرائم منها: القتل والبغي والافساد في الارض والارتداد عن الدين... قال السيد محمد الصدر صاحب كتاب ما وراء الفقه: (القتل: وهو اذهاق الروح وهو عقوبة لعدد من الجرائم منها: القتل العمد لمحقون الدم، ومنها المفسدون في الارض، ومنها اللائط، ومنها المرتد الفطري، ومنها من ترك الصلاة ثلاثا بينها تعزيرين، وكذلك المرتد الملي اذا لم يتب والمرتدة الفطرية اذا لم تتب، وكذلك الساحر ومن سب النبي

ﷺ (٢٥)

وعلى هذا يمكن اجراء دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون لمعرفة

فقراته موافقة لما في الشريعة الاسلامية وذلك في المادة القانونية رقم ٤٠٦ من القانون الجزائي العراقي حيث تحدث هذه المادة عن فقرة القتل العمل والجزاء المترتب عليه، تقول المادة (٤٠٦):

(١- يعاقب بالاعدام من قتل نفساً عمداً مع احدى الحالات التالية:  
الف - اذا كان القتل مع سبق الاصرار او الترصد) ثم يشرع في بيان الحالات التي يصدق عليها القتل العمد، كأن يستخدم مادة سامة او متفجرة، او استعمل الجاني طرق وحشية في حين ارتكاب القتل، وكذلك اذا كان الدافع من القتل دافع دنيء او كان بينهما صلة قرابة وغيرها من الامور التي تكون قرينة على الدافع العمدي للقتل عند الجاني والذي يستحق عليه الاعدام شنقاً حتى الموت.

### الجرائم الماسة بامن الدولة:

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ

والخطأ وشبه العمد، ويقع القصاص في القتل العمد دون غيره اذ ان القتل الخطأ وشبه العمد انها يوجبان الدية لا القصاص. وعليه فيمكن تعريف القتل العمد وحسب ما ذكره الشيخ مغنية صاحب كتاب فقه الإمام الصادق عليه السلام اذ قال: (والخلاصة ان ضابط قتل العمد ان يقصد الفعل والقتل او يقصد الفعل الذي يقتل مثله في الغالب وان لم يقصد القتل.. اما اذا فعل فعلاً لا يوجب القتل عادة ولم يكن القتل من قصده ومع ذلك حصل القتل فلا يكون عمداً موجباً للقصاص وعليه تكون عناصر القتل العمد ثلاثة: القتل والفعل والقصد، سواء اتجه القصد الى القتل مباشرة او الى العمل القاتل غالباً)<sup>(٢٧)</sup>. اما النفس المحترمة التي حرم الله قتلها فهي: (ان يكون القتل ادمياً حياً معصوم الدم، وان يحدث القتل نتيجة لفعل الجاني وان يقصد الجاني احداث الوفاة)<sup>(٢٨)</sup>.

اما في القانون العراقي فقد جاءت



وَرَسُولُهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٩﴾

تشير الآية الشريفة الى «الذين يسعون في الارض فساداً» والمراد هنا (على ما هو الظاهر هو الإخلال بالأمن العام، والأمن العام إنما يختل بإيجاد الخوف العام وحلوله محله، ولا يكون بحسب الطبع والعادة إلا باستعمال السلاح المهدد بالقتل طبعاً ولهذا ورد فيما ورد من السنة تفسير الفساد في الأرض بشهر السيف ونحوه) (٣٠).

وقد اشارت الآية الشريفة بالقول: ﴿الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ للدلالة على حجم الجريمة التي يرتكبها هؤلاء فكل ما يعرض حياة الانسان للخطر ويسلبه الأمن على حياته وماله فهي محاربة لله وللرسول، والى ذلك يشير الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره بالقول: (والذي يلفت الانتباه

في هذه الآية هو أنها اعتبرت العدوان الممارس ضد البشر بمثابة إعلان الحرب وممارسة العدوان ضد الله ورسوله، وهذه النقطة تبين بل تثبت مدى اهتمام الإسلام العظيم بحقوق البشر ورعاية أمنهم وسلامتهم) (٣١).

وعند مراجعة القانون الجزائي العراقي نلاحظ وجود فقرات عدة تتحدث عن الافساد في الارض وتحت اقسام مختلفة، نستطيع ان نقسمها الى اقسام:

**الف - فقرة الاخلال بالامن الوطني والجرائم الماسة بامن الدولة:** فقد وردت في المادة ١٥٦: (يعاقب بالاعدام من ارتكب عمدا فعلا بقصد المساس باستقلال البلاد او وحدتها او سلامة اراضيها وكان الفعل من شأنه ان يؤدي الى ذلك).

**ب - التجسس والتخابر للاجنبي:** وكذلك تتعلق نفس العقوبة في حالة التجسس او التخابر مع دولة اجنبية فقد جاء في المادة ١٥٧ من القانون

الجزائي: (يعاقب بالاعدام او السجن المؤبد كل من سعى لدى دولة اجنبية او تخابر معها او مع احد ممن يعملون لمصلحتها للقيام باعمال عدائية ضد العراق قد تؤدي الى الحرب او الى قطع العلاقات السياسية او دبر لها الوسائل المؤدية لذلك). ويشمل ذلك كل من جند اشخاص يعملون ضد مصلحة جمهورية العراق او سهل دخول العدو الى العراق او قام بفعل اخل بامن وسلامة الوطن وذلك تحت المواد ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٧٤.

د - الترويج للصهيونية والانتماء لاحزاب معادية للانسانية: اما في المادة ٢٠١ من القانون الجزائي فقد نصت المادة على الاعدام لمن ينتمي للصهيونية فقد جاء فيها: (يعاقب بالاعدام كل من حذو او روج مبادئ صهيونية بما في ذلك الماسونية او انتسب الى اي من مؤسساتها او ساعدها مادياً او ادبياً او عمل باي كيفية كانت لتحقيق اغراضها) ويدخل في نفس السياق الانتماء الى حزب البعث وذلك لما لحزب البعث من تاريخ دموي ووحشي ذاق منه العراق والعراقيين الولايات، فجاء في

الجزائي: (يعاقب بالاعدام او السجن المؤبد كل من سعى لدى دولة اجنبية او تخابر معها او مع احد ممن يعملون لمصلحتها للقيام باعمال عدائية ضد العراق قد تؤدي الى الحرب او الى قطع العلاقات السياسية او دبر لها الوسائل المؤدية لذلك). ويشمل ذلك كل من جند اشخاص يعملون ضد مصلحة جمهورية العراق او سهل دخول العدو الى العراق او قام بفعل اخل بامن وسلامة الوطن وذلك تحت المواد ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٧٤.

ج - ترويج السكان واحداث الاضطرابات: كما يعتبر من الافساد في الارض الذي يعاقب عليه القانون العراقي تراس او تنظيم عصابة مسلحة تهاجم الناي وتستهدف امنهم واغتصاب اراضيهم، المادة ١٩٤: (يعاقب بالاعدام كل من نظم او تراس او تولى قيادة ما في عصابة مسلحة هاجمت فريقا من السكان او استهدفت منع تنفيذ القوانين او



المادة ٢٠٠ من القانون الجزائري:  
(يعاقب بالاعدام كل من ينتمي الى  
حزب البعث العربي الاشتراكي).

### ٣. عقوبة الاعدام بين التأييد والانكار:

ثار جدل في الأونة الاخيرة حول  
عقوبة الاعدام ومدى الفائدة المرجوة  
من تنفيذ هذا الحكم وهل هي عقوبة  
تلائم مع العصر الحاضر وطبيعة  
حقوق الانسان، فكان هناك جبهتان  
بين مؤيد ومعارض لهذه العقوبة، اذ  
داعت مجاميع من منظمات حقوق  
الانسان ومنظمات المجتمع المدني  
بالغاء هذه الفقرة من العقوبات في  
القانون العراقي مستندين على ادلة  
يمكن استخلاصها بما يلي:

#### ادلة المنكرين لعقوبة الاعدام:

١- ان حق الحياة مكفول للجميع،  
فلا يمكن سلب هذا الحق ومنعه من  
الحياة، وذلك بتنفيذ حكم الاعدام  
بحقه.

٢- ان عقوبة الاعدام غير قابلة  
للتدرج، فلا نستطيع ان نتدرج في  
العقوبة وبحسب الشخص وجريمته  
التي قام بارتكابها اذا اخذنا بنظر  
الاعتبار خطورة المجرم او الظروف  
الشخصية التي يمر بها مستحق  
الاعدام. وعليها تكون النتيجة واحدة  
مع جميع الافراد مما ينتج عنه تراخي في  
تحقيق العدالة.

٣- ان عقوبة الاعدام انما هي  
عقوبة غير انسانية بغض النظر عن  
الداعي لها فهي تفتقر الى روح العطف  
والرحمة بالآخرين.

٤- اما في حال تم تنفيذ الحكم  
وتبين فيما بعد خطأ ذلك الحكم فانه  
يستحيل اصلاح آثاره، لانه ليس هناك  
خط عودة في سلب الحياة من الانسان  
بعد تنفيذ الحكم.

٥- عادة ما تطبق عقوبة الاعدام على  
اصحاب الرأي والمعارضين السياسيين،  
ولم تطل المجرمين في الغالب.

اهله، فحين تحقق العدالة يجب ملاحظة كلا الطرفين اي الجاني والمجني عليه، وذلك ابسط قانون من قوانين العدالة.

٢- ان عقوبة الاعدام انما هي عقوبة رادعة للآخرين عن ارتكاب تلك المخالفات الجسيمة والكبيرة. فان القانون يضمن ان ينال الجاني اشد العقوبات في حال كان قد ارتكب اكثر من جريمة. وان الاشكال الذي يقال بانه لا يمكن التدرج في العقوبة فان الموت هو اقصى مراحل العقوبة.

٣- اما الاشكال في ان الاعدام انما هي عقوبة غير انسانية، فالاشكال لا ينظر الى المجني عليه، فهل تحققت له الانسانية التي لم يراعها الجاني بحقه، فلماذا ننظر الى الجاني بنظرة انسانية بينما نتغافل عن المجني عليه؟

٤- اما في مسألة اذا ثبت الخطأ في الحكم، فان الشرع وكذلك القانون لا يصدر احكامه بدلائل ظنية او غير

٦- ان هدف العقوبة انما هو اصلاح المدان والعمل على اعادة تأهيله، وهذا الامر لا يتحقق في عقوبة الاعدام لانها تنتهي بالموت.

٧ - ان عقوبة الاعدام ليس فيها فائدة تعود على المجتمع مثل ما لو حكم على المدان بالسجن المؤبد واستخدم في السجن، او عمل على اصلاح الضرر المترتب على جريمته.

### اما المؤيدون لعقوبة الاعدام فكانت ادلتهم كما يلي:

١- ان الهدف من عقوبة الاعدام هو تحقيق العدالة، اذ تعد هذه العقوبة مقابلاً منطقياً ومتساوياً مع الجريمة التي تُرتكب مثل القتل، فليس من العدل ان يقوم الجاني بسلب حياة شخص ما في الوقت الذي يداعي من يرفض حق الاعدام بالحفاظ على حياته (الجاني) فان ذلك يتنافى مع العدالة التي يجب توفرها للمجني عليه او على من خلفهم من

يقينية، ولذلك نرى المحاكم تدقق في القضايا المهمة وتدرس جميع القرائن والادلة قبل اصدار الحكم، ويستتبع ذلك التمييز في الحكم، كل ذلك حتى يضمن القاضي او المشرع اصدار الحكم العادل بحق الجاني الحقيقي. وهذا الامر يقلل فرص الخطأ في الحكم بجميع الامور الجزائية سواء الاعدام منها او غيرها من الاحكام.

٥- ان عقوبة الاعدام التي تنفذ بحق اصحاب الرأي والمعارضين السياسيين، فان هذا خلل في تنفيذ الحكم من بعض السلطات الظالمة وليس هذا سبب لرفض اصل عقوبة الاعدام فيجب محاسبة المسؤولين السياسيين اذا ثبت انهم يعدمون خصومهم السياسيين فقط لانهم اختلفوا معهم في الرأي او السياسة، وهذا لا يستوجب الشك في اصل عقوبة الاعدام لانها شرعت اساسا للمجرمين واصحاب الجنايات الخطيرة.

٦- ورداً على الاشكال السادس نقول: ان الذي يرتكب تلك الجرائم الكبرى وباصرار وتعمد فانه قد وصل الى مرحلة لا يمكن معها اصلاحه، فوجب التخلص من الاشرار الذين لا سبيل الى اصلاحهم، هذا اذا اخذنا بعين الاعتبار ان مهمة السياسة الجنائية لا تقتصر على تقويم المجرمين وعلاجهم بل تتعدى ذلك الى استئصالهم عند ثبوت عدم الجدوى من علاجهم.

٧- اما في ما يخص النقطة السابعة بخصوص استبدال عقوبة الاعدام بالسجن المؤبد فان الاقتصاد المالي للدولة لا يبرر الصرف عليهم لسنوات في السجون من دون فائدة ترتجى من بقائهم داخل السجن.

٨ - ونستطيع ان نضيف على ما اشكلوا على عقوبة الاعدام العامل النفسي لاصحاب الحق الشرعي فالقصاص يساعد على كبح جماح

القتل يؤدي إلى الحياة<sup>(٣٢)</sup>.

هو حياة عندما يقام لتحقيق العدالة واستئصال العضو الضار في المجتمع (وَلَكُمْ أَيْهَا النَّاسِ فِي الْقِصَاصِ الَّذِي يَجْتَثِ جذور الجريمة من عمق النفس المفجوعة في الحالة الشعورية التي تتطلب الثأر وتستسقي الدم، لتقتصر على التنفيس عن مشاعرها بقتل القاتل وعدم تجاوزه إلى غيره، وليكون ذلك عملية ردع لكل من تسوّل له نفسه أن يقوم بجريمة جديدة ضد إنسان جديد عندما يجد أن التشريع يفسح في المجال لوليّ الدم أن يقتص منه، وليحمي المقتص من أيّ أثر سلبي.

إنها العملية الجراحية التي تستأصل العضو الذي يشكل الخطر على الحياة، لتمتد الحياة من خلاله، ولو ببعض النقصان في مفردات الواقع، يا أولي الألبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أي يا ذوي العقول الذين لا تفكرون

الغضب لديهم على من اعتدى عليهم، فيدفع ذلك القصاص الفوضي بالانتقام الذي يولده الاحساس بالغبن وعدم تحقق العدالة.

#### ٤. فلسفة عقوبة الاعدام:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاءٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

قالوا قديما قتل البعض احياء للجميع، والقتل انفى للقتل، فجاء القرآن الكريم لينسف تلك العبارات ويصوغ جملة بلاغة في غاية الروعة والدقة يبين الفلسفة الحقيقة للقصاص ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاءٌ﴾ (وفيها تعريف القصاص وتنكير الحياة ليدل على أن النتيجة أوسع من القصاص وأعظم وهي مشتملة على بيان النتيجة وعلى بيان حقيقة المصلحة وهي الحياة... فإن القصاص هو المؤدي إلى الحياة دون القتل فإن من القتل ما يقع عدوانا ليس يؤدي إلى الحياة، وهي مشتملة على أشياء آخر غير

بعواطفكم ومشاعركم، بل تفكرون بعقولكم التي تدفعكم إلى الدخول في عملية الموازنة والمقارنة بين المصالح والمفاسد في الجوانب السلبية والإيجابية<sup>١</sup>.

### النتيجة

مما تقدم يتضح ان كثرة النصوص على عقوبة الاعدام في التشريعات العراقية انما تعكس في حقيقتها الحاجة الملحة لهذه العقوبة في ضوء ظروفنا الاجتماعية والسياسية والشرعية ومن ثم فان البحث في عقوبة الاعدام من جانب الابقاء او الالغاء عديم الفائدة اذ ان الغاء هذه العقوبة في العراق انما هو مخالف للشريعة الاسلامية التي هي اساس القانون الاساسي في الدولة العراقية، بالاضافة الى ان تلك العقوبة

انما هي حق شخصي للمجني عليهم ولا يمكن لاي كان بان يطالب باسقاطها وسلبهم هذا الحق في استرجاع ما اخذ منهم من الحقوق وتحت اي ذريعة كانت. ففاقد الشيء لا يعطيه كما يقول المثل فمن لم ترتكب المخالفة بحقه لا يمكن له ان يفرط بحق الشخص المغبون الذي وقع عليه الحيف فهو فقط من له الحق في امضاء ما سنه الله تعالى له من حق في استرداد المظلومية التي وقعت بحقه والتي ضمنها الدستور العراقي له كذلك.

وعلى ذلك فان عقوبة الاعدام هي افضل عقوبة واكمل عقوبة يستحقها من يقوم بالمخالفة والجريمة التي استحققت اصدار حكم عقوبة الاعدام بحقه وذلك لانها شرعت من قبل الله تعالى الخالق الحكيم الذي هو الاعلم بما يصلح به عباده ويضمن لهم العيش الكريم الآمن.

١ فضل الله، محمد حسين، ١٤١٩هـ، «تفسير

من وحي القرآن» دار الملاك للطباعة

والنشر بيروت، ج ٣ ص ٢٢٠.

## المصادر:

٩. القرآن الكريم
١٠. القرآن» مؤسسة النشر الاسلامي قم
١١. النهضة العربية القاهرة، طا
١٢. العاني، محمد شلال، ١٩٩٨، «علم الاجرام والعقاب» علي حسين طولبة دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان طا
١٣. عودة، عبد القادر «التشريع الجنائي الاسلامي مقارناً بالقانون الوضعي» توزيع منشورات الحلبي الحقوقية
١٤. الفراهيدي، خليل بن احمد، «كتاب العين» المطبعة اسوة، قم ايران الطبعة الثانية.
١٥. فضل الله، محمد حسين، ١٤١٩هـ، «تفسير من وحي القرآن» دار الملاك للطباعة والنشر بيروت
١٦. مغنية، محمد جواد، ٢٠٠٧، «فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام» مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر طا
١٧. مكارم الشيرازي، ناصر، ١٤٢١هـ، «الامثل في تفسير كتاب الله المنزل» منشورات مدرسة الإمام علي بن ابي طالب قم، طا
١٨. «قانون الجزاء العثماني» ترجمة نقولا النقاش، المطبعة العلمية بيروت ١٩٢٤
١٩. قانون العقوبات العراقي ١١ لسنة ١٩٦٩ المعدل
٢٠. ابن فارس، احمد، ١٩٧٩م. «معجم مقاييس اللغة» تحقيق عبد السلام محمد هارون، انتشارات دار الفكر
٢١. الحافظ، هاشم، ١٩٧٢ «تاريخ القانون» مطبعة العاني بغداد طا
٢٢. الحمداني، شعيب احمد، ١٩٨٩م «قانون حمورابي» مطابع اعدادية حزيان الصناعية بغداد
٢٣. خلف، علي حسين، ١٩٨٢، «المبادئ العامة في قانون العقوبات» منذر الشاوي، مطابع الرسالة الكويت
٢٤. الدكتور مصطفى كامل، شرح قانون العقوبات العراقي الطبعة الاولى مطبعة المعارف بغداد ١٩٤٩
٢٥. الزحيلي، وهبة، ٢٠٠٥، «الوجيز في الفقه الاسلامي» دار الفكر دمشق
٢٦. سليمان، عامر، ١٩٨٧م «القانون في العراق القديم» دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ط٢
٢٧. الصدر، محمد، ٢٠٠٧م، ما وراء الفقه، المحبين للطباعة والنشر قم



## الهوامش:

- [١] الفراهيدي، الخليل بن احمد، «كتاب العين» مطبعة اسوة الطبعة الثانية، ج١ ص١٧٨.
- [٢] ابن فارس، احمد، ١٩٧٩م. معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، انتشارات دار الفكر، ج٤ ص٧٧.
- [٣] خلف، علي حسين، ١٩٨٢، «المبادئ العامة في قانون العقوبات» منذر الشاوي، مطابع الرسالة الكويت، ص٤٠٥.
- [٤] الفراهيدي، الخليل بن احمد، «كتاب العين» مطبعة اسوة الطبعة الثانية، ج٢ ص٥٦.
- [٥] معجم مقاييس اللغة ج٢ ص٢٤٨.
- [٦] العاني، محمد شلال، ١٩٩٨، «علم الاجرام والعقاب» علي حسين طوالبه دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان ط١، ص٢٥٣.
- [٧] عادل، يحيى، ٢٠٠٥، «مبادئ العقاب» دار النهضة العربية القاهرة، ط١، ص٦٣.
- [٨] نص المادة (٨٦) من قانون العقوبات العراقي ١١١ لسنة ١٩٦٩ المعدل.
- [٩] كتاب العين ج١ ص٢٥٣.
- [١٠] معجم مقاييس اللغة ج٣ ص٢٦٢.
- [١١] الشورى/١٣.
- [١٢] الدكتور مصطفى كامل، شرح قانون العقوبات العراقي الطبعة الاولى مطبعة المعارف بغداد ١٩٤٩.
- [١٣] عودة، عبد القادر «التشريع الجنائي الاسلامي مقارناً بالقانون الوضعي» توزيع منشورات الحلبي الحقوقية، المجلد الاول ص١٥ «بتصرف».
- [١٤] المائة/ ٣٢.
- [١٥] سفر التكوين الاصحاح ٢١.
- [١٦] الاصحاح ٣٥. الفصل ٢١-٢٢ من الخروج، ص ٣٥ من العدد.
- [١٧] النساء/٤٥.
- [١٨] البقرة/١٧٨.
- [١٩] البقرة/١٩٤.
- [٢٠] سليمان، عامر، ١٩٨٧م «القانون في العراق القديم» دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ط٢، ص ٢٥٢-٢٥٣.
- [٢١] الحافظ، هاشم، ١٩٧٢م «تاريخ القانون» مطبعة العاني بغداد ط١، ص٢١٤.
- [٢٢] الحمداني، شعيب احمد، ١٩٨٩م «قانون حمورابي» مطابع اعدادية حزينان الصناعية بغداد، ص٥٩.
- [٢٣] الحافظ، هاشم، ١٩٧٢ «تاريخ القانون» مطبعة العاني بغداد ط١، ص٢١٩.
- [٢٤] «قانون الجزاء العثماني» ترجمة نقولا النقاش، المطبعة العلمية بيروت ١٩٢٤.
- [٢٥] الصدر، محمد، ٢٠٠٧م، ما وراء الفقه، المحبين للطباعة والنشر قم، ج٩ ص١٢٠.
- [٢٦] الزحيلي، وهبة، ٢٠٠٥، «الوجيز في الفقه الاسلامي» دار الفكر دمشق، ج٢، ص٤٣٢.

- [٢٧] مغنية، محمد جواد، ٢٠٠٧، «فقه الإمام جعفر الصادق ؑ» مؤسسة انصارىان للطباعة والنشر ط٧، ج٦ ص٣٠٨.
- [٢٨] الزحيلي، وهبة، ٢٠٠٥، «الوجيز في الفقه الاسلامي» دار الفكر دمشق، ج٢، ص٤٣٤.
- [٢٩] المائدة/٣٣.
- [٣٠] الطباطبائي، محمد حسين «الميزان في تفسير القرآن» مؤسسة النشر الاسلامي قم، ج٥ ص٣٢٨.
- [٣١] مكارم الشيرازي، ناصر، ١٤٢١هـ، «الامثل في تفسير كتاب الله المنزل» منشورات مدرسة الإمام علي بن ابي طالب قم، ط١، ج٣، ص٦٨٢.
- [٣٢] الطباطبائي، محمد حسين، «الميزان في تفسير القرآن» ج١ ص٤٣٤.
- [٣٣] فضل الله، محمد حسين، ١٤١٩هـ، «تفسير من وحي القرآن» دار الملاك للطباعة والنشر بيروت، ج٣ ص٢٢٠.

أ. د. عبد الحسين طاهر محمد الربيعي  
استاذ جامعي وأكاديمي وشاعر / العراق / ميسان

## قصيدة طوفان غرّة والأقصى لنا نعم

كُتِبَتْ هذه القصيدة استجابة إلى المبادرة التي أطلقتها اللجنة العليا لـ (ديوان  
الأقصى)، راجياً أن تحظى بقبول متلقيها.  
طوفان غرّة والأقصى لنا نعم  
يا بلسماً لجراح غاها قدّم  
فالقُدسُ قد هتفت وارتجتِ الهَمَمُ  
وزُلزَلتْ أَرْضُنَا، والبحرُ يَلْتَطِمُ  
اللهُ أكبرُ يا أقصى فقد بَلَغَتْ  
مِنَّا السيولُ الزُّبى، والعزمُ يضطرمُ  
(لقد تصبّرتُ حتى لا تَ مضطربُ)  
وملّ مِنّا دعاةُ الصبرِ، إذ ساءوا  
أحفاذُ (كَرّارٍ) إذ هبّت تطاردُكم  
فرّوا إلى (تَنِيكُم ياهو) فويحُكمو  
برّاً وبحراً وفي الأجواءِ أشرعةً

تَبَا لَأَسْطُورَةٍ يَدْعُو لَهَا قَزَمٌ  
مِثْلُ الْأَبَايِلِ لَمَّا انْقَضَ نُخْبَتُنَا  
فَوْقَ الصَّهَائِنِ أَهْلِ الْعُرَى، فَاَنْتَقَمُوا  
يَا آلَ صَهْيُونَ كَمْ لِلدَّهْرِ مِنْ عِظَةٍ؟  
بِهَا وُعِظْتُمْ- إِذَنْ- لَمْ يَنْفَعِ النَّدَمُ

\*\*\*

جُنَّائِكَ يَا قُدْسُ يَا أُولَى نُقَدِّسُهَا  
وَالْحَرَمَ الثَّانِي، إِذْ تَسْعَى لَهُ الْقَدَمُ  
طُوفَانُ أَقْصَى فَيَا مَرَحَى بِمَقْدَمِهِ  
رَايَاتُهُ خَفَقَتْ مِنْ فَوْقِهَا الْحِمَمُ  
هَٰذَا كِتَابُ عَزِّ الدِّينِ يَصْجُبُهَا  
عَزَمٌ وَحَزَمٌ بِهِ الْأَهْوَالُ تُقْتَحَمُ  
طُوفَانُ أَقْصَى وَقَدْ اجْتَثَّ طَيْشُهُمْ  
(لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ بِحَرِّ السُّخْطِ يَلْتَطِمُ)  
غَضَبَتْ شَوَارِعُهُمْ بِالرُّعْبِ، إِذْ سَمِعُوا  
اللَّهَ أَكْبَرُ، إِذْ وَافَاهُمْ الصَّمَمُ  
صَبَّوْا عَلَيْهِمْ شَرَارًا مِنْ صَوَاعِقُكُمْ  
(فَالْحَرْبُ لَيْسَتْ بِغَيْرِ النَّارِ تَنْحَسِمُ)

\*\*\*

يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ وَالْقُرْآنَ قَاطِبَةً  
طُوفَانُ أَقْصَى دَعَاكُمْ، أَيَنْ وَعَدُكُمْ؟  
أَيَّامُ (خَيْبَرٍ) قَدْ عَادَتْ مُصَوَّرَةً

فيها (محمّد) باسم الله يعتصم  
فيها (عليّ) أمير المؤمنين سرى  
بسيّفه ذاك ذي الفقار يقتحم  
واليوم باغتهم طوفان غزتنا  
(كالسيل يجرف من لقاؤه فانهزموا)  
ما أشبه الليلة بأختها قبلها!  
سبحان ربك كيف البطش نصرم!  
بشرى على صفحة التاريخ نرسمها  
لا غرو يصبح نغر المجد يتيسم  
هبت على العرب والإسلام نفحتها  
كان من طيها الآفاق تنسجم

\*\*\*

يا أخوة الدّين قد بانت سريرتكم  
بصدقها كلّ أهل الأرض قد علموا  
أخلصتم الرأي والتأييد أزمنة  
خمسین عاماً وما زلت لكم قدّم  
ولا أسمي وليس المدح من شيمي  
خوفي على موقف ينسى فيهنضم

\*\*\*

صلاح جرّار يا جمعاً بمفرده  
ابن الشام، ونعم الشاعر العلّم  
من العراق أتتك اليوم قافيتي

أَتَاكَ (عَبْدُ حُسَيْنٍ) وَالْجِرَاحُ فَمُ  
يَا رَوْضَةَ الْأَدَبِ الزَّاكِي لِأَنْدَلُسٍ  
طُوفَانُ أَفْصَاكُمْ تَشْتَاؤُهُ الْأَمَمُ  
وَقَوْلِي ل (عَهود) <sup>(١)</sup> الشَّعْرَ أَحْسَبُهَا  
بَيْتَ الْقَصِيدِ وَلِلْأَشْعَارِ نَحْتِكُمْ  
(إِمَّا حَيَاةً بِهَا فَيُضُّ الْكَرَامَةَ أَوْ  
شَهَادَةً خَطَّهَا لِلْعَالَمِينَ دَمٌ)

في ١٢ / ١٠ / ٢٠٢٣ م

### الهوامش:

[١] عهود. هي الأستاذة الدكتورة، الشاعرة العراقية عهود عبد الواحد العكيلي، أستاذة النقد والبلاغة في جامعة بغداد.